

تاريخ دول المغرب العربي

ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا

تأليف الأستاذ الدكتور
محمود السيد

أستاذ التاريخ الإسلامي - كلية المعلمين
المدينة المنورة - سابقاً

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
تليفاكس: ٤٨٣٩٤٧٢، إسكندرية



تاريخ دول المغرب العربي

(ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا)

تأليف

أ.د. محمود السيد

**استاذ التاريخ الإسلامى (كلية المعلمين)
المدينة المنورة (سابقا)**

٢٠٠٠

الناشر

**مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور / مصطفى مشرفة
ت ٤٨٢٩٧٤٢ الإسكندرية**

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين

صدق الله العظيم

(ال عمران آية ١٣٨)

المقدمة

يمتد العالم العربى، بين غرب آسيا وشمالى أفريقيا من خليج البصرة شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسى غربا، ومن جبال طوروس شمالا إلى حدود المنطقة الاستوائية جنوبا. وتقدر مساحته بلحو عشرة ملايين كيلو متر مربع.

وينقسم العالم العربى جغرافيا إلى قسمين، قسم فى غرب آسيا، والقسم الآخر فى شمال أفريقيا ويشمل القسم الأول جزيرة العرب والعراق والشام. والقسم الآخر ويشمل مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا. وهذا القسم هو موضوع هذا الكتاب بداية من ليبيا.

يشغل العالم العربى مركزا مرموقا فى جغرافية العالم. وقد لعب العرب دوراً هاماً فى تاريخ البشرية. وأقاليم الوطن العربى يكمل بعضها بعضا، فهى تكون وحدة جغرافية واقتصادية وطبيعية تامة. ففيها المناطق الحارة والمناطق الباردة وفيها ما يصلح ليكون أحسن المشاتى وفيها ما يصلح للاستغلال الزراعى الخاص بالبلاد الحارة. كما فيها ما يصلح للاستغلال الخاص بالبلاد الباردة.

وفىها الغابات التى تشغل فى بعضها قسما كبيرا من مساحتها كما هو حادث فى بلاد الشام والسودان وشمال أفريقيا. كما تطل على المحيط الأطلسى فى أقصى المغرب.

وقد حدثت العوامل الطبيعية والاجتماعية مثل الجفاف والقحط وقلة الكلاً والمنازعات القبلية الهجرة من الجزيرة العربية فانساح إلى الأقطار

المجاورة جنوباً وشمالاً عدد كبير من السكان ثم ظلت هذه العوامل تعمل عملها قبل الاسلام وبعده . فيكون هذا التلاحق المتواصل المتحد في طبيعته دوافعه الدليل على وحدة الأصل والجنس والمنشأ بين سكان الجزيرة والأقطار المجاورة لها . ويكون فيه وسيلة مستمرة إلى توثيق الصلات والروابط والوحدة بين القلب والأطراف ، وتجديد دم الجنسية العربية وطابعها مما لا يكاد يوجد له مثيل في العالم .

وقد أخذت بلاد الشام منذ خمسين قرناً تعمر بالموجات الكبرى التي جاءت من الجزيرة العربية والتي عرفت بأسماء الكنعانيين ، والفينيقيون فرع منهم ، والعموريين والأراميين ، وبالموجات الصغرى التي كانت تنساح من وقت إلى آخر كنتيجة لهذه الموجات الكبرى وتابعة لها .

وهؤلاء جميعاً صهرتهم بوتقة العروبة ذات اللهجات غير الصريحة في عروبتها .

ثم جاء الفتح الإسلامي الكبير فقرى من عملية التكامل حتى صارت العروبة طابع هذه البلاد .

لقد كان المغرب مهجر موجة عربية وهي الموجة الكنعانية الفينيقية التي قدمت إلى سواحل بلاد الشام حيث مارست الملاحة والتجارة . وكان البحر الأبيض المتوسط ميدان نشاط وأنشئت عدة مراكز ملاحية وتجارية .

وفي القرن العاشر قبل الميلاد تأسست الدولة التجارية البحرية الكبرى المعروفة بدولة قرطاجنه .

ومن هذه الحقائق التاريخية يتضح حقيقة تسرب الدماء العربية إلى بلاد المغرب قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة، ثم أصبحت مهجرا للموجات العربية الصريحة في عهد مبكر من ظروف الفتح الإسلامى حيث سير عمرو بن العاص حملة عربية إلى ليبيا.

ثم سير عبد الله بن سعد فى عهد عثمان بن عفان حملة عربية إلى تونس. ثم أخذت الموجات العربية تترى إلى بلاد المغرب فى عهد الأمويين حيث أتمت توطيد السلطان العربى فى جميع أنحائها قبل انتهاء القرن الأول الهجرى السابع الميلادى.

ولم تنقطع الموجات العربية عن الانسياح فى بقية عهد الدولة الأموية، ثم فى عهد الدولة العباسية والفاطمية حيث ظلت تتلاحق وتملأ جنبات بلاد المغرب حتى أصبح طابع العروبة بارزا عليها.

ومما سبق يتضح أن الوحدة الجنسية متوفرة بعمق وقوة فى الوطن العربى الكبير منذ أقدم الأزمنة. وقد أصبحت العروبة طابعه الخالد منذ الفتح الإسلامى، بفضل الإسلام العربى والقرآن العربى.

وترجع أصول سكان أفريقيا عدا من هاجروا إليها من العرب والآسيويين وغيرهم، هم البشمان والزنوج (النجرو) والهاميون الشرقيون والليبيون والساميون. أما أفراد قبائل البشمان قصار القامة لونهم ضارب إلى السمرة وحرفتهم الصيد كانوا يسكنون المناطق التى على الحدود الشرقية والجنوبية لصحراء القلاهارى منذ حملهم على الذهاب إليها اعتداءات الهنتوت والبانثو. وكانت البشمان قبل هذا تسكن ناحية بحيرة تنجانيقا شمالا، وإلى جانبهم قبائل الهنتوت رعاة البقر وأفرادها يسكنون

قديمًا بلاد الكاب .

ويبدو أن الهنتوت جاءوا ثمرة الاختلاط بين عناصر البشمان والزنوج
الهاميين .

أما الزنوج (النجرو) فهم يسكنون المناطق التي بين جنوب الصحراء
الكبرى وأعلى النيل إلى الكاب عدا الحبشة والجالالا والسومال .

أما القبائل المتنقلة فهي ثمرة امتزاج النجرو بالليبيين في الشمال
والساميين العرب والهاميين على الساحل الشمالي الشرقي والشرق .

على أن الامتزاج الذي تم بين الفولا غرب السودان وبين الباجيما في
فيكتوريا والعناصر الليبية والحامية أوضح من الامتزاج الذي تم بين العنصر
الزنجي وغيره .

أما الليبيون أو البربر فهم بيض البشرة وسكان شمالي الصحراء
الكبرى .

أما في الشمال الشرقي فيختلط الهاميون بالساميين ذوي البشرة
السمراء .

ويبدو أن البشمان والزنوج دون العناصر الثلاثة الحامية والسامية
والليبيين هما وحدهما أصلا سكان أفريقيا .

وقد تناول هذا الكتاب عرضا لتاريخ وجغرافية دول المغرب العربي
وهي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا . تلك الدول التي تكون
وحدة جغرافية وعنصرية وتاريخية ودينية فطبيعة أرضها واحدة فارتبطت

مصالحتها برباط واحد منذ القدم وقربت بينها وحدة الآلام والآمال.

كما تناول هذا الكتاب تاريخ السودان لارتباطه بالدور الذي لعبته القبائل المغربية والعربية في دخول الإسلام إلى بلاد السودان ثم انتشاره بين ربوعه خاصة السودان الغربى فلزم الحديث عن السودان باعتباره امتداداً لحركة الجهاد الإسلامى العربى كما كان امتداده من مصر إلى شمال السودان منذ بداية الفتح الإسلامى وخلال العصور الإسلامية فى مصر وخاصة العصر المملوكى.

لقد كونت دول المغرب العربى وحدة تاريخية واحدة كانت هى الدافع لتقديم هذا الكتاب الذى تحتاجه المكتبة العربية اليوم .

الباب الأول

ليسا

الفصل الأول

ليبيا من الفتح العربى إلى العهد الموحدى

- * الوصف الجغرافى.
- * السكان.
- * الفتح العربى فى ليبيا وتوقفه.
- * الموقف فى أفريقيا البيزنطية فى ظروف الفتح العربى.
- * عودة العرب لمواصلة الفتح.
- * المذاهب والعقائد.
- * العباسيون والأباضية.
- * الأباضية والأغالبة.
- * ليبيا فى العهد الفاطمى.
- * الهجرة الهلالية من مصر إلى بلاد المغرب العربى ونتائجها.
- * العرب والمرابطون.
- * العرب والموحدون.

يعد شمال أفريقيا منذ فجر التاريخ وحدة تاريخية واحدة، ويمتد من ليبيا شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً.

وقد كان الرومان حين أخضعوا هذه البلاد لحكمهم يقسمونها إلى ثلاثة أقسام هي أفريقيا ونوميديا وموريتانيا.

كما أن العرب رأوا صحة هذا التقسيم الروماني حيث أن لكل قسم منها طابعه المميز جغرافياً فأطلقوا عليها أفريقيا والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وهو يشمل حالياً ليبيا وتونس والجزائر ومراكش أما موريتانيا فكانت تضم في عهد الرومان موريتانيا والمغرب الأقصى معاً.

وتقع موريتانيا في الشمال الغربي من أفريقيا جنوبي المغرب الأقصى، والجزائر التي تقع أقصى شمالها الشرقي من الصحراء الغربية، ويجاورها من الغرب المحيط الأطلسي وفي الجنوب منها دولة مالي، وفي الجنوب منها السنغال.

وأما السودان فهو في جملته سهل أو هضبة فسيحة تنعزل عن شمال وادي نهر النيل بصحراء يجرى في وسطها النيل.

وتحد السودان من الشرق المرتفعات التي تمتد بطول ساحل البحر الأحمر إلى الشمال.

أما من الغرب فيدور النطاق المجذب حول الوادي الذي يجرى فيه النهر وروافده.

وفي الجنوب الشرقي يسير خط الحدود مع حافة هضبة بحيرة رودلف مجتازاً أراضي وعرة ويقطع مستنقعات عالية عند اقترابه من البحيرة

وتركه لها. ثم يتابع خط الحدود مع حافة الهضبة الحبشية ثم الهضبة الأريتيرية إلى البحر الأحمر وتمتد مع البحر الأحمر شمالا نحو خمسمائة ميل إلى الحدود الجنوبية لمصر. ويشترك السودان في بداية الحدود السياسية مع مصر شمالا. ومع أريتريا والحبشة في الشرق وأوغندة والكنغرة في الجنوب ومع دول تشاد وليبيا في الغرب.

ليبيا:

يحد ليبيا شمالا البحر الأبيض المتوسط . ومصر والسودان شرقا، وتونس والجزائر غربا وتشاد والنيجر جنوبا.

وليبيا هضبة صخرية رملية بها تلال متوسطة الارتفاع ليس بها مجارى مائية، وبها بعض الواحات التى تفصل بينها بقاع واسعة جرداء.

ويقسم سطحها إلى سهول ومرتفعات وهضاب وهى:

السهل الساحلى:

ويمتد على طول الساحل ويختلف عرضه بين ميل وعشرة أميال ويختفى فى بعض الجهات فتصل إليه الصحراء مثل إقليم سرت. وقد امتاز ساحل البحر فى منطقة طرابلس بين زوارة ومصراته بالازدهار والنشاط البحرى للأسطول الليبى طوال العصور القديمة والوسطى.

وفى سهل طرابلس عدد من الواحات، أما فى الجنوب فيوجد سهل الجفارة. وهو صالح للزراعة فى جهة الشرق أما فى جهة الغرب فهى جدباء. ويحيط بالجفارة من الجنوب حافة الهضبة وتعرف بجبل نفوسة، وجبل ترهونة وغالبية التربة كلسية وهى شبه خالية من المواد الصالحة

لظهور النبات.

سهل برقة:

تقع برقة بين صحراء مصر الغربية شرقاً وطرابلس غرباً وتمتد جنوباً حتى السودان وأفريقيا الاستوائية. وأكثر تلك المنطقة صحراء مجدبة. ويتكون الجزء الشمالى منها من سلسلة تلال كلسية وسهول خضراء خصبة، وتمتاز منطقة الجبل الأخضر بجودة أرضها وطيبة هوائها، وتغذى هذا للجزء مياه الأمطار الموسمية فضلاً عن جداول وعيون متفجرة مما جعلها صالحة للزراعة، فتزرع بها الأشجار المثمرة وكذا الحبوب.

كما يصلح فى بعض أراضى برقة مزاولة حرفة الرعى للماشية وهى حرفة يتداولها السكان البرقيون فى غالبيتهم.

وتوجد فى المناطق الصحراوية فى الجنوب بعض الواحات التى يظهر فيها النخيل، ويزرع بها الخضروات.

ومع أن المياه الجوفية فى برقة بعيدة عن سطح الأرض إلا أن الأمطار تعوض هذا النقص فى مياه الآبار. فضلاً عن انخفاض حرارة الجو لإرتفاع السطح وقربه من البحر.

ويمتد السهل الساحلى لبرقة بحيث يمكن تقسيمه إلى منطقة ضيقة فى الوسط من غرب درنة إلى شرق طوكر من ناحية الجبل الأخضر الذى يطل على البحر.

ويضيق الساحل ويتسع قليلاً عند سوسة ثم يتسع عند برقة حتى يصل إلى عشرات الأميال ويمتد حتى يجتمع بالصحراء فى الجنوب ويمتد إلى

السودان وأفريقيا الوسطى.

أما في الشرق من درنة وهي مدينة صغيرة في طرف الجبل الأخضر تكتنفها أشجار النخيل والزهور وحتى الحدود المصرية، فهي أرض شبه صحراوية تصلح للرعى وزراعة الشعير.

وأما برقة البيضاء والحمراء:

فتمتد إلى الجنوب من بنى غازى، وتتوسطها السلوق وأجدابيه وفيها مناطق تصلح للشعير والرعى وأحيانا القمح. وتعتمد برقة على مراعيها من الأغنام والمواشى ومنتجاتها.

وتستورد برقة المصنوعات المعدنية والأرز والشاى والأقمشة بأنواعها.

درنة:

وهي مدينة (درنيس اليونانية) لجأ إليها عرب الأندلس الفارين من الاضطهاد الدينى أواخر القرن التاسع الهجرى ، الخامس عشر الميلادى. ودرنة تأتيها المياه من وادى درنة ويوجد بها أشجار النخيل والفواكه مثل التين والموز.

والمرج: وهي مدينة (بركة اليونانية) وعرفت باسم برقة ثم اطلق اسمها على الإقليم فهو إقليم برقة وهي ذات طابع مميز فى الإقليم ويزرع بها أشجار الصنوبر والسرو.

أما طبرق: وتقع طبرق بين درنة والبردية على شاطئ برقة، وفي الشتاء تسقط الأمطار وتنبت الأعشاب وتكثر الأغنام والأبقار والماعز فى

تلك الأراضي التي تعرف بساحل البطنان (جبل عقبة أو مرمريكا) . وهو لايمتد كثيرا في إتجاه الجنوب ثم تبدو الأرض صحراء قاحلة .

وسوسة : وقد قدم إليها مهاجرين من كريت في نهاية القرن الثالث عشر الهجرى ، التاسع عشر الميلادى .

واجداية : وتقع في الجنوب من سوسة ، عمرت بالعرب بعد الفتح .

بنى غازى (١) : ويمتد السهل من بنى غازى إلى طوكره وهى أرض مكشوفة مستوية من الحجر الجيري والحصى وتغطى بعض أجزائها صلصالة حمراء تكونت من تفتيت الصخور وتنتشر بها بعض البحيرات العذبة ، أما غرب بنى غازى فتغلب عليه الطبيعة الرملية .

ويشتغل الأهالى فى بنى غازى بالزراعة البسيطة وبالتجارة فتستورد المصنوعات القطنية والجلدية وتصدر لمصر الماشية .

وكانت القوافل التجارية تتجه إلى بنى غازى وتنتقل بين المدن البرقية مثل درنة وطبرق فى الشمال وواحاتها فى الجنوب ، كفره وأوجلة وفزان ، حيث كان لإقليم برقة نشاط تجارى مع السودان منذ العهد اليونانى .

وفى العهد الرومانى فى نهاية القرن الأول الميلادى تمت السيطرة على إقليم برقة وطرابلس ، ثم غزا الوندال ليبيا فى منتصف القرن الخامس الميلادى وعاثوا فى البلاد وأفسدوا حتى ظهرت بيزنطة عليهم وغلبتهم وصارت السيطرة لهم قرب منتصف القرن السادس الميلادى .

بنى غازى : سميت بهذا الاسم العربى الحديث ، ويرجع ذلك إلى سيدى غازى المدفون فيها ، أما أصلها فى القديم يوسفريدس ثم صار برينى فى عصر البطالسة ، وقد هجرت تلك المدينة زمانا حتى أعادها ، هاجرون عرب من تجار طرابلس فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

وتحولت ليبيا في العهد البيزنطي إلى التبعية لمصر، باستثناء إقليم طرابلس الذي أخضعته قرطاجة لها، وبقي الأمر كذلك حتى الفتح العربي.

أما السهل الساحلي لخليج سرت فهو سهل متسع تمتد مساحته بمحاذاة الخليج ولكنه خال من النماء.

وأما عن المرتفعات الساحلية في ليبيا فتقع على جانبي خليج سرت. ففي الغرب من الخليج توجد المرتفعات الساحلية لطرابلس وتعرف باسم الجبل وهو يحد سهل الجفارة من الجنوب ويمتد من تونس إلى الخمس بالساحل ويعرف باسم جبل نفوسة في الغرب. أما الشرق فهو جبل ترهونة وأما في برقة فتشمل المرتفعات بها الهضبة المعروفة باسم الجبل الأخضر، وهي على شكل هلال وتحاذي الساحل. ويقع وادي درنة بين الجبل الأخضر غربا وهضبة مرمرিকা (البطنان) في الشرق.

وتقع جنوبي الجبل (نفوسه وترهونه) الهضبة الداخلية، وتعرف بإقليم حماده وهو محصور بين التلال الساحلية ومنخفض فزان، وفي الجنوب الشرقي من إقليم حماده يوجد جبل السودة وهو من صخور جيرية ورملية ويتشعب هذا الجبل شرقا إلى شعبتين وهما حروج الأسود وحروج الأبيض وإقليم الهضبة الداخلية كثير المنخفضات التي تكثر بها الواحات أهمها أوجله وجالو، وفي منخفض أوجله ومنخفض الكفرة الذي يقع جنوب أوجله مجموعة من الواحات أهمها تازريو وبرزيما وربيانه.

ومن أكبر أقاليم الواحات في ليبيا منخفض فزان. ويقع بين الجزائر وتونس غربا وبرقة طرابلس شمالا وبهذا الإقليم بعض الواحات منها سبها ومرزق وغداس وتقع غرب الحدود التونسية الجزائرية وهي محاطة بغابة

كثيفة من النخيل ومحطة للقوافل (طرابلس - تالوت - غدامس) .



الشعب الليبي:

السكان: يتكون الشعب الليبي من بدو رحل وهم اكبر سكان الهضاب والصحارى مثل لواته فى إقليم برقه، ونفوسه فى إقليم طرابلس. وحضر يقيمون فى المدن وهم البرانس سكان المدن الشمالية مثل هواره ونفزاوة.

ولما قدم الفينيقيون واستقروا فى ليبيا وشاركهم القرطاجيون، وقدم اليونانيون فى برقة، ثم ظهرت الرومان، وبسطوا سلطانهم على كل ليبيا.

كما قدم إلى ليبيا جماعات من اليهود فى القرن الثالث قبل الميلاد فى عهد القرطاجيين، بعد طردهم وهدم المعبد اليهودى فى القدس الفلسطينية فى النصف الثانى من القرن الأول الميلادى.

كما قدم إليها الوندال فى القرن الخامس الميلادى. كذلك وفدت إلى ليبيا رهبان من القبط المصريين لخدمة الكنيسة بها.

أما فى إقليم فزان فقد كان الزوج يقيمون فيه بكثرة للخدمة فى الرعى والزراعة فى مختلف العهود السابقة.

فكان شعب ليبيا قد تمثلت فيه أجناس من أنحاء آسيا وأوربا وأفريقيا. وقد اندمجت تلك العناصر فى البربر الذى ظلوا العنصر الرئيسى فى البلاد. فلما قدم العرب بعد الفتح شكل كل من العرب والبربر وحدة متماسكة حين اندمج بعضهم ببعض حتى صاروا شعبا واحدا له ملامح واحدة.

الفتح العربى فى ليبيا:

فتح العرب مصر لتأمين حدودهم فى الشام، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى برقة لتأمين مركزهم فى مصر، فبعد أن انتهى عمرو بن العاص من فتح مصر مباشرة اتجه بقواته إلى برقة خشية أن يهاجم الروم مصر من برقة بالمسير إليها وباعتبارها الخطوة الأولى للاستيلاء على أفريقيا وبقية اقاليم المغرب كذلك.

وفى عام ٤٢ هـ / ٦٤٢ م غزا عمرو طرابلس. على أن فتح برقة بعد خاتمة لفتح وادى النيل كله.

وقد شغلت قبيلة لواته الصحراء من أرض مصر إلى برقة وطرابلس.

بعث عمرو بالسرايا للاستطلاع واستكشاف ميدان القتال، والتعرف على المنطقة وأوضاعها، ثم بدأ عمرو فى التوجه إلى برقة وحصارها، وتم الاستيلاء عليها فأسلم بعض أهلها. ثم أعاد عمرو تنظيم جيشه فجعله قسمين أحدهما اتجه إلى طرابلس لفتحها بقيادة عمرو والقسم الآخر يقوده عقبة بن نافع اتجه إلى الواحات الجنوبية نحو فزان.

اتجه عمرو إلى طرابلس فوجدها مدينة حصينة محاطة بأسوار عالية، وظل عمرو يحاصر المدينة، حتى واثته الفرصة وتمكن من إقتحامها بجنوده بعد أن استكشف نقط الضعف فيها، وأتم فتحها وفرض عليها الجزية.

ثم بعث بجزء من جيشه إلى صبرته وفاجأ المدينة بقواته فدخلها من أبوابها دون مقاومة، إذ أن عنصر المفاجأة قد لعب دوره، وقد بلغت يقظة

المسلمين الغاية فلم يضيعوا الفرصة منهم وقد غفل أهل المدينة عن الاستعداد واليقظة فسقطت مدينتهم دون عناء.

كما بعث عمرو برجاله إلى فزان في جنوب طرابلس وإلى ودان وعقد معاهدة مع أهلها من قبائل نفوسة.

ولما أرسل عمرو طلائعه إلى قابس - وهي تابعة لإقليم طرابلس في ذلك الحين - وأدرك تعذر فتحها قبل أن يتزود بالرجال والعتاد لقوة دفاعها، فبعث إلى الخليفة عمر بن الخطاب يطلب السماح له في مواصلة الفتح، إلا أنه لم يجد من الخليفة عمر استجابة لرغبته، فاضطر عمرو إلى التوقف عن الفتح، وانصرف عائدا إلى مصر وقد خلفه في ليبيا عقبة بن نافع.

وفي عام ٢٥هـ / ٦٤٥ م وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان عزل عمرو من منصبه وتولى عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر وأفريقيا.

الموقف في أفريقيا البيزنطية في ظروف الفتح العربي.

في بداية القرن السابع الميلادي، أحست بيزنطة بالأخطار الخارجية المحدقة بالدولة البيزنطية من جانب أعدائها من الفرس واليهود والصقالبة، وحاول الأباطرة البيزنطيون تدارك تلك الأخطار الخارجية. إلا أن الأخطار الداخلية أخذت في الظهور هي الأخرى ولم يلقذ الدولة البيزنطية من هذه الأخطار إلا ظهور الامبراطور هرقل ابن حاكم قرطاجة الأفريقية البيزنطية واستيلائه على العرش عام ٦١٠ م وظل الامبراطور هرقل يقاوم الأعداء فلما تكاثرت عليه المشاكل وتعذر عليه مواجهتها، فكر هرقل إزاء كل تلك الكوارث المتتالية أن يترك القسطنطينية فعلا ويعود إلى قرطاجة عاصمة

الولاية البيزنطية ويجعل منها مركزا لما ينظمه من مقاومة ضد الأخطار.

وعندئذ تقدم سرجيوس بطريك القسطنطينية إلى الامبراطور هرقل وقدم له كل ماله من كنوز ونفائس ليستعين بها الامبراطور على محاربة أعدائه. وقد تمكن الامبراطور هرقل من التغلب على الصعاب التي واجهته. إلا أن الموقف قد تغير تماما بعد ظهور الخطر العربي، لقد اندفع المسلمون إلى أراضي الدولة البيزنطية في فلسطين بعد موقعة أجنادين في عام ١٣ هـ / ٦٣٤ م ثم موقعة اليرموك عام ١٥ هـ / ٦٣٦ م فاستولوا على بيت المقدس في عام ١٦ هـ / ٦٣٧ م.

ثم واصل العرب فتوحاتهم بعد ذلك فاستولى عمرو بن العاص على مصر عام ٢٢ هـ / ٦٤٢ م ثم واصل العرب تقدمهم في شمال أفريقيا واستولوا على برقة وطرابلس.

وهنا أخذ جريجورس الحاكم البيزنطي في قرطاجة وهو يتتبع أخبار الغزو العربي في بلاده، ويعمل على حماية نفسه من الوقوع في أيدي الأعداء فعول على الانسحاب من مقره في قرطاجة إلى سبيطلة التي أقام حولها التحصينات تحسبا لهجوم وشيك عليها، كما حصن مدينة قابس.

وبعد انسحاب عمرو من ليبيا وعودته إلى مصر ظلت برقة على حالها من الاستقرار والتبعية لمصر.

أما طرابلس فقد أعلنت راية العصيان بعد أن وصلتها الامدادات من بيزنطة.

بعث عبد الله بن أبي سرح إلى الخليفة عثمان بن عفان ليواصل فتح أفريقيا وفقا لخطة تأمين مصر من الخطر البيزنطي المحتمل. واستجاب الخليفة عثمان وبعث بالامدادات العسكرية التي سارت من المدينة عاصمة الدولة العربية الإسلامية في الحجاز متجهة إلى مصر.

وفي مصر تولى عبدالله بن أبي سرح قيادة الجيش الذي بلغ تعدادة عشرون ألف مقاتل ومن قبط مصر وبربر من أفريقيا، وقد أخذوا طريقهم إلى أفريقيا.

وصل عبد الله بن أبي سرح إلى برقة، وتقابل فيها مع عقبة بن نافع في جماعة من المسلمين وواصل سيره حتى وصل طرابلس وهو يبعث أمامه بالسرايا للاستطلاع ورأى أن يصرف اهتمامه عن طرابلس - التي تحصن أهلها خلف الأسوار - كسبا للوقت وفعل ذلك عند قابس. ثم واصل سيره بجلده إلى سبيطة.

ولما وردت الأنباء إلى الحاكم البيزنطي جريجوريوس في قرطاجة بتحريك جيش المسلمين من مصر متجهين إلى أفريقيا. اتخذ الإجراءات في تحصين مدينة سبيطله وبعد أن وصل المسلمون إلى قمونيه على بعد أميال من سبيطله. وبعد فشل المفاوضات بين الجانبين، بدأت المفاوضات العسكرية ولكن دون جدوى.

وجاءت الامدادات بقيادة عبد الله بن الزبير الذي عرض خطة حربية جديدة هي تقسيم الجيش العربي إلى قسمين قسم يقاتل والقسم الآخر يأخذ قسما من الراحة فإذا أصابه الإرهاق من القتال. فوجئ العدو بالقسم الذي لم يقاتل فلا يقوى العدو على مواصلة القتال وينهزم ويلتصر المسلمون. وقد

كان وانتصر المسلمون وقتل القائد البيزنطى وفتح المسلمون سبيطله واستولوا عليها.

ثم واصل المسلمون السير فى نواحي أفريقيا ووصلوا إلى قفصه ثم تفاوض الجانبان على أن يدفع القرطاجيون مبلغا كبيرا من المال مقابل الانسحاب من البلاد وقبل سعد العرض.

ثم رأى عبد الله بن أبى سرح أن يعود أدراجه إلى مصر وذلك لخوفه من استعدادات البيزنطيين فى البحر للتدخل لإنقاذ البلاد خاصة بعد سقوط سبيطله فى أيدي العرب. وكذلك خوفه على الأموال والذخائر التى غنمها، فقامت المفاوضات مع البيزنطيين وانتهت بالاتفاق على عودة عبد الله بن أبى سرح نظير مبلغ من المال يدفعه البيزنطيون وتأمين عدوة جنده، على أن من أسباب عودة عبد الله بن أبى سرح هو خوفه من أن يقطع العدو خط الرجعة فيفقد جنده وماحصل عليه من الغنائم.

عاد عبد الله إلى مصر وتوقف النشاط العسكرى فى بلاد المغرب، حيث وقعت أحداث سياسية بالعاصمة الاسلامية المدينة انتهت بالثورة على الخليفة عثمان ومقتله، وتولى الإمام على بن أبى طال منصب الخلافة. ثم بدأ الصراع المسلح بين على ومعاوية بن أبى سفيان الذى انتهى باستشهاد الإمام على وتولى معاوية بن أبى سفيان خلافة المسلمين.

تولى معاوية الحكم بعد استقرار الأمور وعادت الفتوح إلى سيرتها الأولى، وتولى عمرو بن العاص ولاية مصر لمعاوية للمرة الثانية وبدأت الحملات الحربية تخرج من مصر إلى أفريقيا، وهى حملات محدودة، فاتجهت إلى الواحات مثل فزان فى ليبيا. وفى عام ٤٤هـ/٦٦٤م توفى

عمرو بن العاص.

وفي عهد معاوية تحولت أفريقيا من تبعيتها لوالى مصر إلى ولاية مستقلة تابعة للخليفة نفسه لأهميتها.

تولى حكم مصر عقبة بن عامر الجهنى. وتولى معاوية بن حديج قيادة أفريقيا وولايتها، وفي نفس الوقت الذى كان فيه عقبة بن نافع حاكما فى ليبيا فى نواحي فزان ووحداتها والأحوال مستقرة بها من أيام عمرو بن العاص حتى عام ٣٥هـ/٦٥٥م وخاصة فى إقليم برقة حيث استجاب الأهالى وأقبلوا طواعية للدخول فى الدعوة الإسلامية لما عرفوا من سماحة الإسلام.

خرج معاوية بن حديج الذى ولى ريف بن ثابت الأنصارى على طرابلس فى جماعة من الجند، وسار حتى بلغ قمنونية التى انتصر فيها المسلمون على البيزنطيين، ثم هاجموا مدينة حلواء وانتصروا على جندها وغنموا جميع ما فيها ، ثم أقام معاوية بن حديج مساكن فيها.

وفي عام ٥٠هـ/٦٧٠م ولى معاوية بن أبى سفيان عقبة بن نافع على أفريقيا، فدخلها وهو له سابق خبرة بأرض ليبيا وخاصة إقليم برقة وإقليم فزان ووحداتها المتعددة وكان له بها سياسة حكيمة ساعدت على استقرار الأحوال فيها، لاتباعه تعاليم الاسلام. فأقبل البربر من أهالى برقة وفزان على الاسلام بعدما لمسوا سماحته ومساواته بين جميع المسلمين من عرب وبربر.

بلغ عدد جيش عقبة عشرة آلاف مقاتل وسار فى طريقه مستخدما

أسلوب السرية فى تحركاته حتى يكسب معركة مع العدو بأيسر سبيل.

وقد تمكن فعلا من التقدم هلى وصل إلى غدامس فى أقصى الغرب من فزان.

ثم اتجه بعد ذلك متقدما ناحية الغرب إلى منطقة اختارها لتكون مقراً للقيادة العربية ومستقرا وأطلق عليها اسم القيروان. وشرع المسلمون فى بناء المسجد وبناء المساكن حول المسجد واستمرت حركة البناء فى القيروان التى لم تبعد عن الساحل غير ثلاثين كيلو متر وهى كافية لأعطاء الأمان للمدينة من العدو القادم من البحر، وهى فى نفس الوقت على طرق المواصلات الرئيسية بالأقليم.

وفى عام ٥٥٥هـ/٦٧٤م عزل عقبة من منصبه فى ولاية أفريقيا. وكان مسلمة بن مخلد قد تولى الإمارة على مصر والمغرب عام ٤٧هـ/٦٦٧م ومسلمه هو الذى رشح أبا المهاجر دينار لولاية أفريقيا عام ٥٥٥هـ/٦٧٤م.

بدأ أبو المهاجر دينار حملته للجهاد يقود حملة كبيرة لرفع راية الإسلام ففتحت شريك وهى جزيرة تقع بين سوسة وتونس ثم اتجه إلى تلمسان وحارب قبيلة أوريه من البرانس وزعيمها كسيله الذى وقع فى الأسر ثم أعلن إسلامه. وقد استخدم أبو المهاجر سياسة المهادنة مع البربر وأحسن معاملتهم مما شجع الكثيرين على الدخول فى الإسلام. وقد اعتمد أبو المهاجر دينار على المرونة السياسية فى تعامله مع ابربر دون القوة العسكرية، ونجح فى سياسته التى أثمرت فانضم البربر وزعيمهم كسيله إلى العرب ضد البيزنطية ففوى بهم العرب بعد مداخلوا فى الإسلام، واندفع العرب والبربر إلى تلمسان ففتحوها وبذلك سيطر العرب على المغرب

الأوسط حتى تلمسان.

وفي عام ٦٦٢هـ/ ٦٨١ م عزل أبا المهاجر من ولايته وحل محله عقبة بن نافع في ولاية أفريقية للمرة الثانية في عهد الخليفة الأموي يزيد الأول.

أنشأ عقبة بن نافع القيروان في فترة ولايته الأولى لأفريقية ونمت القيروان حتى أصبحت قاعدة حربية يتوسعون منها جنوب المغرب لاستكمال فتحه. وفي الفترة الثانية من ولاية نافع انطلق متجها عبر الطريق الداخلي بعيدا عن الساحل واشتبك مع الروم حتى اضطروهم إلى الفرار وتمكن من فتح حصون باغاية وأذنه قاعدة الزاب وغنم الكثير منها.

ثم اتجه إلى الساحل ليصل إلى بلاد المغرب الأقصى. فأصبح أول من وطأ بقدمه أرضه ثم اتجه إلى طنجة فرحب به يليان حاكم المدينة وقدم فروض الطاعة.

ثم اتجه عقبة بعد ذلك إلى مدينة ويلي ثم إلى درعة والسوس وحارب البربر وهزمهم، ثم واصل مسيرته حتى بلغ المحيط. ولم تشغله حروبه عن بناء المساجد لكي تكون مركز إشعاع ديني بين الأهالي من البربر وتعليمهم قواعد الدين الجديد.

وجعل العرب للمغرب نوعا من الوحدة السياسية تقودها القيروان، تلك القاعدة الإسلامية التي صارت قبله سكان المغرب جميعه يتجهون إليها طلبا للعلم ومشاركة لها في يسرها ورخائها.

فلقد لعبت القيروان دورا نشطا في تاريخ المغرب وتوجيهه فقد كثرت مواردها وتعددت كما كانت لها موانئها المطلّة على البحر المتوسط. فقد

كان لها موقعها الجغرافى الممتاز وقربها من طرق المواصلات.

إلا أن حركة عصيان تزعمها كسيله بن لمزم الأوربي ضد المسلمين فتريص بعقبة بن نافع بقصد الايقاع به بسبب سوء معاملة عقبة لكسيله وهو زعيم فى قومه فارتد عن الاسلام، وتقابل مع عقبة وهو فى جيش كبير وعقبة فى كتيبة صغيرة ووقع القتال بينهم واستشهد عقبة فى مكان يقال له تهوده وأقاموا بها مسجدا ضم رفاته وعرفت المنطقة باسم سيدى عقبة.

وتولى بعد استشهاد عقبة بن نافع زهير بن قيس، وهو من كبار القادة، وحاول دفع المسلمين للاستمرار فى المقاومة والهجوم إلا أن رأى المعارض تغلب فى النهاية واضطر زهير إلى الانسحاب من القيروان عائدا بالجيش إلى برقة وبقي بها انتظارا للتعليمات.

على أن الأعمال الحربية للمسلمين توقفت مدة خمس سنوات نتيجة لاضطراب الأحوال فى المشرق.

وفى خلافة عبد الملك بن مروان صدرت التعليمات من الخليفة عبد الملك إلى زهير بن قيس وهو فى برقة لتولى القيادة استعدادا لمواصلة القتال واستعادة القيروان، وبعث الخليفة بالامدادات الحربية من الخيل والجنود. وجمع زهير المقاتلين الذين معه وانضم إليهم من جاء من مصر وتجهزوا جميعا لقتال كسيله ومن معه من البربر والبيزنطيين، وهنا أسرع كسيله بالخروج من القيروان بعد ما بلغه من أنباء الامدادات والحشود الاسلامية فى برقة متجها إلى ممس وهى على بعد قليل من القيروان وقريبة من الجبال فضلا عن كثرة المياه بها، وجعلوا من الجبال حصنا لهم فى حالة

الهزيمة.

خرج المسلمون من برقة بقواتهم واتجهوا إلى القيروان وبقرا بها أياما للاستعداد للمعركة القادمة، ثم اندلق الجيش يقوده زهير إلى ممس مقر كسيلة، وبدأت المعركة واشتد القتال بين الفريقين وسقط كثير من الجانبين ثم انهزم العدو وقتل كسيلة. فضعف جنده وفروا من ميدان المعركة. وقد استرد المسلمون قوتهم وارتفعت معلوياتهم بعد هذه المعركة.

أما برقة فقد أدرك البيزنطيون خلوها من الجند وأسرعوا بالدخول إليها عن طريق البحر، ولم تستطع المدينة المقاومة مما لحق بها من اعتداء إلا أن كثرة جموع المهاجمين تغلبت على القلة المدافعة وسقط زهير شهيدا في المعركة.

بعد استشهاد زهير كلف الخليفة عبد الملك بن مروان القائد حسان بن النعمان لولاية أفريقية بقيادة جيوشها ووصل حسان إلى أفريقية يقود جيشا قوامه أربعون ألف مقاتل.

وفي عام ٧٤هـ/٦٩٣م وصل حسان إلى القيروان وبدأ بجمع للمعلومات حتى علم أن البيزنطيين قد حشدوا جموعهم في قرطاجة في الطرف الشمالي من (تونس حاليا) وهي عاصمتهم في أفريقية. فأعد حسان عدته لقتالهم في مركز تجمعهم واشتبك معهم في قتال عنيف اضطر كثير منهم إلى الانسحاب من المدينة فرارا إلى البحر.

وتمكن المسلمون من دخول المدينة فاتحين ثم تتبعوا من انسحب منهم في نواحي البلاد فاتجهوا إلى بنزرت، وتغلبوا على من بها من المدافعين

من البيزنطيين والبربر.

وبعد فترة هدوء واستجمام أعد المسلمون أنفسهم لمواجهة شرسة مع البربر الذين تزعمتهم الكاهنة وهى من قبيلة جراوة من البتر، عرفت هذه المرأة بالبراعة فى فنون السحر وبلغت حد الزعامة التى دامت نحو خمسة وثلاثين عاما فى جبل أرواس مقر إقامتها.

التقى المسلمون والبربر تقودهم الكاهنة فى وادى مسكيانه وتقاتل الفريقان وتكاثر البربر وتمكنوا من التغلب على المسلمين وهزيمتهم واضطر حسان إلى الانسحاب بجنوده واستمر فى الانسحاب حتى مجانه فأقام بها ثم تركها واتجه إلى مكان آخر يتحصن به، ثم تقابل الفريقان مرة أخرى فى مسكيانه واقتتلوا جميعا فانهزم المسلمون وأسرعوا إلى الانسحاب بعد أن تمكنت الكاهنة من أسر جماعة من المسلمين.

عمدت الكاهنة إلى خطة جديدة لها بقصد إضعاف المسلمين وإرغامهم على الانسحاب من جميع البلاد. فقامت بحركة تخريب للمزروعات وخلع الأشجار وهدم الحصون.

إلا أن الكاهنة لم تصل إلى ما هدفت إليه بفعلها السلبى فى الهدم والتخريب إذ أن ذلك أصاب الأهالى بالغزع واضطروا إلى اللجوء إلى المسلمين يستنجدون بهم لما وقع عليهم من أضرار بالغة وقد استفاد المسلمون من تحول موقف سكان تلك البلاد من صفوف الكاهنة إلى صفوف الفاتحين.

وبدأ حسان يعمل على الاستعانة بأهل البلاد واتجه بعد ذلك إلى قابس

وعين عليها واليا يتبعه ورحب به أهلها.

ثم اتجه إلى قفصة واستولى عليها وعلى قسطنطينية ونفراوه ووردت
الأمدادات من مصر بعد تلك المعارك وجمع حسان جنوده واتجه إلى لقاء
الكاظمة مرة أخرى ووقعت معارك ضارية انتهت بمقتل الكاظمة عند بئر
عرف باسم الكاظمة بعدها.

مكنت هذه المعركة التي انتهت بمقتل الكاظمة المسلمين من القضاء
على مقاومة البربر في أفريقيا جميعها كما قضت على مقاومة البيزنطيين
من قبل. واستقامت لحسان البلاد.

ثم بدأ حسان حركة تعمير فأسس مدينة تونس على بعد اثني عشر كيلو
متر من قرطاجة، وبنى دار صناعة لانشاء الأسطول المغربي وأتى بالعمال
من مصر بأهلهم لتنفيذ خطته العسكرية ونظم إدارة الحكم.

على أن حسان بن النعمان لم يتمتع بثمرة هذا النصر فسرعان ما حقد
عليه عبد العزيز بن مروان والي مصر وأسند إلى موسى بن نصير عام
٧٠٤هـ / ٧٠٤م ولاية أفريقيا بدلا منه.

قدم موسى بن نصير إلى أفريقيا ونزل بالقيروان وكره عزم وإصرار
ليسط سلطان المسلمين على أفريقيا كلها، وبعد أن نشر جنوده للحراسة في
القيروان ونواحيها عمد إلى القلاع والحصون لفتحها وبدأ بقلعة زغوان على
مسيرة يوم من القيروان ففتحها، تمهيدا لفتح المغربين الأوسط والأقصى.

وأتى فتح المغرب الأوسط ثم اتجه بجنوده إلى المغرب الأقصى فوصل
طنجة وولى عليها طارق بن زياد ثم اتجه إلى السوس الأدنى والبربر

يفرون هرباً منه ثم أسرعوا إليه يطلبون منه الأمان وقدموا له الطاعة.

واستمر موسى في تقدمه في بلاد المغرب الأقصى وأخضع هواره وزناته وضهاجه وكتامه ونشر الإسلام بينهم وأقبلوا على الدين الجديد بحماس بالغ وانتشر الأمن في جميع الأنحاء.

لقد تمكن موسى بن نصير من تقريب الإسلام إلى البربر وحببهم فيه فلجح المسلمون في بسط نفوذهم على كل المغرب الأقصى.

ثم اتجه موسى بن نصير بعد ذلك إلى تقسيم المغرب لخمس ولايات هي برقة وأفريقيا وتشمل (تونس وطرابلس) والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والسوس (سجلماسة) واستقلت كل من ولاية برقة وطرابلس في شؤنها الداخلية فعمل ذلك على تشرب الأفارقة لتعاليم الإسلام ودخل في قلوبهم فأخلصوا لهذا الدين الجديد. ثم استكمل هذا الدور الخليفة عمر بن عبد العزيز فبعث بكبار العلماء إلى بلاد المغرب فتحول المغرب إلى دار للإسلام في جميع أرجائه. واستمرت أحوال المغرب على هذا المتوال مادام الحكام العرب يسرون على نهج الإسلام في المساواة بين العرب والبربر دون تفرقة في المعاملة بينهم.

فلما تبدلت سياسة الولاة من النقيض إلى النقيض وفرقوا بين العرب والبربر في المعاملات قامت الثورات وخرج البربر عن طاعة العرب.

ومنذ ولاية عبيد الله بن الحبحاب للمغرب في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) ونزلوا بالقيروان عام ١١٦هـ/٧٣٤م وجهز الحملات الحربية لتأمين البلاد في جميع الأنحاء. إلا أنه سار على

سياسة مخالفة لما سار عليها الولاة الأتقياء، ففرق في المعاملة بين العرب والبربر فكان لسياسته هذه أسوأ الأثر في نفوس البربر فقامت الثورات وناهض البربر العرب وتحولت المعارضة للعرب إلى نزاع مسلح مما ترتب عليه انفصال المغرب الأقصى عن الخلافة في دمشق الأمر الذي ترتب عليه ظهور المذاهب الدينية التي فرقت ليس بين العرب والبربر فحسب وإنما بين العرب أنفسهم.

المذاهب والعقائد:

لقد تذر البربر من أن العمال العرب صاروا يعاملونهم معاملة الخدم للذين يلزمهم أداء الجزية مع أنهم مسلمون صادقون في إسلامهم ويشتركون في الجهاد متحمسين لذلك تغيرت نفوس البربر وصارت تربة خصبة لدعاة الخوارج الذين جاءوا من المشرق لبذر بذور مبادئ الخوارج بين البربر.

لقد لجأ البربر إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يسأله أن يرفع عنهم ما يشكون منه، ولكن لم يؤذن لهم في الدخول عليه، فرجعوا وهم يشعرون بخيبة الأمل وهنا أدرك البربر أن الخوارج على حق فيما يقولونه من أن ظلم العمال لهم إنما هو بأمر الخليفة نفسه، وأن الخليفة بسبب جشعه للحصول على الأموال هو الذي يكرهم على أن يمتصوا دم الرعايا.

ولهذا ثار البربر ثورة مريعة بقيادة أحد الخوارج امتدت من مراکش إلى القيروان. وتبين أن أمراء أفريقيا غير قادرين على أن يفعلوا إزاء هذه الثورة شيئا.

وفي عام ١٣٢هـ / ٧٤١م ظهرت في ميدان القتال بالمغرب الأقصى

جحافل خيل الشام وكان على رأسهم كلثوم بن عياض عامل دمشق . ولكن على الرغم من قوة شكيمتهم فى القتال هزموا أمام فرسان البربر الذين كانوا أشبه بالعراة وقتل كلثوم فى معركة كبيرة عند نهر نوام .

لقد استطاع البربر باسم الاسلام أن يضربوا العرب فى المغرب أشد ضربة وإن كان العرب قد أحرزوا نصرا فى السنة التالية واستطاعوا بفضلهم أن يستولوا على القيروان وأن يثبتوا أقدامهم فيها .

الخوارج والبربر:

الخوارج جماعة ظهرت بظهور الخلاقات التى قامت بين الخليفة على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان . خرج جماعة من جنود على بلغ عددهم اثنا عشر ألف رجل وعسكروا فى حروراء فسموا الخوارج أو الحرورية وجعلوا شعارهم «لا حكم إلا لله» ، ونادوا بالمساواة بين الناس ، فقوى امرهم واشتد .

استشهد على بن أبى طالب بيد خارجى عام ٤٠هـ / ٦٦٠م وقامت الدولة الأموية ، واعتلاء معاوية كرسى الخلافة فاعترض الخوارج حيث رفضوا خطته السياسية المغايرة لسياسة الخلفاء الراشدين من قبل .

قام الصراع بين الأمويين والخوارج وانضم الخوارج إلى معارضى معاوية ، ووقفوا مع ابن الزبير ضد الأمويين ثم اختلفوا مع ابن الزبير وانفصلوا عنه واتجهوا إلى البصرة وكان منهم عبد الله بن أباض ، ونافع بن الأرق ، وعبد الله بن صفار .

ولما قصت الدولة الأموية على الحركة الزبيرية اتجهوا للخوارج

وتمكنوا من القضاء عليهم إلا أنهم اتخذوا من جنوب شبه الجزيرة العربية مقر لنشاطهم المذهبي وازداد نشاط الخوارج في أرجاء الدولة الإسلامية .

قامت الثورة في المغرب الأقصى عام ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م كما قامت الأباضية التي انتشرت في إقليم طرابلس وجبل نفوسة وتعقبهم عبد الرحمن بن حبيب منذ عام ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م حتى علم أن رئيسهم في طرابلس عبد الله بن مسعود التجيبي فبعث إليه أخاه إلياس فقتله فبايع الأباضيون الإمام الحارث بن تليد الحضرمي عام ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م وقويت الأباضية حتى صار إقليم طرابلس وامتداد إلى قابس في تونس تابعا للأباضية، ثم اغتيل الحارث ومعاونه عبد الجبار في عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م ثم تغلب الأمويون على الأباضية .

ومع تطور الأحداث بالشرق وقيام صراع دموي بين الأمويين والعباسيين انتهى باستشهاد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وعلى أنقاض الأمويين قامت الدولة العباسية في عام ١٣٢ هـ / ٧٥١ م .

العباسيون والأباضية:

اختلف حبيب بن عبد الرحمن الوالي للدولة العباسية على أفريقيا مع قبيلة ورنجومه وتولى عبد الملك بن أبي الجعد بعد مقتل عاصم بن جميل زعيم ورفجومه . واستخدم ابن أبي الجعد القسوة في معاملة سكان القيروان وخاصة العرب وأباح لجنوده الاعتداء على الأموال والمقدسات الإسلامية .

وفي ظل تلك الظروف المواتية للأباضية اتفق الأباضية من عرب وبربر في منطقة طرابلس وجبل نفوسة أن يعملوا على إقامة إمارة مستقلة

لهم ينتظمون فيها شئونهم بما يتفق مع تعاليمهم ومبادئهم واختاروا لهم إماما اشترطوا عليه أن يسير على نهجهم، وسار الأباضية بعيدا عن الأضواء وفي سرية تامة حتى ظهور أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري وأرادوا الظهور بالدعوة إلى العلانية.

وفي عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م لجأوا إلى أبي الخطاب عبد الأعلى السمع المعافري وهو من قادة العرب وأباضى المذهب لينقذهم مما حل بالقيروان.

أسرع أبو الخطاب بالدعوة بين العرب والبربر أتباعه إلى الدفاع لنصرة الإسلام ومحاربة ورفجومه الظالمة المناهضة للإسلام فاجتمع حوله جموع القبائل وهواره وهى من أكبر القبائل البربرية ثم انطبق إلى القيروان، ودارت رحى القتال بين الأباضية وابن أبي الجعد وانضم أهل القيروان إلى الأباضية بسبب مالا قوة من قهر ورفجومة وانتهت المعركة بانتصار أبي الخطاب وقتل عبد الملك بن أبي الجعد واستولى عبد الأعلى الأباضى على القيروان.

بدأت المعركة الأباضية السرية يقودها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهو الذى عمل على تشكيل جماعة سرية تعمل على نشر مذهب الأباضية، وخصص مدارس لتخريج الدعاة وأطلق عليها حملة العلم، وبهؤلاء انتشرت الأباضية، فى أنحاء العالم الإسلامى حتى وصلوا إلى المغرب.

وفي المغرب دعا سلمة بن سعد الحضرمى إلى المذهب الأباضى وعمل على تشجيع أتباعه بالرحيل إلى المشرق العربى للتفقه فى أصول الدعوة وتعلمها من شيخ الأباضية وإمامهم فى البصرة وهو أبو عبيد مسلم بن أبي كريمة التميمي.

وممن برز من طلاب الدعوة الأباضية عبد الرحمن بن رستم من القيروان.

وقد تمكن العباسيون من محاربة الدعوة الأباضية، وقتل أبا الخطاب المعافري في عام ١٤٤هـ/٧٦١م في معركة تاورغا من أرض سرت بطرابلس.

تولى عبد الرحمن بن رستم ولاية القيروان بتكليف من أبي الخطاب الذي غادرها إلى طرابلس - واستطاع عبد الرحمن بن رستم أن يضم كثيرا من الأتباع وتحالف مع القبائل البربرية وتحالف مع قبيلة لماية من البتر.

ولما حارب العباسيون الأباضية في طرابلس وتغلبوا عليهم وبلغ عبد الرحمن بن رستم مقتل أبي الخطاب في معركة مع العباسيين وكان متجها إليه في طرابلس غير إتجاهه وسارع إلى تاهرت بالمغرب الأوسط حيث أسس الدولة الرستمية هو وأولاده واستمرت نحو مائة وخمسين عاما.

ويرجع ذلك إلى أن الأباضية رأوا أن تكون لهم دولة تحميهم وتذود عنهم.

اتفق الأباضية ومنهم قبائل لماية وهواره وزواغة ومطماطة وزناته ومكناسه على أن يجعلوا عبد الرحمن بن رستم إماما لهم، واجتمعوا على إقامة مدينة تاهرت وشرعوا في بناء المدينة عند سفح جبل جزول، حيث المكان شديد الحصانة وحاول العباسيون اللحاق بعبد الرحمن بن رستم إلا أنهم فشلوا في خطتهم.

وقع الاختيار لبناء مدينة تاهرت غربى الجزائر قريبا من مدينة تاهرت التى عاصرت الدول السابقة من الرومان والبيزنطيين، وهى منطقة غابات صالحة للزراعة ولكنها تسكنها الوحوش، إلا أن ذلك لم يثنهم عن الاستقرار والعيش بها خاصة وأن المياه تجرى فيها بصفة دائمة من نهريّن الأول يسمى نهر ميله والآخر يأتى بالمياه من عيون تاتسن.

لم تكن هذه الأرض خالية من السكان فقد سكنها جماعة من مرداسة وصنهاجه البربرية، وقد تعايشوا مع الأباضية فى وئام، ولم تستأنس الوحوش تلك المنطقة بعد ما ازدحمت بالسكان وهجرتها إلى غير رجعة.

وهكذا اطمأن الأباضية لمباشرة حياتهم فى أمان، وبايعوا ابن رستم إماما لهم فى عام ١٦٠هـ/ ٧٧٦م. ثم بدأ الأباضية فى بناء المسجد وألحقوا به مصلى للجنائز كما أنشأوا سوراً حول المدينة وخصصوا له أبواب وبذلك صارت المدينة محصنة من الأعداء. ثم بدأ رستم فى تثبيت أركان دولته ووضع الخطط لنظام الحكم والإدارة مما ساعد على رسوخ واستقرار الأحوال للدولة الجديدة.

وترتب على ما تقدم أن مدينة تاهرت صارت كعبة للقصاد من أهل المشرق والمغرب ومن الأندلس.

كما دخلها التجار ورجال الأعمال ورجال الصناعة والأدباء والفنانين مما ساعد على نمو المدينة وازدهارها فى مختلف النواحي من عمران وزيادة ثرواتها.

بعد ذلك عمد عبد الرحمن بن رستم إلى تشكيل مجلس من سبعة أفراد

لاختيار خليفة من هؤلاء السبعة وبعد وفاة عبد الرحمن بن رستم فى عام ١٧١هـ/٧٨٧م وقع الاختيار على ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ليكون خليفة لوالده عبد الرحمن وواجهته معارضة لإمامته إلا أن عبد الوهاب تمكن من التغلب عليها وبقي إماما للأباضية حتى عام ٢١١هـ/٨٢٦م.

وقد خالف الأباضيون أنفسهم حين جعلوا الإمامة وراثية، وهذا يناقض إنكار النظام الوراثةى للخلافة، ولذلك حدث الانشقاق فى صفوف الأباضية وظهرت فيهم طائفة النكارية التى خرجت على الأباضية. وأنكرت إمامة عبد الوهاب الوراثةية، إلا أنه قضى عليها وانضم جبل أوراس إلى الأباضية. ولما عاودت المعارضة نشاطها فشلت وتغلب الأباضيون على الثورة التى قتل قائدها وتفرقت أتباعه.

وبعد وفاة عبد الوهاب خلفه فى الإمامة ابنه أملح بن عبد الوهاب الذى استطاع أن يقود البلاد بأمان حتى ارتقت أحوال الدولة الرستمية ونمت حضارتها للغاية.

وتتابعت قيادة الدولة الأباضية فى أحفاد عبد الرحمن بن رستم حتى جاء الإمام اليقظان بن أبى اليقظان محمد وفى عهده انهارت الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م.

أما الأباضية الذين فى طرابلس فقد خضعت للعباسيين وبقي يسودها الهدوء والاستقرار حتى عام ١٧٠هـ/٧٨٦م نهاية ولاية يزيد بن حاتم المهلبى الذى ضم إقليم برقة إلى مصر. ثم صارت ولاية المغرب إلى روح بن حاتم. واستمرت الأحوال فى هدوئها حتى عام ١٨١هـ/٧٩٧م. ثم

تحولت الولاية للمغرب إلى إبراهيم بن الأغلب التميمي .

ظهرت دولة الأغالبة في أفريقيا (تونس) نتيجة للسياسة التي سار عليها الخليفة العباسي الرشيد في بلاد المغرب وهي العمل على إخماد ثورة البربر والوقوف في وجه الأدارسة في حالة تمردهم ضد العباسيين فعهد العباسيون بولاية أفريقيا إلى إبراهيم بن الأغلب عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م .

عمل إبراهيم بن الأغلب على ضبط الأحوال وبنى مدينة العباسية بجوار القيروان .

ولما صارت طرابلس تابعة للأغالبة عينوا عليها عمالا من قبلهم فقامت الثورات الأباضية في طرابلس ويمدهم إخوانهم في تاهرت بالإمدادات لمساعدتهم على المقاومة .

وفي عام ١٩١هـ / ٨٠٦م ثار الأباضيون في طرابلس في عهد واليها إبراهيم بن الأغلب ولكنه تغلب على الثورة وفي عام ٢٦٥٠هـ / ٨٧٨م ثار بإقليم برقة عباس بن أحمد بن طولون ضد أبيه والي مصر وجعل من برقة قاعدة له .

ثم قام بحملة عسكرية لمهاجمة طرابلس إلا أنه هزم في المعركة ثم تغلب عليه أبوه في عام ٢٨٦هـ / ٨٩٩م وولى على برقة واليا من قبله فقام بتدارك ما حدث من أخطاء بها .

وفي عام ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ثار الأباضيون في جبل نفوسة ضد الأغالبة إلا أن إبراهيم بن أحمد الأغلبى قضى عليها .

ولما عمل الأغالبة على الاستقلال بحكم المنطقة، وجعلوها وراثية في

أبنائهم، ولم تكن للخليفة سوى الخطبة والدعاء على المنابر، واحتفظ الأغالبة بالسلطة الحقيقية وإدارة البلاد في أيديهم، واستمرت على ذلك مدة قرن وتمكنوا خلالها من تدبير الأمور كأحسن ما يكون حتى تربع بهم الفاطميون وقضوا على دولتهم في عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م.

حاولت الدولة الفاطمية في عام ٢٩٦هـ/٩٠٨م بسط سلطانها على طرابلس واستولت عليها ثم قامت بإرسال جيش إلى برقة واستولت عليها من العباسيين، ولأن الولايتين برقة وطرابلس على غير المذهب الفاطمي، حيث برقة سنية تأخذ بمذهب المالكية وطرابلس تتبع الإباضية ولذلك عارضت كلاهما سيطرة الفاطميين عليها وقامت طرابلس في عام ٢٩٩هـ/٩١١م بالثورة ضد الفاطميين ونكلوا برجال كتامة أتباع الفاطميين فأرسل الفاطميون حملة عسكرية برية وبحرية وحوصرت طرابلس حصارا اضطر أهلها إلى طلب الصلح. وهدأت الأحوال في طرابلس وأذعنوا السلطان الفاطمي.

ثم ثارت برقة في عام ٣٠٤هـ/٩١٦م فعاقبها الفاطميون بقسوة. وفي عام ٣١٠هـ/٩٢٢م ثار الأهالي الإباضية في جبل نفوسة ضد الفاطميين فلم يمهلم الفاطميون وأنزلوا بهم شر هزيمة.

وهكذا ظلت الأحوال في ليبيا حتى جاء عام ٣٦١هـ/٩٧١م فانتقل الفاطميون إلى عاصمتهم الجديدة في مصر وأنشأوا القاهرة التي صارت عاصمة للدولة الفاطمية.

واستخلف الخليفة الفاطمي المعز، بلكين بن زيري زعيم صنهاجه نائبا له على أفريقيا (تونس) والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وجعل

الفاطميون من ولايتى برقة وطرابلس ولايتين تابعتين للدولة الفاطمية بالقاهرة.

وفى عام ٣٦٧هـ / ٨٨٠م جعل الخليفة المعز تبعية طرابلس إلى بلكين الصنهاجى وصار الولاية فى طرابلس تابعين إلى بلكين ومن بعده أبنائه المنصور ثم باديس. وفى عام ٣٩٠هـ / ٩٩٩م وفى ولاية عسيلة بن بكار من قبل باديس الصنهاجى قام هذا الوالى بتسليم طرابلس إلى يانس الصقلى حاكم برقة فأسرع باديس بارسال جيش لحصار طرابلس وعندئذ قام رجل من زناته يدعى قفل بن سعيد بحركة سياسية بارعة تمكن خلالها من الاستيلاء على طرابلس وأقام بها دولة بنى خزرون. وتحولت طرابلس بفضل جهود أهل طرابلس وقفل الزناتى من المذهب الفاطمى الشيعى إلى المذهب السنى، وظل الحال على ذلك حتى منتصف القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى.

أما إقليم برقة فقد تخلى عنه الفاطميون وحكمها بنو قرنة.

وفى عام ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م خرج المعز بن باديس عن طاعة الفاطميون وقطع خطبة الخليفة الفاطمى المستنصر بالله وأعلن ولاءه للدولة العباسية استجابة لشعوب البلاد المغربية التى تأخذ بالمذهب المالكى، فحقد عليه الفاطميون، فكتب إليه المستنصر الفاطمى يتهدده وقال له هلا اقتضيت أثار أبائك وأجدادك فى الطاعة والولاء لنا؟

فأجاب : إن أبائى وأجدادى كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك. ولو آخرتهم لتقدموا بسيوفهم واستمر على قطع الخطبة، فاستعظم الخليفة هذا الأمر ورأى أنه أصبح بين نارين، قد اعتوره عدوان قويان فإن رضى بهذا

الخروج سقطت هيبه حكمه وزلزل سلطانه ، وإن هو حاربه خاف العباسيين فسكت مرتقبا الفرص وسوانح الحظوظ.

ومضى على ذلك زمن وهو يدارى الأمور بالصبر ويداورها بالحيلة ، بالرغم من موقفه الحرج.

فلما استوزر الخليفة أبا محمد اليازورى وكان بينه وبين المعز ماكان من الجفاء. فكر فى اقناع القبائل العربية ليقذف بهم إلى المغرب فانتدب مكين الدولة بن ملهم لعقد الصلح بين زغبة ورياح وسليم وهلال وغيرهم إذ كان بينهم حروب متواصلة وأحقاد متوارثة ومنافسات على الزعامة متأصلة فتم له ذلك، وأحضر رؤساءهم عند الوزير اليازورى فنفحهم بالعطايا وخلع عليهم خلعا سنية، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة وزودهم بالوصايا القيمة ووعدهم بالمدد والعدد وأمرهم بقصد بلاد أفريقيا على أن يكون كل مافتحوه إقاطعا لهم، فنشط العرب وساروا إلى أفريقيا عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م.

وكتب اليازورى إلى المعز ،أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقض الله أمرا كان مفعولا.

وهنا يظهر أن اليازورى أعلن الحرب على ابن باديس بإرساله العرب، وتأبيده لهم بهذه الرسالة، وربما يقال إنها كانت رسالة شخصية لما بينهم من المنافسات السياسية السابقة.

فلما وصل العرب إلى أرض برقة وصلوا بها وطورا مارلاها، وجدوا بلاد كثيرة خصبة المرعى، خالية من الأهل، لأنها كانت ملك زناته البربرية التى أبادهم وعسف بهم المعز فأقام العرب واستوطنوها وعاشوا فى

أطراف البلاد. فتقاعدت قبائل صنهاجة عن مقاومتهم تجنباً لشركهم، ولأنهم كانوا على خلاف مع المعز. فلما علم المعز بقدوم العرب احتقرهم ولم يبال بتخاذل صنهاجة لأنه كان يملك ثلاثين ألف مملوك كلهم ينعم في واسع عطائه فأهملهم وشأنهم فتقدم العرب وملكوا طرابلس عام ٤٤٦هـ/١٠٥٢م فتسامعت القبائل وأخذ الوزير يتابع إرسال النجدات إليهم من القبائل العربية مثل الأثيج وعدكويقايا رياح وزغبه فقوى شأن العرب وقطعوا السبل، وأرادوا أن يتقدموا إلى القيروان عاصمة البلاد فمانع الأمير مؤنس بن يحيى المرديسي لأنه كره المبادرة وفضل خطة الكر والفروالعيث في البلاد لإرهاب السكان وإخافة الحكومة، فسأله ماذا يجب أن نصنع؟ فأخذ بساطاً كبيراً وفرشه وقال لهم من يدخل إلى وسط البساط من غير أن يمشى عليه فقالوا لا نقدر على ذلك، فقال وهكذا القيروان خذوا من البلاد شيئاً فشيئاً، حتى لا يبقى إلا القيروان ومن ثم حاصروها وخذوها. أما إذا حاصرتموها الآن فإن القبائل التي تسكن في أطرافها وتحيط بها يضايقوكم ويتخطفون أبناءكم. فقالوا له أنت شيخ العرب وأميرها.

وأنت المقدم علينا ولا نقطع أمراً دونك.

وهنا طلب المعز أن يجتمع بالعرب فاتفقوا على أن ينتدبوا من رؤسائهم وفداً إليه ليسبروا غوره وليقفوا على دخيله أمره، فذهبوا إليه وقابلوه فأكرمهم وبذل لهم شيئاً كثيراً. من العطايا والمنح، آملاً أن يدفعهم بالحسنى ويخدعهم بالمال، فلما خرجوا من عنده، ذهبوا إلى قروهم وحرصوهم على الحرب وقابلوا عطاياهم بالعنف وشنوا الغارات وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن فضاق بالناس الأمر وساءت أحوالهم وانقطعت أسفارهم فاحتلف المعز بالأمر ورأى أن هذه الغارة الطارئة أصبحت فتحاً واحتلالاً.

وجمع عساكره فكانوا ثلاثين ألف فارس ومثلهم مشاة وسار بهم إلى جبل جندران الذى يبعد مسيرة ثلاثة أيام من القيروان.

فلما رأى العرب عساكر صنهاجه والعبيد مع المعز هالهم ذلك وعظم الأمر عليهم لأنهم كانوا أقل من ذلك فقال لهم الأمير مؤنس ما هذا اليوم يوم فرار ولا يوم تخاذل، وإنما هو يوم صبر ونصر.

التحم الجيشان، واشتد القتال، واستعرت الحرب وثبتت أقدام العرب وانهزمت صنهاجه لأنها كانت غير راضية عن المعز وكانت غير صادقة النية.

وبقى المعز مع عبيده ومماليكه يقتلون بلاءهم فثبتت أقدامهم ولم ينزحزها فقتل منهم خلق كثير فخرجت صنهاجة من هزيمتها، فى حين أن العبيد والمماليك ثبتوا، وحاولت تسترد هيبتها وكرامتها فجريت أن تلف وتلطوى على العرب من ورائهم فلم يستطيعوا لأنهم أتوا متأخرين وقتل منهم عدد عظيم، فترجع المعز إلى القيروان مهزوما على كثرة من معه من جنود محاربين، وغنم العرب الخيل، الكثير والخيام وما فيها من مال ومناخ.

ثم جمع المعز جموع زناته وصنهاجة وخرج بنفسه لمحاربة العرب والقضاء عليهم، فلما أشرف على منازلهم جنوب جبل جندران نشب القتال واشتعلت نيران الحرب وكان عدد العرب سبعة آلاف، فانهزمت صنهاجة وولى كل منهم إلى منزله وانصرفت زناته وثبت المعز فيمن معه من العبيد ثباتا عنيدا حتى خارت قواهم فانسحب المعز إلى المنصورية.

ثم هاجم العرب المنصورية وزقاده ورأى المعز أن يسمح للعرب بدخول القيروان، وجعل لهم سوقا ليشتروا منه ما أرادوا ويبيعوا مما فاض معهم وفقا لما هو متبع في ذلك الحين بين المتحاربين.

فلما وصل العرب القيروان لم تراع العامة هذه القواعد واستطالت على العرب ووقعت المشاجرات التي انتهت بانتصار العرب ودخولهم القيروان عام ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م وانسحب المعز بن باديس إلى المهديّة.

أما العباسيون الذين بايعهم المعز بن باديس فلم يقدموا إليه أية مساعدة لبعد المسافة وتعذر المواصلات وللاختلال الداخلي الذي هدد كيان الدولة.

وبقى العرب لهم الزعامة في أفريقيا وطرابلس واستقرت زغبة ورياح في برقة وطرابلس، كما استقر بنو هلال وسليم في منطقة تونس ومايلها غربا.

فكان لسليم الشرق ولهلال الغرب وانحصر سلطان الدولة الزيرية المحدودة جدا في المنطقة الساحلية المحيط بعاصمتهم المهديّة.

وقد استمرت الدولة الزيرية الصنهاجية بعد ذلك مايقرب من مائة عام بفضل مهادنتها للقبائل الغربية .

وقود العرب حتى تمكنوا من السيطرة على قبيلة صنهاجة ثم قبيلة زناته وأخضعوا لسلطانهم القبيلتين، ولكنهم لم يؤسسوا لهم دولة وظلوا على رقائهم في السهول. وكونوا لهم بعض الإمارات الصغيرة مثل أسرة جامع من دهمان من بنى على من بطون رياح التي أسست إمارة عربية بمدينة قابس ونجحت في جعلها حاضرة صغيرة مزدهرة مليئة بالقصور والبساتين

والعمائر، كما عمل العرب على تعريب القبائل البربرية بالمغرب.

فإذا كانت الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بالمغرب فإن الهجرات الهلالية قد جاءت لتضيف إلى ذلك الدم العربى وتعديل التكوين الجنسي والعنصرى لسكان المغرب حتى أصبح العنصر البربرى القديم لا يلتص إلا فى معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة، ولا يميز إلا ببعض الظواهر اللغوية.

وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة الشمال الأفريقى ملامح جديدة وظهرت أجيال من العرب والبربر أقوى وأشد شكيمة ومراسا.

لقد بقيت تلك القبائل العربية مهيمنة على أغلب أفريقيا (تونس) وطرابلس حتى ظهر المرابطون فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ثم أعقبهم الموحدون من بعدهم.

وقد شاركت القبائل العربية بأفريقيا ضمن قوات المرابطين التى عبرت الأندلس بقيادة يوسف بن ناشفين خلال جوازه الثالث فى عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م حيث جهز الجند من المرابطين والعرب والأندلس مثال ذلك وقعة كنسويجرا التى وقعت فى عام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م وشارك العرب مع المرابطين ضد أعدائهم.

كما شارك العرب مع المرابطين فى موقعة أقلش عام ٥٠١هـ/١١٠٨م وكذلك شارك العرب مع المرابطين فى عام ٥١٣هـ/١١١٩م بعد استيلاء المسيحيين على قلعة أيوب فى شرق الأندلس وعبور على بن يوسف إلى الأندلس للمرة الثانية لمحاربتهم.

ثم قامت دولة الموحدين وهى دعوة دينية إصلاحية طابعها التجديد وإعلاء راية الإسلام شامخة لتحقيق اتحاد إسلامى عالمى.

عمل الموحدون على ضم جميع العرب فى أفريقيا لمشاركتهم فى الجهاد ضد الأعداء فى بلاد الأندلس وقد لى العرب النداء الموحدى.

وفى عام ٥٤١هـ/١١٤٦م دخل الموحدون يقودهم عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط فانضم إليه عرب الأثبج وجشم وبايعوه، فعقد لأبى خليل بن كسلان من عرب الأثبج ولحباس بن مشيغر على عرب جشم. ثم بدأ بالإستيلاء على بجاية بالمغرب الأوسط (الجزائر).

بدأت العلاقات بين غرب أفريقيا والدولة الموحدية بداية درامية عنيفة فقد عارض العرب الموحدين لرغبتهم فى الاحتفاظ باستقلالهم عن الدولة الموحدية. فعقدوا حلفاً مع صنهاجة أفريقيا المجاورين لهم وهاجموا الجيش الموحدى وتمكنوا من هزيمته ثم قاموا بمحاصرة القيروان. ثم هجم موسى بن يحيى الرياحى المرداسى على مدينة باجة واستولى عليها، وعندئذ اتجه إليهم عبد المؤمن على رأس جيش كبير بلغ تعدادة ثلاثين ألف فارس. فقام حلف أفريقى من الأثبج وزغبه ورياح وبلوقرة يقودهم زعيمهم يحيى بن عبد العزيز لمواجهة الموحدين فى بجاية.

وفى ناحية سطيف بدأ القتال بين عرب أفريقيا والجيش الموحدى فى عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م واستمر أربعة أيام فانهزم العرب أمام الجيش الموحدى وقد تركوا خلفهم أموالهم ونساءهم وأولادهم وتعقبهم الموحدون حتى حصن تبسه بجبل الأوراس ثم عاد الموحدون إلى الغنائم فاستولوا عليها واحتفظ عبد المؤمن بالنساء والأولاد وجعلهم فى رعايته وأبلغ أمراء العرب بذلك

وأعلن لهم العفو العام.

وهنا أقبل إليه أمراء العرب وهم ديفل بن ميمون وحباس بن الرومية
وبن الزحماس وابن زيان وأبو قطران وأبو عرفة والقائد ابن معرف فأعاد
إليهم أهلهم فضلا عن المنح والأموال الكثيرة فتآلفت القلوب وصاروا إتحادا
عربيا موحديا شاملا.

وبلغت دولة الموحدين من القوة إلى درجة السيطرة على الإمارات
العربية في أفريقيا فاستولى الموحدون على قابس من بنى كامل من رياح
وقصه من بنى الورد، وطبرقة من مدافع بن علال وجبل زعوان من بنى
حماد بن خليفة وشقباريه من بنى عماد بن نصر الله الكلاعي والأريس من
بنى فتاته العربى وبنزرت من عيش بن مقرب بن طراد من بنى الورد
الخمس.

ثم بسط سلطانه على ليبيا وأفريقيا إلى المغرب الأوسط.

وفى عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م قسم تلك البلاد من ليبيا إلى المغرب
الأقصى ووضع عليها الخراج فكان على القبائل من عرب وبربر تقديم
عليها من الزروع والمواشى والأموال.

ولما خشى عبد المؤمن من احتمال عصيانهم أخذ ألفا من كل قبيلة
يحيالهم من عرب بنى رياح وبنى جشم الموحدية. وجعلهم جنودا له
يطرب بهم الأعداء من الفرنجة.

وفى عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م بادر الموحدون بالهجوم على النورمان
وطردوهم من ساحل أفريقيا (تونس) وصارت المهدية تحت سلطانهم. وفى

نفس العام توجه وفد من طرابلس من كبار رجالها يتزعمهم ابن مطروح لمقابلة عبد المؤمن الخليفة الموحدى فرحب بهم، وخاصة بابن مطروح حاكم طرابلس الذى كان له فضل تحرير طرابلس من الحامية الصقلية وولاه طرابلس نيابة عنه.

ثم انتقلت أحوال العرب بعد ذلك من الصراع الداخلى إلى الوحدة والتعاضد ثم الالتفاف حول الدولة الموحدية والتوجه تحت قيادتها لمواجهة الفرنجة بالبلاد الأندلسية.

وسبب اعتداءات الفرنجة على عرب الأندلس توجه أبو حفص إلى الأندلس فى ٥٦٠هـ/١١٦٥م على رأس جيش شارك فيه العرب وشغلوا مقدمة الجيش بعدة آلاف من خير فرسانهم فى قتال لتحرير قرطبة من أبى مردنيس وتقابل الجيشان بحصن لك بنواحى قرطبة ودامت الحرب يوما كاملا كشف العرب فيه من الشجاعة مايفرق الوصف.

واضطر ابن مردنيس لإجراء تعديل فى خطة الحرب فقسم جيشه لثلاثة أقسام وجعل القسم الأول لمهاجمة العرب الذين فى مقدمة الجيش العربى الموحدى وثبت العرب ثبوتا قويا مكن الفرق الأخرى من الجيش الموحدى من التصدى للعدو والالتفات حوله وهزيمته وانسحب ابن مردنيس هاربا.

ثم واصل الجيش العربى الموحدى القتال ضد الجهات المجاورة واستولى على الغنائم من غلبه وقرباقه فى نواحى بسطه ولورقه.

وقد استشهد فى تلك المعركة سبعة من كبار فرسان العرب. وهكذا بلغ

للتضامن العربى مع الدولة الموحدية أقصاه، وأعلن الموحدون إعجابهم
بإخلاص العرب ونشروا ذلك على الملأ واسندوا إليهم حماية المدن
الأندلسية من الأعداء.

على أن الموقف تغير بعد تولية أبى يوسف يعقوب (المنصور)
للموحدى عام ٥٨٥هـ/١١٨٤م وذلك بعد ظهور معارضة من بنى غانية .
بقايا الدولة المرابطية . وقد حالفهم ضد الموحدين جماعة المماليك الغز
بقيادة قراقوش ومن عرب بنى هلال وسليم بأفريقيا بعد انهيار دولة
المرابطين واستقر بنو غانية وهم من قبيلة مسوفة الصنهاجة وتولوا
المناصب الكبرى فى العهد المرابطى ثم لجأوا إلى جزر البليار وأعلنوا
تبعيتهم لبنى العباس فالتف حولهم بقايا المرابطين وقد بقى بنو غانية على
معارضتهم للموحدين وهم فى نفس الوقت يحاربون القوى الصليبية
واستخدموا اساطيلهم فى القيام بغارات بحرية على سواحل قطلونيا وجنوب
فرنسا .

ثم رأى بنو غانية مهاجمة بجاية بالمغرب ودخلوها فى عام
٥٧٩هـ/١١٨٣م وفر الموحدون إلى تلمسان بعد هزيمتهم أمام بنى غانية فى
ياميلول . ثم واصل بنو غانية الاستيلاء على الجزء الشرقى من المغرب
الأوسط وبعض القلاع والمدن . على أنه سرعان ما استرد الموحدون بجاية
ومدينة أشير فى عام ٥٨١هـ/١١٨٥م .

ثم تحالف بنو غانية والمماليك الغز وعرب بنى سليم وجمع قراقوش
الأرمنى قواته متجها من المغرب إلى فزان للاستيلاء على فزان وطرابلس
وانضمت إليه رياح يقودها مسعود بن زيان زعيم الزواودة الخارج عن

طاعة عبد المؤمن وعرب بنى تياب. كما فتح جبل نفوسة. وبعد فتح طرابلس اجتمع حوله العريان.

كما قام ابراهيم بن فرانكين بالانضمام إلى الموحدين فعارضه عرب أفريقيا لميل بعضهم للدعوة العباسية.

وفي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م جمع يعقوب المنصور قواته وتقابل مع بنى غانية بالحمه لى بعد أيام من القيروان وتمكن من هزيمتهم وفر ابن غانية حيث قامت من أثر جرح أصابه فى المعركة ثم تولى بعده أخوه يحيى الذى اختفى فى الصحراء، وتتبع المنصور الموحدى بنى غانية والعرب ثم لجأ إليه العرب وأعلنوا خضوعهم فنقل قبائل بنى هلال بن عامر وجشم بن معاوية بن بكر من بلادهم إلى المغرب الأقصى فنزلت قبيلة رياح من بنى هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامة (القصر الكبير) أزغار البسيط الأفيج هناك إلى ساحل البحر الأخضر (المحيط الأطلسي) حيث استقرت، وطاب لها المقام هناك.

ونزلت قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط ما بين سلا ومراكش وهو أواسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار لإحاطة جبل درن بها مما أضطرهم إلى الاستقرار.

وقد نتج عن هجرة هذه القبائل العربية إلى بلاد المغرب الأقصى استكمال عروبة المغرب الأقصى ومزجه بالدماء العربية، فكان ذلك تنمة لما قامت به دولة الأدارسة حين أدخلت الحضارة الإسلامية هناك من قبل. وبعد ما حققه المنصور الموحدى من انتصارات عمل على ضم

الممالك إلى جندة فأسرع قراقوش إلى الدخول في طاعة المنصور. ثم عاد وأعلن الثورة على الموحدين في عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م واستولى على قابس. وفي عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م جمع المنصور وفودا من عرب سليم ورياح والحقهم بفاس ضيوفا على الدولة لمدة أسبوع ثم أنعم عليهم بالعطايا وأعادهم إلى بلادهم مكرمين ليبقرا على ولائهم له.

وبعد وفاة المنصور عام ٥٩٥هـ / ١١٩٩م. تحول التحالف العربي الموحدى إلى تحالف صورى ثم انقلب إلى عداء وحرب للموحدين ولكن تغلب الجيش الموحدى فى النهاية على التحالف العربى مع بنى غانية وذلك فى عام ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م فاضطر العرب إلى الانسحاب إلى طرابلس، وهناك أرغم العرب على محاصرة قراقوش فى ودان حتى أعلن استسلامه للعرب فى عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م.

وهكذا عاد النفوذ الحفصى الموحدى إلى تلك الأقاليم من ليبيا إلى أفريقيا. واسترد الموحدون طرابلس عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م وعاشت طرابلس تابعة لحاكم تونس منذ عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م.

ثم تغيرت الظروف حين تمكن أبو زكريا الحفصى من إقامة الدولة الحفصية عام ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م وجاهد فى تعميرها حتى قويت وامتد وجودها حتى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى). وظلت طرابلس فى العهد الحفصى فى ازدهار اقتصادى فى الزراعة والتجارة.

ثم خلعت طرابلس تبعيتها للدولة الحفصية، حين قدم إليها أبى عمارة أحمد بن مرزوق، الذى ادعى أنه ابن الخليفة الواثق المخلوع وأن اسمه الفضل فبايعه كثيرون من بنى سليم وخضعت له طرابلس ومايلها غربا.

إلا أن عمر بن أبي زكريا الحفصي تمكن من استعادة طرابلس عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م وأعلن والي طرابلس محمد بن عيسى الهنتاني تبعيته لأبي زكريا الحفصي.

وفي عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م حاول ملك أرجون غزو طرابلس ولكنه فشل في محاولته.

وفي عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م قدم إلى طرابلس الأمير الحفصي أبو يحيى زكريا بن محمد اللحياني فرحب به الأهالي وشجعوه على بسط سلطانه على تونس حيث فسدت الأحوال فيها ورحب الأمير الحفصي بالدعوة وتوجه إلى تونس في عام ٧١١هـ/١٣١١م ووقف خلفه عرب طرابلس حتى تمت له البيعة في تونس وبقي في حكمها ست سنوات. ثم ظهر في تونس أمير قسنطينة وتغلب على الأمير الحفصي الذي انسحب إلى طرابلس على أمل الاستعداد والعودة لاسترداد تونس وخلف فيها ولده محمد (أبوضريه)

وشكل أبو يحيى زكريا جيشا في طرابلس تمكن به من توسيع ملكه في نواحي طرابلس.

ولما فشل محمد أبوضريه في الاحتفاظ بما في يده في تونس وتغلب عليه أمير قسنطينة، رحل أبو يحيى زكريا عن طرابلس ولجأ إلى مصر في عهد السلطان المملوكي قلاوون تاركا ولاية طرابلس لصهره محمد بن عمران الذي بقي في ولايته بطرابلس حتى ثار عليه الأهالي وخلعوه في عام ٧٢٤هـ/١٣٢٣م وتولى مكانه ثابت بن محمد بن عمار من أسرة طرابلسية، الذي استطاع أن يؤسس دولة بني عمار

٧٢٤-٨٠٣هـ / ١٣٢٣-١٤٠٠م) وفي عام ٨٧٥٠هـ / ١٣٤٩م في عهد الأمير ثابت بن محمد بن ثابت جاء تجار من جنوه كانوا يترددون على المدينة ولاحظوا ضعف تحصيناتها على الرغم من خيراتها فأغرامهم ذلك بغزوها واحتلالها وفر والى المدينة حيث اعتقه بعض الأعراب.

وأدرك أمير قابس أحمد بن مكى خطورة ما حل بطرابلس، وقام بالتفاوض مع الجنوبيين للانسحاب من المدينة، وقدم لهم خمسين ألف دينار شاركه تقديمها الأهالى من كل النواحي فانسحب قائد البحرية الجنوبية من المدينة وصارت له بعد ذلك ولاية طرابلس حتى عام ٨٧٨هـ / ١٣٦٤م وتوفى وتولى بعده ابنه عبد الرحمن بن مكى ولم يحسن الحيرة، فلما قدم أبو بكر بن محمد بن ثابت إلى المدينة وكان مقيما مع أبيه في الاسكندرية رشحه الأهالى من العرب والبربر لولاية طرابلس وظل يحكمها حتى عام ٨٧٩٢هـ / ١٣٨٩م.

ثم تعاقب بعد ذلك عدد من الولاة تابعين إسميا لدولة الموحدين في تونس حتى جاء عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م وهاجمها الأسطول الاسباني. وكانت حلة تحول في تاريخ الشمال الأفريقى.

هاجم الاسطول الاسباني شواطئ طرابلس في عام ٩١٦هـ / ١٥١٠م وفتح نيران مدافعه على المدينة وردت عليه بطاريات الساحل ببضع طقات من مدافعها العتيقة واستبسل الأهالى فى الدفاع عن المدينة حتى سقط الكثيرون شهداء وخرج الآخرون للاستعداد للمقاومة من تجوراء التى جطوها مركزا لمقاومة العدوان الصليبي.

وتعطلت الحركة التجارية مع العالم الخارجى وساءت الأحوال

الاقتصادية.

وفي عام ٩٣٦هـ / ١٥٣٠م قام الأسبان بتسليم المدينة إلى فرسان
القديس يوحنا في مالقا وظلت المقاومة مستمرة حتى استنجد السكان
بالسلطان العثماني سليم الأول لإنقاذ البلاد.

الفصل الثانى

ليبيا من العهد العثمانى إلى الاستقلال

- ضعف القوة الدفاعية والإحتلال الأسبانى لليبيا
- ظهور العثمانيون فى ليبيا وانسحاب المعتدين
- ليبيا فى العهد القرامانلى
- عودة الحكم العثمانى
- الدعوة السلوسية
- ضعف الدولة العثمانية وأطماع الاستعمار الإيطالى فى ليبيا
- الإحتلال الإيطالى لليبيا وظهور حركة المقاومة
- انتصار المقاومة الليبية واستقلال البلاد

بدأت الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان الكبير (٩٢٧ - ٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م) تتجه إلى شمال أفريقيا، فقد اتجه السلطان سليمان الكبير إلى تعزيز قوته البحرية كهدف رئيسي لتنفيذ مشروعاته البحرية، وبسط سلطان الدولة العثمانية بالقوة البحرية القوية.

وخلال ذلك ورد إلى السلطان العثماني رسالة أحد رجال البحر الكبار يعلن ولاءه للسلطان العثماني وفتوحاته إلى الساحل الأفريقي، وسرعان ما قبل السلطان الرسالة واستجاب لهذا البطل البحري المسلم وهو خير الدين بربروسه وهو قرصان يوناني الأصل من جزيرة (تسبوس) ولقبه بايلاريك أي (أمير الأمراء) وزوده بالجنود وبعض السفن.

وهكذا ساهم الأتراك العثمانيون في حروب تحرير بلاد المغرب العربي ضد الأسبان وتمكن خير الدين حتى عام ٩٤٢هـ / ١٥٣٦م من تحرير كثير من السواحل العربية المغربية ودمر الاسطول الإسباني في أكثر من موقع وتوقفت بعد ذلك الحروب الأسبانية.

وقد شجعت تلك الانتصارات للأتراك في الساحل المغربي سكان طرابلس على الاستنجاد بالسلطان سليمان الكبير لانقاذ بلادهم من المعتدين الأسبان. فبعثوا بوفد منهم إلى القسطنطينية فقابل السلطان وشرح له الظروف القائمة في شمال أفريقيا.

تأثر السلطان العثماني لكلام الوفد الليبي، وعين مراد أغا لولاية ليبيا. وكلفه بمرافقة الوفد والتعرف على أحوال المنطقة.

وفي عام ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م وصل الوفد إلى طرابلس واختار مراد أغا

تاجوراء فنزل بها. واتخذت الاجراءات الحربية فى نفس الوقت بالتنسيق مع سنان باشا قائد البحرية العثمانية لطرد فرسان مالطا من طرابلس.

ثم تطورت الأحوال فى طرابلس حتى صارت قاعدة من القواعد البحرية الهامة فى الساحل الشمالى الأفريقى.

لقد برع العثمانيون فى البحر عسكريا ففى عام ١٤٥٦/٨٦١م انطلقت مائة وثمانون سفينة شراعية من غاليبولى إلى سواحل بحر إيجة للقتال هناك ثم واصل السلطان سليم الأول تعزيز الأسطول العثمانى فى نشاط بالغ حتى إذا رقى سليمان العرش زاد من عدد سفنه إلى ثلاثمائة. وفى عهده رقى القرصان خير الدين بربروسه وحمل الهول الذى كان ينطوى عليه اسم العثمانيين حتى الشواطئ الأسبانية.

لقد تفوق العثمانيون ماديا بفضل الغابات القائمة على شاطئ البحر الأسود التى أمدتهم بمعين لا ينضب من الأخشاب وجلبوا المعادن الضرورية من الأفلاق والبغدان.

أما الأشرع فقد استوردوها من فرنسا. أما الصناعات فقد استخدمت البنادق لبناء السفن وأيضاً اليونانيين. وقد دخلت الجلود الإنكشارية فى خدمة الأسطول العثمانى وأظهروا تفوقهم حتى أن شجاعتهم فى اقتحام سفن الأعداء ألقت الرعب فى قلوب النصارى.

لقد شكلت سفن القرصان العاملة فى شواطئ أفريقيا الشمالية منذ عهد بربروسه جزءاً هاماً جداً للأسطول العثمانى ففى عام ١٥٥٨/١٥٥١م قامت قطع من الأسطول العثمانى بمهاجمة الفرسان المالطيين وطردهم من

المدينة وصارت طرابلس تابعة للعثمانيين منذ ذلك الحين .

ليبيا في العهد العثماني : ٩٥٨-١١٢٣هـ / ١٥٥١-١٧١١م

لقد أبدى الوالى العثماني مراد أغا اهتماما بالمدينة . فقام بأعمال الترميم والصيانة للحصون والقلاع وبنى مسجدا ونشطت الحياة التجارية فى المدينة واستقرت الأحوال .

وفى عام ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م تولى درغوت باشا قائد الاسطوال ، وهو من أشهر قواد الأسطوال العثماني تولى درغوت باشا حكم البلاد . وعرف عهده بالإنشاءات والتعمير فى المدينة حتى اتسعت المدينة . وشيد القلاع والحصون لحماية البلاد ، كما شجع الفلاحة وأعمال البساتين ونمت التجارة ، فكثر الأموال والتف حوله أهل البلاد .

لقد جعل درغوت باشا الجهاد ضد الأعداء هدفا أساسيا فى حياته ، فجاب السواحل الأوربية والأفريقية متعبا الفرنجة ثم يعود محملا بالغنائم فينفقها لخدمة المدينة . ولقد استخدم درغوت باشا فى حروبه الجنود الإنكشارية ثم قويت شوكة الإنكشارية وسيطروا على الولاية ففسدت البلاد وضعفت .

أما برقة وكانت تحكمها دولة المماليك مصر فقد تحولت تبعيتها إلى الحكم العثماني ، بعد الفتح العثماني لمصر وهكذا صارت ليبيا تحت الحكم العثماني الذى استمر يحكم ليبيا حتى بلغ عدد الولاة العثمانيين فى حكم ليبيا أربعة وأربعون واليا حتى عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م بداية العهد القرامانلى .

ليبيا فى العهد القرامانلى ١١٢٣-١٢٥١هـ / ١٧١١-١٨٣٥م

ظلت ليبيا فى هاربة الصراعات والانقسامات ولم يلقذ البلاد إلا عندما تولى أحمد باشا القرامانلى حكم ليبيا عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م باتفاق الجنود الانكشارية فى ليبيا ولقب نفسه بأمر المؤمنين وجعل الحكم وراثيا فى الأسرة القرامانلية.

اتصف أحمد باشا أمر المؤمنين بالشجاعة والاقتدار فوق ما عرف عنه من العدل والإنصاف بين الأهالى.

ولما بعث القسطنطينية باسطول إلى ليبيا لولاية خليل باشا لليبيا وقع صدام بينه وبين أحمد باشا فاضطرت القسطنطينية إلى إصدار فرمان سلطانى بتقليد أحمد باشا القرامانلى ولاية ليبيا.

وعند ذلك عاد الأمن إلى البلاد وبدأت الأحوال تسير على أحسن ما يكون فى عهد القرامانلية.

لقد جاء العهد القرامانلى وجعل من ليبيا وحدة متكاملة، وقدم إصلاحات كبيرة بها وجعل اللامركزية مبدءاً للحكم فى ليبيا، مما أعطى انطلاقاً فى العمل والإنتاج فى البلاد وعمت الحرية البلاد. وظل فى حكمه للبلاد مدة خمسة وثلاثين عاماً لم يتوانى خلالها عن البذل والعطاء، وسهل وصول المياه إلى المدينة بالطرق الفنية خدمة للمدينة، وبنى سوقاً واسعة وبيوتاً وأصلح القلعة، وسهل للسفن القادمة إلى طرابلس الحصول على الماء.

وفى عام ١١٤١هـ / ١٧٢٨م هاجم الأسطول الفرنسى المدينة وضربها بالمدافع ليرغم المدينة على الخضوع لمطالبه للحصول على أموال وتسليم

الأسرى الفرنسيين واستمر الأسطول الفرنسي يضرب المدينة بالمدافع ثلاثة أيام ولم ينسحب إلا أن بعد نفدت ذخيرته ونجح الأهالي في المقاومة وفازوا بالنصر وانسحب الفرنسيون منهزمين لم ينالوا غير الهزيمة أمام شجاعة الأهالي واستبسالهم بقيادة حاكمهم أحمد باشا.

وفي عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م تولى الحكم ابنه محمد بعد وفاة أبيه وظل يحكم البلاد حتى عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م . في سهولة ويسر حتى خلفه في الحكم ابنه على الذى استمر في حكم البلاد نحو أربعين عاما . وقد ازدهرت في أيامه الأحوال الاقتصادية من زراعة وتجارة وعم الأمن ربوع البلاد.

وفي عام ١١١٩هـ. ١٧٨٤م وقعت مجاعة استمرت مدة عامين وانتشر خلالها وباء الطاعون فتسبب في إنهيار الأحوال الاقتصادية.

أما عن السياسة الخارجية للأمير على فلم يكن موفقا فيها حيث أنه أسرف في منح الامتيازات للأجانب . كما حدثت في عهده انقسامات داخلية وقعت بين أبنائه، وتوفي الأمير على في عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م.

وفي خلال تلك الانقسامات تمكن أحد المغامرين الأتراك ويدعى على ابن برغل من اقتحام المدينة طرابلس واستولى عليها . ثم أعيد حكم البلاد إلى أصحابه في عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م بعد تدخل باي تونس الذى تغلب على هذا المغامر الدخيل وتولى يوسف القرامانلى حكم البلاد.

وهكذا عادت ليبيا إلى حكم الأسرة القرامانلية في عام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م وسلك يوسف في الحكم مسلكا جعل البلاد تنعم بالأمن والرخاء من جديد وصلحت أحوال التجارة والزراعة وازدهرت، وبدأت

العلاقات الخارجية لليبيا تزدهر من جديد خاصة مع أوروبا.

كما على يوسف بالأسطول الليبي الذى أخذ يقوم بدور حماية السفن التجارية فى البحر الأبيض مقابل مبالغ مالية كبيرة . ولم تتمكن الدول التى عارضت دفع إتاة الحماية لسفنها إلى ليبيا من الاستمرار فى الرفض فقد تغلبت ليبيا على تلك الدول مثل دولة السويد التى توسط لها الامبراطور نابليون لتخفيض تلك الإتاة .

كما لم يتمكن الأسطول الأمريكى من فرض سيطرته على الأسطول الليبي الذى تغلب عليه وهزمه وأسر بعض سفنه ثم أفرج الليبيون عنها بعد توسط القنصل الانجليزى فى هذا الأمر .

وهكذا حظيت ليبيا فى عهد يوسف القرامانلى بالتقدم والرقى ، ونالت الهيبة فى الداخل والخارج .

لقد بدأ يوسف باشا أعماله المجيدة بتهدئة الحالة الداخلية لليبيا وإزالة الآثار التى خلفتها النزاعات والانقسامات بسبب ولاية العهد . وقام يوسف بترميم الحصون واصلاح سور طرابلس وأقام أبراجا للدفاع عن المدينة . كما أعطى إهتمامه البالغ للأسطول الليبي وخصص المبالغ اللازمة لهذا الغرض . وبسط الأسطول الليبي سلطانه على العمليات الحربية فى البحر المتوسط فى الوقت الذى انصرفت فيه أوروبا إلى الثورة الفرنسية ومتابعتها .

كما توطدت العلاقة الليبية الفرنسية الأمر الذى أدى إلى ظهور الخلافات مع الدولة العثمانية . وقد ساعدت تلك العلاقات الفرنسية الليبية ليبيا فى نزاعها مع الدول الأوربية بسبب الإتاة التى تفرضها ليبيا على

تلك السفن .

على أن الموقف تغير بعد انضمام الدول الأوربية لمناهضة الدولة الليبية ومنعها من فرض أية إتاوات على سفنها في البحر في الشمال الأفريقي .

وفي مؤتمر اكس لاشابيل ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م تقرر تفويض الدول الأوربية للعمل على منع أية إتاوات تفرض على السفن الأوربية المارة في مياه الشمال الأفريقي في طرابلس أو حتى في غيرها واعتبروا هذه الإتاوة قرصنة بحرية .

ثم بدأت الأساطيل الأوربية تقوم باستعراض لأساطيلها حتى تمكنوا من إرغام ليبيا على تسليم الأسرى الأوربيين إلى دولهم ووقف الغارات البحرية التي تقوم بها ضد السفن الأوربية .

وقد تأثرت ليبيا اقتصاديا، فقد كانت تدخلها مبالغ طائلة من جراء تلك الإتاوات المالية . ثم أعقب ذلك تراكم الديون على ليبيا . ثم تنازل يوسف عن الحكم لابنه على القرامانلي في عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م .

وفي عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م تمكنت الدولة العثمانية من استعادة سيطرتها على ليبيا مرة ثانية، وبذلك انتهى عهد الأسرة القرامانلية في حكم ليبيا .

عودة الحكم العثماني إلى ليبيا (١٢٥١-١٣٢٩هـ / ١٨٣٥-١٩١١م)

أعلن أهالي ليبيا سرورهم بعودة الحكم العثماني عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م، وخاصة الذين نقموا على العهد القرامانلي خاصة في

أواخر أيامه . أما بقية الأهالي فقد تريتوا في الحكم على الموقف الجديد حتى يتبينوا حقيقة الموقف، فلما تبين لهم غير ماكانوا يتوقعون أعلنوا حركة عصيان ضد العثمانيين فلجأت الحكومة الجديدة إلى استخدام القوة ضد الأهالي .

والحقيقة أن النظام العثماني لم يعط الفرصة للولاة الذين تستند إليهم شئون البلاد حتى يقوموا بالإصلاحات والتعمير للارتقاء بالبلاد إلى حياة أفضل .

لقد نجح الجند في إخضاع الأهالي بالقوة وفي عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٦م تمكن العثمانيون من السيطرة على البلاد وخاصة مصراته . وتوالى على ليبيا حكاما من قبل الدولة العثمانية وظلت الثورات تتابع في عهودهم حتى جاء عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م فتمكن سامي باشا من السيطرة على البلاد ونظم الضرائب وشجع الصناعات المحلية . ثم جاء عاصم باشا الذي استجاب لمتطلبات العصر . فعمل على ربط علاقته بالسكان ومعرفة ما يضايقهم حتى أنه قام برحلات داخلية يتفقد البلاد في مختلف الأنحاء . وكان رجلا فاضلا لم يقبل الهدايا التي كانت تقدم له .

ثم خلفه في ولاية ليبيا أحمد عزت باشا في ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م وتمكن من كسب رضا الأهالي واحترامهم له . وقام ببناء المدارس الصناعية والمستشفيات . كما أنشأ سوق الحميدية واعتنى بالحصون ، كما أصدر تعليمات لبناء منارة في ميناء طرابلس .

كما عني العثمانيون ببناء الكتاتيب والزوايا وحلقات الدرس وأنشأوا المدارس في طرابلس والخمس وبني غازي ودرنه .

الدعوة السنوسية:

هي دعوة دينية أنشأها محمد بن علي السنوسي وهو جزائري المولد شريف النسب دعا بالعودة إلى الإسلام الصحيح كما كان في عهده الأول . وسرعان ما انضم الناس إليه والتفوا حوله مؤمنين بدعوته معبرين عن رغبتهم في إستعادة مجد الإسلام القديم .

درس في فاس مركز الدراسات الإسلامية العتيق دعت السنوسية إلى وجوب دراسة القرآن والحديث والسنة وقد تخصص جماعة من رجال الدعوة للتفرغ للدعوة والعمل على نشرها في أنحاء البلاد وأعدوا أنفسهم للدفاع عن البلاد بالسلاح متى لزم الأمر .

فهى إذن دعوة للجهاد ضد الاستعمار ومقاومة الفساد واتجه الشيخ السنوسي إلى برقة بالزاوية البيضاء وجعلها مركزا لدعوته ثم انتقل منها إلى جعيبوب . وأخذت الدعوة السنوسية تنتشر بفضل جهوده . ثم في عهد ابنه محمد المهدي انتشرت الدعوة إلى طرابلس في العهد القرامانلى .

بعد أن قويت الدعوة بعد انتشارها في أنحاء البلاد، تحولت إلى العمل على رفع الظلم عن المظلومين ومواجهة المعتدين . فأدخلت التدريبات العسكرية بالبدء بالدراسة النظرية من دراسة لأصول الحرب وأنواع السلاح ثم التدريب على لقاء العدو .

وبعد أن تطورت الدعوة السنوسية وكثر أتباعها حيث كانت جعيبوب معبر الزاهبين إلى مكة والعائدين منها وصارت مركزا ثقافيا يتلقى فيها المسلمون كيف يكون المسلم الحق .

فالدين الإسلامى أوجب على المسلم الجهاد فى سبيل الحق وإعداد القوة لمواجهة العدو والمرابطة لإرهاب العدو. فإن الإسلام نظم أمور الحياة دنیا ودين. ونظم أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ووضع لها المبادئ والنظريات الأساسية التى قامت عليها أول مدرسة عسكرية فى تاريخ العرب مكتملة الأركان.

وعلى هذا الأساس قامت العسكرية الإسلامية أن التكليف القرآنى بالجهاد، وإعداد القوة والمرابطة تكليف قائم وباق حتى تقوم الساعة. ومقتضى ذلك ألا تغتر عزائم الأمة الإسلامية عن إعداد القوة بعناصرها المتعددة مع الأخذ بالأسباب للتقدم والتطور التى تفرضها طبيعة العصر.

فواجب الأمة الإسلامية وهى تتجه نحو النهضة الحضارية الشاملة أن تتخذ من مبادئ العسكرية الإسلامية ونظرياتها منطلقا لبناء قوتها الذاتية فإن من أعلم ما تتميز به تلك المبادئ أن لها بحكم انبثاقها من الدين - من الأصالة مأللدين من أصالة وأن لها فى كل عصر - من القوة والصحة والكمال ما يجعل الجيوش التى تعمل لها قوة لا تقهر.

لقد نظمت الدعوة السنوسية الدعاة وتلقوا من العلم ما يمكنهم من أن يكونوا شيوخ زوايا فيخرج الواحد منهم ويكون زاوية جديدة تكون مركز إشعاع ثقافى وفنى وحرى وسياسى جديد، وسمحت الدعوة السنوسية بأن تكون المشيخة وراثية من الأب إلى الابن.

وفى عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م أمر الشيخ محمد المهدي بنقل الدعوة السنوسية من واحة جغبوب إلى واحة الكفرة فى الجنوب الشرقى من ليبيا لى تكون قريبة من طالبى الالتحاق بالدعوة من شباب ليبيا.

لم تختلف الدعوة السنوسية مع الدولة العثمانية بل أعلنت الدعوة ولائها للدولة العثمانية، وكذلك لم يبد العثمانيون أى تخوف من حركة الدعوة السنوسية باعتبارها دعوة إلى الدين، فهي تجمع المسلمين تحت راية الإسلام وتدعو إلى الاستقرار فلذلك شجعت الدولة العثمانية الدعوة السنوسية إلى المضى فى طريقها. واعترفت للزعيم السنوسى بالإمارة السنوسية وجعلها وراثية لخلفائه القادمين، كما أعفت أملاك الزوايا من الضرائب، وكذلك سمح للسنوسية بجمع ضريبة من أتباعها، وفى عهد السلطان العثمانى عبد العزيز اعتبروا الزوايا السنوسية (حمى) يلجأ إليها الناس.

وتوطدت العلاقة بين العثمانيين والسنوسيين وتواصلت الوفود بين القسطنطينية والمقر السنوسى فى جغبوب أو فى الكفرة .

لقد لعبت الزوايا السنوسية دورا سياسيا حين تصدت للنفوذ الفرنسى من أن يمتد إلى داخل القارة الأفريقية.

لقد جعلت الدعوة السنوسية من الاسلام أساسا للدعوة والقرآن والسنة هى الأصل الذى يجب الاعتماد عليها فى فهم الإسلام.

وقال الزعيم السنوسى بأن باب الاجتهاد لم يقفل ومن ثم يجوز الاجتهاد.. ولم تقتصر الدعوة السنوسية على العبادة والتصوف وإنما عبادة وعمل وكفاح. ولذلك أقامت الدعوة الزوايا التى ضمت المساجد والمدارس والمزارع والمتاجر. ويقوم الناس فيها بالعمل باجتهاد.

لقد درس الزعيم السنوسى الكبير الطرق الصوفية المتعددة مثل

للتيجانية والشاذلية والأدرسية والقادرية ، لقد نادت السنوسية بالعودة إلى الإسلام الذى يجمع بين الدين والدولة . ولذلك نادت الدعوة باتخاذ حياة الرسول شعاراً يقتدون به ونموذجاً اسمى يعملون على الوصول إليه .

لقد نادت السنوسية للعمل للدين والدنيا معاً . لقد كانت الزاوية هى مركز الحياة الروحية والمادية وتشكلت الزوايا بحيث تحتوى على قاعة ومحراب للصلاة وغرفة لحفظ القرآن أو تلاوته ، وبعض غرف للضيوف والطلبة ، وبعض الزوار ممن ينزلون بها مع ما تحتاج إلى من المرافق . واتسعت الزاوية أحياناً حتى تصبح مسجداً يمثل بمن فيه من الزوار والطلبة .

وأحياناً يخصص بها غرفة لشيخ الزاوية يدفن فيها وتعلوها قبة . واتخذت الزوايا كدور علم فى كثير من الأحيان فضلاً عن أماكن مخصصة للعباد والزهاد ، وغرف لسكنى الطلاب والشيخوخ ، كما ألحقت المكتبات بالزوايا .

فجامع زاوية جغبوب بلغ اتساعه بحيث يصلى فيه نحو ستمائة مصلى فى وقت واحد ، كما بلغ عدد الطلاب المترددين على الزاوية من أنحاء ليبيا ما يقرب من ثلاثمائة طالب .

كما خصص للتجار قاعات كبيرة لحفظ بضائع التجار وعرصات للإبل التى تنقل المتاجر . كما اعتنى المسؤولون عن الزاوية بتدبير المياه اللازمة للزاوية وزوارها من بئر فى الزاوية أو بالقرب منها .

كما بنيت الأسوار حول الزاوية وزودت الحصون والأبراج وتستخدم

لأغراض الدفاع. ولذلك اعتبرت الزاوية مركز الوحدة القبيلة، مما جعلها مكاناً آمناً لمن يلجأ إليها من الناس. كما خصصت أراض لزراعتها تابعة للزاوية.

ورئيس الدعوة هو الذى يقوم بتبعية شيخ الزاوية ويتم الاختيار بموافقة رجال القبيلة، ويشترط فى شيخ الزاوية أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العملية حتى يمكنه معالجة ما يعرض له بحجة قوية وأسلوب مقنع، لأن شيخ الزاوية هو صاحب الحل والربط فيها، فهو الذى يشرف على التعليم، وحفظ النظام ويعتنى بالقوافل.

لقد حمل المسلمون فى الزاوية السلاح إذا ما تهددهم خطر من الأخطار، فكان يجتمع الأخوان زرافات ووحدانا إلى الزاوية ومعهم أسلحتهم لمقاومة الخطر وليقضوا على مصدره، تنفيذاً لخطة شيوخهم وتحقيقاً لهدف واحد هو مواجهة الأعداء وصددهم عن البلاد.

كما جعلوا الزاوية فى أماكن هامة مثل ملتقى الطرق والإشراف على ماحولها وسهولة الدفاع عنها وجعلوا من الزاوية وحدة متماسكة وعلى اتصال مستمر بالقيادة العليا للدعوة.

لقد تمكنت الدعوة من مواجهة الاستعمار الأوربي زمناً طويلاً.

*** حركة المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالى:**

تحت ضغط الظروف التى أدت إلى ضعف الدولة العثمانية وظهور الاستعمار الأوربي وأطماعه فى البلاد الإسلامية تحولت الدعوة السنوسية إلى حمل السلاح للدفاع عن البلاد وعملت الدعوة السنوسية على التعاون

مع العثمانيين ضد الاستعمار الإيطالي، وعندما اعتدت إيطاليا على برقة
توحد الشعور الوحدوي وقوى الولاء بين العرب.

لقد أخذت إيطاليا تتطلع لامتلاك ليبيا منذ أواخر القرن الثالث عشر
الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وكانت الدولة العثمانية لاتزال صاحبة
حق في حكم ليبيا، ولم يكن ذلك يخفى على الدول الأوربية. ومع ذلك فقد
عمدت إلى إتخاذ خطوات لتحقيق أهدافها، فقد قاموا بفتح المدارس في
طرابلس وبنى غازي، وإرسال الجماعات التبشيرية وفتح فروع للبنوك
الإيطالية، ليبسطوا سلطانهم على اقتصاد البلاد.

وقامت القنصلية الإيطالية في كل من طرابلس وبنى غازي بأعمال
الدعاية والتجسس لمعرفة المراكز الدفاعية.

أما الدولة العثمانية فقد أهملت الدفاع عن ليبيا الأمر الذي دفع
الإيطاليين للإندفاع في تحقيق أهدافهم الاستعمارية.

ففي عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا وقام
الجيش الإيطالي باحتلال طرابلس والخمس وبنى غازي ودرنه.

أما السنوسية فقد بادر زعيمها السيد أحمد الشريف بإعلان الجهاد
وبعث المنشورات إلى جميع الزوايا وطالبهم بتلبية النداء. وفي برقة استعد
السنوسيون للجهاد. ثم اشتبك الفريقان في معارك انتصر فيها السنوسيون
على الإيطاليين الذي بلغ عددهم ستة وثلاثون ألف مشاة وستة آلاف
وثلاثمائة من الفرسان.

كما بعثت الدولة العثمانية ضباطا إلى برقة لتنظيم القتال وبلغ جنودهم

أربعة آلاف ومائتى جددى. وكذلك كلف السيد أحمد الشريف وكان مقيما بالكفرة السيد عمر المختار شيخ زاوية القصور بالبدء فى الدفاع ضد الأعداء.

وكان عمر المختار صادق العزيمة قوى الشكيمة رابط الجأش قوى الإيمان بالله. وقد تعاون كلا من العثمانيين والأهالى الذين بلغ عددهم خمسة عشر ألف يقاتلون الإيطاليين دفاعا عن أرض الوطن.

وفى درنة تغلب العرب على الإيطاليين فسقط مئات من القتلى واستولى العرب على اسلحتهم ومؤنتهم واستشهد من العرب نحو أربعين شهيداً.

ثم تطورت الأمور بين الدولة العثمانية والدول الأوربية وانتهت بعقدها معاهدة لوزان عام ١٣٣١هـ/١٩١٢م وقد نصت المعاهدة على إيقاف الحرب بين إيطاليا والدولة العثمانية وانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا.

ثم أعلنت الدولة العثمانية منح ليبيا الاستقلال الداخلى وتعيين ممثلا للدولة العثمانية فى ليبيا بمنح لقب نائب السلطان لحماية المصالح العثمانية.

أما إيطاليا فقد أعلنت هى الأخرى من جانبها سيادتها على ليبيا.

أما الزعيم السنوسى السيد أحمد الشريف فقد أعلن الجهاد ضد الأعداء ورفض معاهدة الصلح. على أن القوة العثمانية التى فى برقة بقيت وترك للسنوسين أمر الدفاع عن البلاد. وكان بداية السيادة السنوسية على البلاد.

ووقف العالم الإسلامى بجانب الشعب الليبى يؤازره بالتبرع بالأموال والمتطوعين من كافة التخصصات للدفاع عن البلاد.

واصل الإيطاليون الحرب في برقة وقد نجحوا في احتلال بنينه وبومريم والأبيار وطوكره وجردس العبيد وطمبيته والمرج وسلنطه والشحات ومرسى سوسة وذلك في أوائل عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م وقد تكبد الإيطاليون خسائر فادحة إلا أنهم واصلوا الحرب، وتحملت السنوسية عبء قيادة الحرب ضد إيطاليا. أما تركيا فقد خرجت من الحرب تماما.

ولما تعذر على العرب قتال الإيطاليين وجها لوجه لكثرة عدد جيوش الأعداء، عندئذ اتجه العرب إلى حرب العصابات وقد أدى هذا الأسلوب إلى تحقيق انتصارات وأنزلوا بالإيطاليين خسائر فادحة في قواتهم.

على أن الإيطاليين كانوا قد عقدوا العزم على مواصلة هجومهم على البلاد في محاولة للقضاء على المقاومة السنوسية، وعملوا على الوصول إلى الجبل الأخضر وتمكنوا فعلا من احتلال العرقوب وأم شخنب وشليظمية والزويتلية واجدابية، وقد استردوها العرب، وتمكن الإيطاليون من السيطرة على أكبر قسط من الشمال الليبي وخاصة برقة في جنوبي وادي الفارغ. ثم قلت المؤنة بين صفوف المدافعين خاصة بعد نزول القحط والجفاف.

ثم قامت الحرب العالمية الأولى وانضمت إيطاليا إلى الحلفاء وصارت بذلك بريطانيا وإيطاليا جبهة واحدة وفي ظل تلك الظروف تنازل السيد أحمد الشريف عن القيادة السياسية والعسكرية إلى السيد محمد إدريس المهدي، وأبقى هو لنفسه القيادة الدينية. وصارت الزعامة لإدريس المهدي منذ عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م.

وبناء على هذا التغيير في القيادة لجأت الدول الأوربية إلى السيد المهدي للتفاوض معه في شئون البلاد.

ويتوجيه من السيد أحمد الشريف الذى استقر فى جغبوب تولى السيد إدريس السنوسى إدارة الأجزاء الغربية من برقة (برقة البيضاء) وتكون فى إجدابية مركز القيادة بينما تولى السيد محمد الرضا أمر الجبل الأخضر وتولى السيد محمد صفى الدين أمر طرابلس.

على أن الإيطاليين تمكنوا هم والسنوسيين من عقد هدنة عسكرية قرب طبرق فى عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م وقد نصت الهدنة على :

١- إيقاف العمليات العسكرية بين الطرفين وإبقاء الحال على ما هو عليه.

٢ - تبقى المحاكم الشرعية فى مباشرة عملها فى البلاد.

٣ - تفتح المدارس العلمية والمهنية فى برقة.

٤ - إعادة الزاوية لمباشرة عملها وتعفى من الضرائب.

٥ - تقوم الحكومة الإيطالية بدفع رواتب العاملين فيها.

٦ - يتم التبادل التجارى بين طبرق وبنى غازى ودرنة فى المناطق الداخلية من البلاد.

وبعد ماتنازل السيد أحمد الشريف فى زعامته للسنوسية إلى ابن أخيه السيد إدريس السنوسى بن السيد المهدي، قام السيد إدريس بالاتفاق مع الإيطاليين على السيادة الإيطالية على برقة الشمالية وتسليم الأنصار السلاح مع الرجوع لمشايخ الزوايا إلى زواياهم والاعتراف بالطريقة السنوسية واستقلال جنوب برقة وجغبوب وأوجيله وجالو والكفرة مركز

السنوسين إداريا واعفاء الأسرة السنوسية من الرسوم الجمركية وكفالة الحرية الدينية.

وهكذا أصبحت السلطة الايبية مركزه في يد السنوسية ومعترفا بها دوليا، وبدأ السيد إدريس السنوسي يعمل على توطيد نفوذه في برقه من مركز قيادته، على أن إيطاليا لم تبرح تحاول بسط سلطانها على برقة كما فعلت في طرابلس. وفعلا تم لإيطاليا في عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٩م وضع دستور يكفل لها السيطرة على برقة إداريا وعسكريا، وقد تذر الأهالي في برقة واستشعروا خطورة الموقف وعقد اتفاق الرجمة في عام ١٣٢٩هـ / ١٩٢٠م الذي نص على اعتبار جنوب برقة إدارة سنوسية باعتبارها إدارة مستقلة يرأسها الأمير إدريس الذي يحمل لقب أمير وبصير وراثيا.

وفي عام ١٣٣٢هـ / ١٩٢٣م نقض الإيطاليون عهدهم ووقفوا لمن يتصدى للدفاع عن البلاد بالمرصاد إلى حد الإعدام، وقد حوكم السيد عمر المختار وحكم عليه بالإعدام .

وهكذا ظهرت بوادر قيام نزاع مسلح جديد بين الليبيين والإيطاليين، خاصة بعد استيلاء الفاشيين على الحكم في إيطاليا، وعند ذلك قرر الأهالي في إقليم طرابلس مبايعة السيد محمد إدريس السنوسي أميراً على طرابلس وبعثوا إليه بوفد إلى إجدابية لإبلاغ الأمير السنوسي بذلك الذي قبل توحيد البلاد تحت إماته تحت الحاج أهالي طرابلس وبرقة جميعهم.

ثم رأى الأمير إدريس ضرورة السفر إلى مصر عن طريق جنجوب بعد أن فوض أخاه السيد محمد رضا وابن عمه السيد صفى الدين لإدارة شئون

البلاد . وبعد ذلك فوجئ الليبيون بإعلان إيطاليا الغاء جميع الاتفاقات واعتبارها باطلة . ثم أبلغوا ذلك إلى الأمير إدريس بالقاهرة .

وهنا بدأ الليبيون الجهاد ضد المستعمر الأوربي الغاصب وفي عام ١٣٣٢هـ / ١٩٢٣م بدأ القتال بين الفريقين في برقة واستمر إلى عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٢م عمد فيه الإيطاليون إلى استخدام العنف إلى أبعد الحدود ضد المدافعين وقتلوا وشردوا الأهالي الكثيرين ولم يبال المدافعون بتقديم أرواحهم فداء لوطنهم وعروبيتهم واستخدموا أقصى مaldiهم من طاقات مادية ومعنوية لتحقيق أهدافهم في مقاومة المعتدين وصدّهم عن البلاد .

لقد قاتل الليبيون قتالا شديداً دل على شجاعتهم وفدائيتهم ، وقد قسموا أنفسهم فجعلوا القادرين على حمل السلاح يقاتلون في ميدان القتال وأما الفريق الآخر ، فقد حاربوا بالعمل على رفع معنويات الأهالي للاستمرار في المعركة والمقاومة والاستبسال في الدفاع .

لقد شارك الشعب الليبي جميعه من النساء والشباب والشيوخ كل حسب طاقته . بل الأكثر من ذلك أن من جندهم الإيطاليون للقتال في صفوفهم كانوا كثيراً ما يتظاهرون بقتال العرب وهم في الحقيقة يساعدهم على تحقيق النصر ضد الإيطاليين ، كما تعاونت القبائل مع بعضها البعض بشكل أربك الأعداء الإيطاليين في كثير من المواقع في ميادين القتال .

وفي عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م عمدت إيطاليا إلى محاولة كسر معنويات المجاهدين السنوسيين فأتجهت إلى واحة جغبوب لإحتلالها وقد تم لهم ذلك فعلاً ، إلا أن استيلاءهم على جغبوب لم يفت في عزيمة المجاهدين ، وإنما دفعهم إلى الاستمرار في المقاومة والدفاع ضد المعتدين حتى النصر .

وفي عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م تغلب الإيطاليون على العرب واستولوا على الجبل الأخضر.

وبقيت أحوال الشعب في ليبيا في ظل مقاومة الأعداء سيئة للغاية، بينما الأمير السنوسي السيد محمد إدريس في مصر التي سافر إليها منذ ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م إلى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م في جهاد ونشاط لدفع المقاومة في ليبيا للإستمرار في حريها ضد العدو الإيطالي وهو يؤمن لها كل ماتحتاجه من مصر، ويستعد لليوم الذي يتاح له فيه القضاء على المعتدين الإيطاليين.

لقد اجتمع الليبيون في مصر حول الأمير إدريس السنوسي واتفقوا جميعهم على اختياره ليتحدث باسم جميع الليبيين ويقرر مايراه صالحا لبلادهم في ليبيا.

وعند قيام الحرب عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩ أعلن الأمير إدريس انضمامه إلى جانب الحلفاء وحصل منهم على وعد باستقلال ليبيا وفي عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م أعلنت إيطاليا انضمامها إلى ألمانيا.

وعندئذ اجتمع الأمير إدريس برجاله من الجالية الليبية وسموا أنفسهم باسم «الجمعية الوطنية الليبية»، واصدروا بيانا هو :

١ - التعاون مع الحلفاء للعمل على تطهير ليبيا من الايطاليين.

٢ - اعتبار الأمير محمد إدريس أميرا على ليبيا الموحدة .

٣ - تشكيل مجلس شوري من برقة وطرابلس للأمير إدريس .

٤ - اعلان الحرب ضد إيطاليا فى صف واحد مع البريطانيين تحت الراية السنوسية.

٥ - تشكيل حكومة ليبية فى المنفى (مصر).

٦ - طالب مساعدة مادية من بريطانيا لقيام السنوسية بالجهاد ضد الإيطاليين، وفقا للتقاليد العربية.

٧ - إعطاء تفويض للأمير إدريس بعقد الاتفاقات والمعاهدات اللازمة، مع ضمان استقلال البلاد.

ثم دب الخلاف مع الأمير حول بعض النقاط التى جاءت فى البداية.

وفى عام ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م تم التصالح بين الفريقين من أصل برقة وطرابلس وقبل الجميع قيادة البلاد تحت راية واحدة هى راية ليبيا الموحدة.

وتم طرد الإيطاليين من ليبيا، ثم قامت بريطانيا باحتلال إقليمى برقة وطرابلس . وقامت فرنسا باحتلال إقليم فزان.

ولما وجد المحتلون الجدد الأوضاع فى أسوأ حال عمدوا إلى فتح أسواق جديدة لمنتجات ليبيا فى مصر وتونس وبريطانيا، فتجد النشاط التجارى.

ثم حدث قحط فى عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م مما ترتب عليه ضياع المحصول وفقد نصف المواشى، وعندئذ قامت المصارف البريطانية التى أنشأتها بريطانيا بصرف القروض للمزارعين، ثم أعيدت المدارس حتى بلغت ١٧٣ مدرسة وقامت هيئة الأمم بتقديم العون المادى، وضمت إدارة

الهيئة بين موظفيها من الليبيين الذين تم تدريبهم على الأعمال التي كلفوا بها في مراكز تدريبية حديثة .

عملت الإدارة البريطانية على تشغيل الليبيين في الأعمال المختلفة في إقليم برقة، بينما استخدمت في طرابلس الإيطاليين أما الإدارة الفرنسية في إقليم فزان فقد اتخذت طريقاً مخالفاً لما اتبعته بريطانيا، فقد جعلت العملة المتداولة الفرنك الفرنسي والغت الليرة الإيطالية. وجعلت ميزانية الإقليم ضمن ميزانية الجزائر التي تقع تحت سيطرتها حينذاك. وعملت على تطوير المنطقة التي سيطرت عليها في ليبيا ومنعها من الاتصال بمصر وجعلتها قاصرة على الدول التي تتكلم الفرنسية.. ومنعت في نفس الوقت قيام مؤسسات علمية أو اجتماعية ومنعت إنشاء ورش للإصلاح.

وقد اختلف الوضع في الجانب البريطاني حيث كان التعاون قائماً بين الأنجليز والليبيين في مختلف نواحي النشاط.

وفي عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٣م بدأ الليبيون يهتمون بالنواحي الرياضية والثقافية والاجتماعية وعملوا على المناداة بوحدة البلاد الليبية.

وفي عام ١٣٦٥ / ١٩٤٥م أعلن انتهاء الحرب العالمية الثانية وفي عام ١٣٦٦ / ١٩٤٦ أعلن الليبيون مناهضتهم للاستعمار الإيطالي فبدأوا يعملون على إلغاء القوانين الإيطالية لتحل محلها القوانين الوطنية وتولى أبناء البلاد حكم أنفسهم ، وعملوا على رفع مستوى الشعب في مختلف النواحي.

وتعددت الأحزاب السياسية كان منها حزب الأحرار الذي طالب بوحدة ليبيا تحت إمارة السيد محمد السنوسي ثم ظهر ممثلون لإقليم برقة

وطالبوا هيئة الأمم بالآتى:

١ - استقلال البلاد تحت إدارة محمد إدريس.

٢ - تكوين حكومة دستورية وطنية.

٣ - قبول هيئة وطنية لتمثيل البلاد فى هيئة الأمم المتحدة.

ثم أعلنت هيئة تحرير ليبيا فى القاهرة تطالب جامعة الدول العربية باعتبار ليبيا موحدة تحدها مصر شرقا وتونس غربا مع الاستقلال التام والانضمام إلى الجامعة العربية.

كما ظهرت تيارات أخرى تطالب بالانضمام إلى مصروتكوين دولة موحدة من مصر وليبيا.

على أن تعدد المطالب الحزبية فى ليبيا أوشك أن يؤدى إلى تقسيم ليبيا وضياع استقلالها، وعندئذ أحس الليبيون بالخطر المحدق بليبيا فأجمع زعماء طرابلس على إعلان وحدة ليبيا مستقلة وتشمل برقة وطرابلس وفزان.

لقد اختلف الوضع بعد أن تعددت الآراء حول وضع الدولة الليبية الجديدة بين آراء الدول الأوربية لإعادتها إلى إيطاليا أو تقسيمها بين الدول الأوربية. وهنا اتحدت آراء جامعة الدول العربية وآراء الكتلة الأفريقية الآسيوية على أن تصبح برقة وطرابلس وفزان دولة واحدة متحدة باسم ليبيا، وأن تكون مستقلة ذات سيادة، على أن يتحقق هذا الاستقلال سريعا بحيث لا يتجاوز على ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

وقد انتهى الأمر في هيئة الأمم المتحدة إلى إصدار قرار في نوفمبر ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م يقضى بأن تصبح ليبيا المكونة من برقة وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سيادة.

كما قررت:

منح ليبيا الإستقلال في موعد لا يتجاوز يناير ١٩٥٢م (جمادى الأولى ١٣٧٢هـ).

وهكذا تحقق الأمل الذي طالما كافح الليبيون في سبيل الوصول إليه منذ العدوان الإيطالي ضد الشعب الليبي في عام ١٣٢٠هـ/١٩١١م.

وفي عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م تمت وحدة ليبيا تحت حكم الملك محمد إدريس السنوسي. وانضمت ليبيا إلى الجامعة العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة.

لكن حكم الملك محمد إدريس السنوسي لم يسيطر على الأمور الداخلية بقوة مما مهد لنجاح ثورة عسكرية بقيادة العقيد معمر القذافي في أول سبتمبر ١٩٦٩م (رجب ١٣٨٩هـ) الذي استطاع أن يخلص بلاده من القواعد الأجنبية في عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

الفصل الثالث

الدور الحضارى الليبى

• حياة الليبين الاجتماعية واشتغالهم بالزراعة والرعى وتربية الخيول والتجارة.

• النشاط الثقافى

• النشاط الصوفى

• المساجد والزوايا

شعب ليبيا من سلالات عريقة من البربر الذين استوطنوا الشمال
الأفريقي من مصر إلى المحيط الأطلسي . كما استوطنها الأفارقة بقايا
شعوب قرطاجه وأجناس الشعوب المستعمرين الآتين من الرومان
والبيزنطيين واليونانيين .

أمام البربر فينقسمون إلى بتر يسكنون في السهول والهضاب الممتدة
من طرابلس إلى تازة وينتشرون في إقليم النخيل ويتمد من غدامس إلى
السوس الأقصى ، وفي إفريقية وفي إقليم التل من طرابلس وعلى سفوح جبال
أوراس ويشغلون بالرعي .

أما البرانس فهم سكان المدن ويسكنون السهول الخصبة والمدن
ويشتغلون بالزراعة والصناعة وهم أكثر تأثرا بالحضارة البيزنطية . وقد
قاومت البرانس العرب لتأثرهم بالحضارة البيزنطية .

أما البتر فقد تعاونوا مع عرب الفتح الاسلامي منذ اللحظة الأولى .
بينما انضم البرانس إلى الحركات المعارضة الإسلامية .

فبعد نزول العرب المسلمين في بلاد المغرب واختلاطهم بالبربر ، قام
التعرب الثقافي إلى جانب التعرب السلالي في بلاد المغرب بصورة تلفت
النظر ومثلت قبائل المغرب دورا هاما في تاريخ العروبة في مصر وشمال
إفريقيا وبلاد السودان من السنغال في أقصى الغرب إلى الصومال في
أقصى الشرق .

وكان للفاطميين أثر لا ينكر في هجرة جموع كبيرة من قبائل البربر
المتعربة إلى مصر . فمن المعلوم أن الفاطميين قد اعتمدوا في تأسيس

دولتهم بالمغرب على هذه القبائل، وكان فى جيشهم فرق منهم، وكان من الطبيعى أن تنتقل جميع مذهبهم إلى مصر بانتقال الفاطميين إليها، ولهذا يعد العصر الفاطمى مرحلة هامة فى تاريخ الهجرة المغربية إلى مصر وبالعكس. فجميع العرب الذين يعيشون على الساحل غرب إسكندرية انحدروا من قبيلة سليم وهى القبيلة التى أرسلها اليازورى مع بنى هلال ليقيموا الإقليمين الثائرين تونس وطرابلس، وقد مضى بنو هلال إلى الغرب واستقر بنو سليم فى الجبل الأخضر ببرقة وفزان وودان، واختلط نسلهم بدم البربر، وأخذوا ينتقلون بين مصر وليبيا. ومن هؤلاء قبائل الهنادى والبراغيث، ومنهم بنى عراز عريف بن عمرو وبنو ذكوان وبنو عوف وبنو الحارث وبنو عصية.

على أن قبائل البربر التى حملت أنسابا عربية تنقسم إلى شعبتين فقبائل لواته تنسب إلى القيسية وقبائل هواره تنسب إلى السبئية.

على أن مؤرخى العرب يترددون فى نسب لواته وهواره، وكذلك يختلف المؤرخون فى نسب هواره فهم من حمير أو البربر، ومع أن هذه القبائل ترجع أصلا إلى البربر إلا أنها اختلطت بالعرب الساكنين معهم فى بلادهم، من طريق الحلف أو الولاية أو المصاهرة وظهر ذلك فى التعرب الثقافى وفى تمثل قدر من العروبة السلالية فى أصولهم البربرية.

على أن التعرب الثقافى وحده كاف للحكم بعروبة هذه الجماعات.

اهتم العرب فى ليبيا بتربية الأنعام، فهى لا تستطيع الاستغناء عنها فى كل الأحوال، وقد برعوا فى العناية بالحيوان، وبلغوا الغاية فى تربية الخيول فهى سلاحهم يدافعون به عن ممتلكاتهم وأنفسهم.

وقد أفادت عرب الفتح البلاد المغربية فى الاهتمام بالأنواع الأصيلة منها. فقد تفاخر الزعماء المغاربة بالخيول العربية وقالوا بأن أفضل الخيول هى الخيل العربى العتاق الأحساب المدربة عند الأعراب.

وكثيرا ما قدم العرب الخيول إلى الجيوش العربية الموجهة إلى الأعداء وخاصة فى البلاد الأسبانية للدفاع عن عرب الأندلس. وقد ازدهرت تربية الخيول فى المنطقة الممتدة من برقة وحتى المغرب الأوسط ثم امتدت حتى المغرب الأقصى بانتقال بطون عربية من بنى هلال وسليم إليها.

على أن أكثر المهتمين بتجارة الخيول ونقلها من بلاد المغرب ابتداء من برقة إلى قابس هم عرب ذباب. كما اهتم العرب بتربية ورعى الأغنام وكانت الكثير من المدن المغربية وضواحيها ومراعيها أوطانا استقر بها العرب وجعلوها مجالا لنشاطهم وسيطرتهم. وتعتبر الأغنام هامة جدا للإقتصاد وذلك لوفرة لحومها وألبانها وأصوافها، وتستخدم أصوافها فى صناعة السجاجيد والخيام.

أما الماعز فتعطى كميات كبيرة من اللبن إذا توفر لها الغذاء وهى ترعى النباتات والأعشاب، وتستخدم أصواف الماعز فى صناعة النباتات والأعشاب. وتستخدم أصواف الماعز فى صناعة الأحبال والمنسوجات، كما توجد فى ليبيا الماشية كالذى يوجد فى شمال أفريقيا ويمتاز بقدرته على مواجهة التقلبات المناخية.

أما الإبل فهى من ذوات السنام الواحد وهو متعدد الأنواع وجميعها يتغذى بالنباتات الشوكية، ونباتات المستنقعات المالحة، وتعطى كميات من اللبن يوميا.

كما توجد معاصر لاستخراج الزيوت في طرابلس وتاجوراء. كما تتم عمليات التعقيم والتجفيف ثم التعطيب والتسويق، كما يتم دبغ الجلود لوفرة الجلود الخام.

كما يستخرج الملح من الملاحات بكميات كبيرة من الملاحات المنتشرة على طول الساحل في بنى غازى وكركوزة وطرابلس ومصراته. ويتم تسويقه وتصديره، ويستخدم الملح في الطعام ودباغة الجلود وصناعة الثلج وتمليح الأسماك.

ويوجد الاسفنج قريبا من الساحل الليبي ويعالج بعدة عمليات صناعية لتنظيفه وتغيير لونه وتنعيمه. وكما اشتغل العرب بتربية الحيوان، اشتغلوا بالزراعة والفلاحة وخاصة القبائل التي اضطرت للاستقرار لسبب أو لآخر على امتداد بلاد المغرب من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وخاصة المنطقة من برقة إلى طرابلس التي استقر بها عرب هبيب من بنى سليم كما استقر عرب بنو ذباب في طرابلس وتاجوراء وهزاعة وزنزوا وغيرها، كما استقروا بفزان وودان.

ويعد الشعير أهم المحاصيل الزراعية والغذاء الأساسى للسكان، وهو يفوق القمح. على أن الشعير أكثر ملائمة للمناخ وهو سريع النضج ويزرع الشعير في فزان على مياه العيون والآبار ويزرع القمح في السهل الساحلى بالرى والأمطار. كما يزرع في المرتفعات في إقليمى برقة وطرابلس على مياه الأمطار. ويتأثر الانتاج الزراعى وفقا لحركة الأمطار.

أما في فزان فتتم الزراعة بالرى من عيون المياه، وأما سهل جفارة في طرابلس وسهل المرج في برقة فهما أشهر مناطق زراعة الجنوب في ليبيا.

ويناسب المناخ الليبي زراعة الزيتون ولذلك كثرت زراعته، وهو يلى الشعير فى الأهمية للسكان، وتكثر زراعته قرب الساحل وفى الجبل.

ويعد التمر غذاء أساسيا للسكان خاصة فى الواحات ولذلك تكثر زراعته فى الداخل فى قيعان الأودية الجافة ويكثر النخيل فى فزان بصفة خاصة وهو يلى الزيتون فى الأهمية.

وتكثر زراعة الكروم فى طرابلس وبرقة والبيضا ويوجد اللوز فى برقة وطرابلس.

أما الجهات الساحلية فتختص بزراعة الحمضيات وهى أنواع يقبل عليها الأهالى لجودتها ويزرع التبغ فى طرابلس وفى غريان والعزيرية ويستخدم فى صناعة السجاير فى ليبيا.

ويزرع الفول السودانى فى فصل الشتاء وفى السهول الشمالية والأراضى الرملية، وتستخدم مياه الرى لزراعته.

ويثبت عشب الحلفا تلقائيا فى أطراف جبل طرابلس وفى المناطق شبه الصحراوية فى ترهونة، ومنه يصنع الورق وخاصة أوراق النقد ويصدر لأوريا.



أما عن التجارة، فقد بسط الليبيون سلطانهم على طرق التجارة بين أفريقيا والمغرب وشمال السودان عن طريقين:

الأول من بلاد أفريقيا فى الشمال متجها صوب الجنوب عبر الواحات

إلى المدن الكبرى في السودان، عبر حوض السنغال.

كما أن مدن زالة وزويلة ومتيح وودان وصرت وزويلة ابن خطاب كانت تقدر مراكز تجارية مع السودان وكان الملح أهم السلع التجارية مع السودان وكل الشمال الأفريقي.

وكان عرب ذباب من سليم الذين استقروا في إقليم طرابلس يعيشون من تجارة الملح. على أن العرب اهتموا بتجارة الملح مع السودان وأيضا مع الدول الأوربية بعد طحنه ثم تصديره.

كانت قوافل التجار تتعامل مع السودانيين بالملح والنحاس والودع في مقابل الصمغ والصدف والخرز والتبر. على أن المنطقة الممتدة من برقة إلى طرابلس وجد بها معدن الكبريت، وقام الليبيون بتصديره، كما وجد ببلاد فزان معدن الحديد ومعدن الفضة في جبل جرجس.

وهذا شجع الليبيين من عرب ذباب وناصره على الاستقرار فيها. كما بسط الليبيون سلطانهم على طريق التجارة الممتد من الاسكندرية إلى طرابلس. كذلك فإن برقة كانت المحطة الأولى بين مصر والمغرب.

كما قام الليبيون بتصدير الأغنام لمصر وكذلك عسل النحل وشمعه.

أما عن أحوال المغرب الدينية والمذهبية فإن الفتح العربي لبلاد المغرب كان منذ البدء هدفه الأساسي هو نشر الإسلام والعمل على بسط تعاليم الدين الاسلامي لشعوب تلك البلاد، حتى يتعلموا مبادئ الإسلام ويفيض عليهم بأنواره فيسعدون في حياتهم وبعد مماتهم، وهذا فضلا عن

الأسباب الأخرى منها تأمين العرب لفتوحاتهم في مصر.

دخل العرب بلاد المغرب، وبها عدد من المعتقدات الدينية، فمنهم المجوس وهم منتشرون في أنحاء مختلفة من البلاد مثل ويلي عند زرهون وبلاد المصامرة وبلاد السوس. كما اعتلق المجوسية قبائل بني يازغة وبني برغش وزناته الحبابية ومغراوة وبني يفرن الزناتى.

كذلك عرفت تلك البلاد الديانة اليهودية مثل قبيلة جراوة، قبيلة الكاهنة في جبال أوراس وقبائل نفوسه، في أفريقيا.

كما عرف أهل السهل الساحلى الأفريقى المسيحية. أخذ البربر يدخلون فى الإسلام وتعلقوا بمذهب الإمام مالك، وكان لهم حصنا لجأ إليه كثير من سكان المغرب بعيدا عن التيارات المذهبية لجماعات الخوارج. وصار للمذهب المالكى وضعه المميز فى المجتمع وجعلوا منه قدوة ومثلا أعلى لهم فى حياتهم.

لقد أخذ الإمام مالك بأسلوب مميز هو التمسك بالكتاب والسنة، وهو يسير على طريقة تعدد المناهج وسعة مدى التفكير الذى يفتحه لأنفسهم القائمون على المذهب من تلامذة الإمام، وتعدد الأجواء الفكرية التى يجتهدون فيها، وكثرت الأقطار التى أخذ فيها بالمذهب المالكى. فظهر فى بلاد الشام ثم امتد إلى بلاد المغرب حتى الأندلس.

وكان فقهاء هذا المذهب من جمع بين الفقه العميق والفلسفة فهذا ابن رشد الفقيه الذى تلقى عنه الأوربيون فلسفة أرسطو والذى نازل الغزالى فى هجومه على الفلاسفة، وكان فقيها ممتازا فى الفقه المالكى وله الكتاب القيم

فى الفقه المقارن المسمى (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) .

وهكذا كان انتشار مذهب مالك فى غرب البلاد الإسلامية، حتى يمكن القول أن المذاهب المالكية لعبت دورا كبيرا فى حياة السكان سواء فى المجال السياسى أو فى المجال الحضارى .

وصار مذهب الإمام مالك هو المدخل لكل من يرغب فى الاندماج فى المجتمع المغرب .

لقد حمل تلامذة الإمام مالك الموطأ الذى كتبه الإمام مالك، وهو يعد أول كتاب جمعت فيه روايات من السنة، وكانوا قبله يعتمدون على الذاكرة ولم يكن عزف التدوين، فضلا عن قلة من يعرفون الكتابة .



كذلك وجدت أقليات اعتقدت مذاهب أخرى كانت تمثل تجمعات بشرية لا تتميز بصفة قبلية وإنما بصفة طائفية، ومن هؤلاء الشيعة .

الشيعة بمعنى الذين شايعوا على بن أبى طالب أمير المؤمنين، وقالوا بإمامته وخلافته وأن الإمامة لا تخرج عنه وعن بنيه إلا بظلم وأن على وذريته أحق الناس بالخلافة، ويجمعهم القول بوجوب التعيين للإمام بالنصر عليه من قبله، ويثبتون العصمة للأئمة عن الكبائر والصغائر، ويجمع الشيعة حب على، ويختلفون فيما سواه .

ومن الشيعة من يرى أن الإمام فى الكمالات وهى الصفات الروحانية دون النبى وفوق البشر ويعتبرون الإمامة ركن من أركان الإيمان .

ومن الملاحظ أن الباطنية، التي هي أساس الدعوة لطوائف الشيعة، قد لزمهم هذا اللقب «الباطنية»، لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا والمقصود بكل هذا هو القرآن الكريم والحديث فهو أشبه بالتفسير عند السنة وبالفقه.

وقد دعوا الناس إلى إمام في كل زمان يعرف موازنات العلوم الدينية والمذهبية الشيعية يهتدى إلى مدارجها وهم فرق متعددة. منها فرقة أولاد الحسن لأنه أكبر أولاد علي وفرقة سلسلتها في أولاد الحسين لأن الحسن قد سلم للخلافة لمعاوية فأضاع حق أولاده. وفرقة جعلتها في محمد بن علي من غير فاطمة (محمد بن الحنفية) الابن الثالث لأن الحق آل إليه بعد وفاة أبيه وأخريه. ففي مقدمتهم في الشام الشيعة الاسماعيلية وهم الذين اعتبروا الإمامة منتهية عند اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٣هـ / ٧٦٠م وأن الإمامة انتقلت إليه بعد أبيه وهو التسلسل الذي نشأ منه الخلفاء الفاطميون في المغرب ومصر، إلى الخليفة المستنصر الفاطمي.

أما حزب الخوارج، الحزب المعارض الثاني فهو حزب لا يؤمن بالوراثة كأساس للنظام الحكم بل يرى أن يكون الاختيار هو الأساس، وأن يسير الخليفة على سياسة دينية ترتضيها الرعية، فإن حاد وجب عليه أن يعتزل الحكم ومن هؤلاء الأباضية.

وقد خرج هؤلاء الخوارج على علي لأنهم اتهموه أنه لم يتوخ الحق وقبل التحكيم، وظلوا خارجين على بني أمية معارضين لهم طيلة مدة حكمهم، لأنهم جعلوا الخلافة ملكا وراثيا. وقد كثرت ثوراتهم واشتد خطرها وخاصة في أيام الفتنة الكبرى، كفتنة ابن الزبير.

لقد وجد دعاة المذاهب الخارجية في المغرب مجالا واسعا لنقل أفكارهم وبشرها في تلك الأبحاث حيث لارقابة من الدولة . وعمدوا في سبيل نشر دعوتهم إلى الكافة إلى استخدام السلاح حتى تحقق لهم ماأرادوا.لقد وجدت الدعوة الأباضية. سبه إلى عبد الله بن أباض . والصغرية . نسية إلى زياد بن الأصغر . في أرض المغرب مايرغبون فيهم غير مقيدين مطلقا السراح في نشر دعوتهم ضد الدولة ، خاصة وأنهم قد لقوا جوا مناسبا واستجابة لمعرفة الأحكام الشرعية للدين الإسلامي .

وقد كانت الاستجابة لتلك الدعوات إيجابية بسبب ملاقاه سكان تلك المناطق من ظلم الولاة خاصة من يزيد بن أبي مسلم وعبيد الله بن الحبحاب .

لقد بحث الأهالي عن المساواة الكلية بين الناس، كما لمسوها في أول عهدهم بالفتح العربي بعد مجاء من الولاة من أذاقهم صنوف الاضطهاد فألقوا بأنفسهم في أحضان المذاهب التي روج لها الخوارج بين هؤلاء المظلومين دون ذنب اقترفوه .

لقد نجحت تلك الثورات الخارجية في تأسيس دولتين، دولة سلجماسة في جنوب المغرب الأقصى عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م والدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط وامتدت حتى طرابلس وقزان في الأرض الليبية بعد مبايعة عبد الرحمن بن رستم إمام الأباضية . وظلت الدولة الإسلامية في صراع مع هؤلاء الخوارج حتى قضت على نفوذهم السياسي، مع بقاء بعض معتنفي تلك المذاهب

من المذاهب . فإن التصوف بعد حركة روحية سياسية،

عرفها العالم الإسلامى من قديم وأدت دورا خطير الشأن، حتى لقد قامت فى بعض الأوقات بكل حركة المقاومة للغارة الأوربية على العالم الإسلامى، فالجماعات الصوفية هى التى دأبت على نشر الدين الإسلامى فى القارة الأفريقية، وروادها - وعلى الأخص الفرق السنوسية - نشرت الزوايا والمساجد امتدادا من برقة فى الشمال ثم جنوبا إلى جغوب والكفرة وحتى جنوب خط الاستواء بمسافة كبيرة.

وهذه الجماعات هى التى أمدت حركة المقاومة فى شمال أفريقيا، ضد الغزوات الأوربية بكل عناصر الثبات والبطولة، والتى لم تفقد الأمل فى النصر مهما اشتد الخطر وتفاقم الخطب.

والحركات الصوفية هى التى تأخذ هذا المظهر العملى فى حفظ كيان العالم الإسلامى خلال قرون الركود التى عاشها المسلمون تحت ظل الخلافة العثمانية تأخذ مظهرا آخر علميا وروحيا يتجلى لافى الكتب وحدها، ولكن فى هذا النظام الدقيق المحكم فى تسيير الأفراد إلى أى مكان فى العالم الإسلامى حيث يجد الراحل كل أسباب الراحة والأخوة والاطمئنان والذى ييسر له أداء واجبه، ولاغربة فى أن عظمة المسلمين إنما تتجلى فى الترابط والالتحام.

والتصوف لا يخالف شرعة الاسلام، ولا يناقض ماتم عليه إجماع الأمة من أصول وهو لا يبتدع فى الإسلام مبادئ ليست فيه.



لقد ازدهر الدين الإسلامى فى جميع أنحاء ليبيا منذ عهد الإسلام فى

زمن الفتح، فقد بدأ عمرو بن العاص ببناء أول مسجد جامع في طرابلس ثم تبعه المسلمون في بناء المساجد في عهد الأغالبة، ثم الشيعة الفاطميين في طرابلس وأجدابية.

كما سارع الليبيون أيضا في بناء المساجد في أنحاء البلاد، وعمل فيها الفقهاء والعلماء والزهاد أمثال عبد الله الشاب في عهد الأغالبة. وعبد الله ابن اسماعيل البرقي توفي عام ٣١٧هـ/٩٢٩م.

وعرف المسلمون المسجد، فكان للعبادة والتعليم والتوجيه، ومكان تشاور المسلمين وتناصحهم فيما بينهم من الأمور العامة للمسلمين ومكان التقاضي ومقر القيادة العسكرية وعقد ألوية الجيش المجاهد في سبيل نصر المسلمين، ومكان استقبال الوفود القادمة من مختلف الأنحاء.

أما إمام المسجد، فله سكنه بجوار المسجد ويقوم بتعليم المسلمين شئون دينهم في غير أوقات الصلاة وقد قام المعلم بالمسجد يعلم الفقه وتفسير القرآن ورواية الحديث.

كما أقيمت بعض العلوم والمعارف بالمسجد باعتبار أن مافيه مصلحة للمسلمين مطلوب تدارسه حتى يسائر المجتمع الإسلامي تطور الحياة ورفيها.

كما أنشئت الكتاتيب في مختلف أنحاء ليبيا لتعليم حفظ القرآن ومعرفة مبادئ الشريعة الإسلامية، وكانت تحلق بالمساجد أحيانا ثم انتشرت الكتاتيب في المدن والواحات.

وكذلك انتشرت في ليبيا الزوايا التي من أشهرها زاوية عبد السلام

الأسمر بمديده رنيطن وفد بنيد عم ١٠٠٠هـ / ١٦٩٤ م ورويت بمكنيه
اشتملت على مئات من الكتب القيمة

بل أن حركة الجهاد التي قادها الرعيم الكبير عمر المحفار ضد
الاستعمار الإيطالي بدأت من إحدى الروايا التابعة للحركة السنوسيه مما
يدل على عظم الدور الذي لعبته الراوية في حركة الجهاد الإسلامى .

الباب الثاني

أفريقيا (تونس)

الفصل الأول

أفريقيا من الفتح العربى حتى قيام دولة الأغالبة

• الوصف الجغرافى

• الفتح العربى فى أفريقيا (تونس)

• بناء مدينة القيروان فى تونس

• استشهاد عقبة بن نافع فى حروبه فى بلاد المغرب الأقصى واستيلاء
كسيلة على القيروان وتوقف الفتح

• استعادة العرب للقيروان وعودة الفتح فى بلاد المغرب الأقصى

تقع تونس في المنطقة الوسطى من الشمال الأفريقي بين البحر المتوسط في الشمال والشرق.

وليبيا في الجنوب الشرقي والصحراء في الجنوب الأفريقي والجزائر في الجنوب والغرب. وتمتد إليه جبال أطلس من الجزائر عند مدينة تبسة في الجنوب الغربي.

بينما تمتد بعض تلال متجهة إلى بنزرت. ويوجد في تونس نهر مجردة متجها من المغرب في إنحدار إلى الشمال الشرقي. ويكون سهول خصبة تنمو بها أنواعا مختلفة من النباتات غزيرة الإنتاج لخصوبة الأرض، وهي عامرة بالسكان على طول الساحل المتوسط.

ومن السهل الساحلي من شرق قابس بطول الساحل إلى شط الجريد تمتد الأراضي ذات الخصوبة العالية. وفي الغرب منها مناطق من الحلقا مع وجود بعض السبخات. وشط الجريد غابة من النخيل ترويه مياه تنبع من الرمل وتعد توزر بشط الجريد وتزخر بها البساتين متعددة الفواكه وتكثر أنواع البلح في مدينة توزر مع الوفرة العالية منه.

أما في مدينة قفصة وتقع في الشمال الشرقي من توزر فتشتهر بزراعة الفستق.

وأما مدن الكاف تبرسق وسليان وباجه وتقع جنوب غرب تونس فتشتهر بإنتاج الحبوب لاسيما القمح.

أما بنزرت فهي الثغر التونسي التي يقع في الغرب الشمالي وتشتهر بإنتاج البقول والزيتون وشرقها بحيرة بنزرت وتكثر بها أنواع الأسماك

وبجوارها أماكن للعبادة والدفاع عن المدينة فهي الرباطات الإسلامية التي أقامها المجاهدون في سبيل نصرة الدين الإسلامي.

أما في مدينة تونس فهي المدينة التي بناها والي أفريقيا حسان بن النعمان في العهد الأموي، حيث صارت عاصمة في عهده كما جعل منها وأقام به دارا لصناعة السفن الحربية.

أما مدينة سوسة وتقع في الشرق من خليج الحمامات فقد كانت دارا لصناعة السفن الحربية في عهد الأغالبة والأغالبة هم الذين فتحوا جزيرة صقلية عام ٨٢١٢هـ/٨٢٧م ثم استولوا على مالطة عام ٨٢٥هـ/٨٦٨م .

ومدينة سوسة بها أنواع مختلفة من الأسماك كما يصاد بها الحيتان. وتقع مدينة المهدية في الشرق من سوسة وهي التي بناها الفاطميون في أول عهدهم وجعلها الخليفة المهدي عاصمة للدولة ودارا للصناعة ومدينة صفاقس في جنوب المهدية على الساحل وهي مدينة تجارية تزخر بها حدائق الفواكه وأشجار الزيتون. وتواجه مدينة صفاقس جزر قرقرنة التي اشتهرت بصيد الأسفنج.

أما مدينة قابس فتقع على مدينة قابس ويكثر بها صيد الاسفنج وشرقها تقع جزيرة جربة.

ويعد حوض نهر مجردة غربا وشط الجريد في الجنوب الشرقي وفي واحات نفزاوة والمنطقة الوسطى منطقة مراعى للقبائل الرحل.

ومناخ تونس بحر متوسطي دافئ معتدل تكثر الأمطار فيه شمالا وتقل كلما توغلنا جنوبا.

تولى عثمان بن عفان الخلافة عام ٢٤هـ / ٦٤٤م بعد مقتل عمر، فعزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر وأفريقيا.

وتقدم عبد الله بن أبي سرح إلى الخليفة عثمان يستأذن في فتح أفريقيا لضمان أمن مصر من الخطر البيزنطى المحتمل على مصر.

قام والى مصر عبد الله بن أبي سرح من مصر على رأس جيش بلغ تعداده عشرون ألف مقاتل. وانطلق إلى أفريقيا عام ٢٧هـ / ٦٤٧م وكان يحكمها القائد البيزنطى جريجوريوس، الذى لم يكن على وفاق مع الامبراطور البيزنطى، مما جعله يستقل بشئون أفريقيا وقد مد نفوذه من اقليم طرابلس إلى طنجة.

التقى المسلمون بجريجوريوس حيث عسكروا فى بلدة قمونية وتبعد عدة أميال من سبيطلة التى تحصن بها القائد البيزنطى.

بدأ القتال بين الفريقين دون يجرز المسلمون نصرا. ثم قدمت فرقة من الجند المسلمين يقودهم عبد الله بن الزبير الذى سرعان ما عرض خطة حربية تقضى باستمرار القتال مع الأعداء دون توقف بحيث يتبادل الجنود القتال بالتبادل بحيث يقاتل فريق ويستريح فريق، فلا تكون للعدو فرصة للاستراحة من القتال حتى يمل ثم يفاجأ من المسلمين بالانقضاض عليه بينما جنوده مرهقين من الاستمرار فى القتال.

وقد نجح المسلمون واستولوا على سبيطلة بعد مقتل جريجوريوس فى المعركة.

ثم أقبل المسلمون يفتحون المعاقل والحصون واستولوا على مغانم كثيرة.

أدرك البيزنطيون ما حل بأفريقيا فأسرعوا بإرسال الإمدادات عن طريق البحر لاستعادة سبيلته إلا أن المفاوضات التي تمت بينهم وبين المسلمين انتهت إلى عودة عبد الله إلى مصر بعد توليه نافع بن عبد القيس الفهري عليها. وذلك نتيجة لحدوث ثورة على الخليفة عثمان، انتهت بتولية معاوية بن أبي سفيان الحكم (٤١-٦٠هـ / ٦١١-٦٨٠م).

قام معاوية بن أبي سفيان بتعيين معاوية بن خديج على أفريقيا لمتابعة الجهاد، فخرج معاوية بن خديج على رأس حملة في ام ٤٥هـ / ٦٦٥م متجها إلى أفريقيا في نفس الاتجاه الذي سار فيه من سبقوه من القادة المسلمين.

والتقى معاوية بن خديج بالأعداء عند قمونية وهزمهم ثم اتجه إلى جلولا، وياشر قتال الأعداء وداوم على قتالهم حتى انكشف لأحد الجنود جزء من سور المدينة قد انقض فأسرع الجندي إلى قائده يخبره بما رأى فاتجه المسلمون مسرعين إلى الجزء المتهدم من السور وهاجموا منها المدينة واقتحموا جلولا واستولوا على غنائم كثيرة.

ثم سرع معاوية بن خديج في إقامة المباني في ناحية القرن فكانت بداية لبناء مدينة القيروان فيما بعد. ثم اتجه المسلمون بعد ذلك لفتح سوسة ثم من بعدها بنزرت.

وفى عام ٥٠هـ / ٦٧٠م، تولى عقبة بن نافع ولاية أفريقيا. وعقبة هو الذى أنشأ مدينة القيروان على بعد أميال من الساحل على طريق المواصلات وبنى بها الجامع ودار الإمارة ثم أحاطها بسور ونمت بعد ذلك حتى صارت مركزا للقيادة الإسلامية.

قاد عقبة جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل وبعث بالطلائع لتساعد الجيش فى قتاله مع العدو وتمكن من فتح كثير من الحصون والقلاع الحربية مثل ودان وجرمه وقصور وغداس وقفصه.

وفى عام ٥٥هـ / ٦٧٤م تولى أفريقيا أبو المهاجر دينار، وذلك بالإضافة إلى ولايته لمصر، وبعد أن وصل أبو المهاجر إلى القيروان رأى أن يقيم بمعسكر قريبا منها حيث بدأ منه نشاطه العسكرى.

قام أبو المهاجر من معسكر بالقرب من القيروان على رأس جيش متجها إلى تلمسان وفى طريقه إليها فتح مدينة شريك وأدخل جميع بلاد الجريد فى الإسلام وكذا جميع بلاد الجزائر، وفى تلمسان تقابل أبو المهاجر مع كسيله زعيم قبيلة أوريه من البرانس وتمكن من أسره وتمكن من جذبه إلى الإسلام فأسلم هو وقبيلته.

وبعد وفاة الخليفة معاوية تولى بعده ابنه يزيد فأعاد عقبة بن نافع إلى ولاية أفريقيا فى عام ٦٢هـ / ٦٨١م . وفى ولاية عقبة بن نافع وهى ولايته الثانية على أفريقيا اتجه بجيوشه إلى شواطئ المحيط الأطلسى على رأس جيش تعداده خمسة آلاف مقاتل، وهو يعلن على الملأ من جنوده أنه يجاهد فى سبيل الله ورفع راية التوحيد.

واصل عقبة فتوحاته ففتح لمنيس وبغاية وأدنه والروم تفر أمامه خوفاً وهلعاً حتى بلغ طنجة فقباه حاكمها بإبان مرحباً وأعلن طاعة المسلمين.

ثم انطلق عقبة إلى وليلي ثم إلى درعة والسوس فتقابل مع جيوش البربر وهزمهم. ثم واصل سيره حتى بلغ المحيط.

ثم أقام مسجداً في أرض السوس ليرشدهم عن طريق الدعاة من المسلمين إلى تعاليم الدين. على أن كسيلة لسبب في نفسه خرج عن طاعة المسلمين والتقى مع جماعة من الروم وانفقوا على مواجهة المسلمين واستعادة أرضهم منهم.

وفي أثناء عودة عقبة إلى قاعدته في القيروان قطع كسيلة عليه الطريق في عام ٦٤هـ / ٦٨٣م بأن دبر له كميناً هو وجماعة من الروم. وكان عقبة في قلة من أنصاره. وبلغ خبر ذلك لكسيلة، وانقض على جماعة المسلمين فحاربوه ولكنه تغلب عليهم واستشهد عقبة ومن معه في مكان يسمى تهوده وأقام المسلمون مسجداً على قبر عقبة، ما يزال مزاراً مشهوداً يؤمه المسلمون.

واصل كسيلة ثورته ضد المسلمين حتى دخل القيروان التي انسحب منها زهير بن قيس متجهاً إلى برقه في انتظار مدد يأتيه من مصر.

وظل الحال على ذلك حتى تولى الخلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م) فبعث إلى زهير في عام ٦٩هـ / ٦٨٨م جيشاً قاده زهير لمهاجمة كسيلة وتقابل زهير وكسيلة فانهزم كسيلة وقتل واستعاد زهير القيروان. ثم واصل هجومه إلى الجزائر واستعاد سلطان المسلمين فيها بعد

أن فرت الروم والبربر منهزمة. ثم عاد ثانية إلى القيروان.

ثم رأى زهير أن يعود لمصر فاتجه إلى برقه وفي برقه كان الجيش الاسلامى قد اتجه إلى القيروان ولم يبق في برقه إلا قلة من الجند. فانتهاز البيزنطيون الفرصة وهاجموا برقة بأسطولهم واستولوا على كثير من السبايا والغنائم.

وصل الخبر إلى زهير الذى أسرع لنجدة المسلمين فتكاثر البيزنطيون على المسلمين وفيهم زهير الذى استشهد في تلك الموقعة.

وفي عام ٧١هـ / ٦٩٠م تولى حسان بن النعمان ولاية أفريقيا.

خرج حسان بن النعمان من مصر متجها إلى أفريقيا يقود جيشا بلغ تعداده أربعون ألف مقاتل عام ٧٤هـ / ٦٩٣م اتجه حسان إلى القيروان وبعث بطلائعه يستكشف أماكن تواجد البيزنطيين لما عرفه عنهم من مكرهم وخداعهم فأراد أن يتعقبهم ويقتلهم ويتخلص من شرهم، وأدرك أن مقرهم في قرطاج، فأعد جنده وانطلق إلى مقر عاصمتهم قرطاج ولما كانت المدينة محصنة وقوتها الدفاعية عالية، لم يتمكن المسلمون من فتحها، إلا أن قوة عزيمتهم وتصميمهم على فتحها مهما بلغ بهم الأمر، مكنهم من التغلب على المدافعين عنها ففر من بها من البيزنطيين إلى البحر فانهارت القوة الدفاعية في قرطاج وتمكن المسلمون من فتحها. وعندئذ أقبل من بالمدينة إلى المسلمين مذعنين.

بعد ذلك اتجه المسلمون إلى بنزرت ففتحوها ولما تم لحسان القضاء على المقاومة البيزنطية عاد إلى العاصمة القيروان. لتدبير أموره من

جديد. اتجه حسان بعد ذلك لمواجهة البربر وبدأ يستطلع أحوالهم وأماكن تجمعاتهم حتى عرف أن امرأة اسمها داهية وتعرف بالكاهنة تبسط على جموع البربر بتدبير من أعمانها في السحر والكهانة وتقيم في جبل أوراس وتجعل منه ملاذا وحصنا لها.

اجتمع بجنوده وواجه البربر تقودهم الكاهنة وفي وادي مسكيانه اشتبك المسلمون مع البربر في قتال المسلمين يتودهم حسان والبربر تقودهم الكاهنة وتغلبت الكاهنة في تلك المعركة على المسلمين وقتلت منهم الكثير. وأرغم حسان على الانسحاب من أرض المعركة وظل في تراجع حتى بلغ بركة، وأرادت الكاهنة صرف المسلمين عن بلادها فعمدت إلى حركة تخريب وإفساد في البلاد فكان ذلك وبالا على شعبها الذي اضطر إلى اللجوء إلى حسان يستغيثون من هول ماوقع بهم من أضرار مادية لا يستطيعون مقاومتها، فقد أمرت الكاهنة بقطع الزروع والأشجار والثمار حتى صارت الأرض جدياء فجاع الناس.

وعندئذ انطلق حسان بجيوشه وقد انقلب السكان من البربر على الكاهنة وانضموا إلى المسلمين فتمكن المسلمون من دخول قابس ثم قفصة ثم قسطيله ونفزاوة. لقد وجد حسان التأييد والمؤازرة من جموع البربر. وتقابل المسلمون مع الكاهنة عند بئر عرف ببئر الكاهنة واشتبك حسان مع الكاهنة في معركة عنيفة قتلت فيها عام ٨١هـ / ٧٠٠م.

ثم تمكن حسان بعد ذلك من إقامة مدينة تونس وكانت تبعد قليلا من قرطاجه التي خربها المسلمون من قبل وبنى بها داراً لصناعة السفن لمقاومة الاسطول البيزنطي وصد غاراتهم البحرية.

قام حسان بعد ذلك باجراء اصلاحات ادارية فنظم العلاقة بين العرب والبربر وسوى في المعاملة بينهم جميعا فأدى ذلك إلى ازدياد البربر قريبا من المسلمين، وأقبلوا على الاسلام الذى جعلهم فى مرتبة واحدة مع المسلمين وملكهم الأراضى فى المناطق التى لم تقاوم المسلمين.

كذلك افسح لمن أبدى تعاوننا مع المسلمين أفسح لهم مجالا طيبا فى المجتمع الاسلامى، فأدخلهم فى خدمة العسكرية الإسلامية.

كما أسند بعض الأعمال فى القيادة المدنية إلى القبائل حسب توزيعها فى البلاد فرحبوا وصاروا أكثر قريبا وارتباطا بالعرب. كما قام العرب بالعمل على نشر الدين الاسلامى عن طريق بناء المساجد والكتاتيب مما جعل الأهالى يقبلون على تعلم الدين الاسلامى بهمة وحماس بالغ.

وفى عام ٨٦٦هـ / ٧٠٥م تولى موسى بن نصير ولاية أفريقيا، وبعد أن دخل القيروان أعلن خطته المقبلة فى صراعه ضد الأعداء وأوضح فيها عزمه وتصميمه على تثبيت أركان الدولة الإسلامية. فى كل أرض المغرب . ثم أسرع موسى متجها بجنوده يقودهم إلى القلاع والحصون التى تلى القيروان العاصمة الإسلامية فهاجم قلعة زغوان وفتحها، ثم تابع هذه الخطوة بخطوات تليها فأنتم فتح جميع القلاع والحصون التى يخشى على القيروان منها.

ثم اتجه مسرعا إلى المغرب الأوسط (الجزائر) يواصل خطته فى الفتح بحيث يقاتل فى أكثر من اتجاه فى وقت واحد، الأمر الذى يساعد على إرباك العدو فتضعف مقاومته أمام الزحف الإسلامى الصاعد.

ثم اتجه بعد ذلك إلى الجنوب الأقصى، وهر يواصل هجرته متشعبا في أكثر من اتجاه ونجح بن نصير في خططه هذه أعظم نجاح فقد أحدث في صفوف المدافعين حالة من الانزعاج الشديد والرهبة من إمامه وابن نصير يسرع في خطاه متقدما قواته وكله عزم وإصرار حتى وصل إلى مدينة طنجة وإقليم السوس في أقصى الجنوب ثم أسند ولاية طنجة إلى طارق بن زياد، متخذا في ذلك نفس الخطة التي سار عليها من سبقه في الاستعانة بأهل البلاد الأصليين من البربر بإعطائهم الفرصة في تولي مناصب قيادية، الأمر الذي أدى إلى تلاحم العرب والبربر في العمل على استقرار الأمن في البلاد.

وعمل ابن نصير على تيف جماعات من العرب والبربر للقيام بتعليم أهل البلاد من البربر مبادئ الدين الإسلامي والقرآن والسنة، وأنشأ في سبيل تحقيق هدفه ذلك المساجد والكتاتيب.

ثم شرع في عمل التنظيمات الإدارية وقسم البلاد إلى ولايات بحيث جعل من طنجة عاصمة للمغرب الأقصى، ومن تلمسان عاصمة للمغرب الأوسط، وجعل للمغرب الأدنى عاصمته القيروان ويشمل طرابلس شرقا وجعل من برقة ولاية منفردة وعاصمتها المرج. كما جعل من سجلماسة عاصمة لولاية السوس الصحراوية. ولما أراد فتح أيبريا (أسبانيا والبرتغال) بعث بطريف، أحد رجاله للاستطلاع، فعاد إليه طريف مشجعا على الفتح فكلف موسى بن نصير طارق بن زياد وذلك في عام ٩١ هـ / ٧٠٩ م وتمكن طارق من فتح أيبريا التي أطلق عليها العرب اسم بلاد الأندلس وذلك بفضل جهود طارق وبفضل الامدادات التي أمده بها موسى بن نصير بعد ما توسع طارق في الفتح.

لقد ساعد مبدأ المساواة بين المسلمين جميعاً من عرب وبربر دون
تفرقة بين جنس وكنس على الاستعانة بمن دخل في الاسلام من البربر
فأضاف مبدأ المساواة الإسلامي قوة البربر إلى قوة العرب فكان الفتح الذي
كان من قاداته طارق بن زياد وطريف بن مالك وهما من البربر، أدركوا
عظمة الاسلام وملاً قلوبهم فصاروا من أخلص جند الاسلام ولم يشارك
البربر في حمل السلاح لنصر الاسلام فحسب بل شاركوا في تعليم مبادئ
الاسلام بين البربر في المساجد والكتاتيب التي أقامها موسى بن نصير في
أنحاء البلاد المغربية.

لقد طالت مدة الفتح للبلاد المغربية حتى بلغت ما يقرب من ثمانين
عاماً بينما لم يحدث ذلك للفتوحات الاسلامية في أي من بقاع الأرض،
ويرجع ذلك إلى أسباب منها طبيعة الأرض المغربية ووعورتها فمن سهول
ساحلية ضيقة إلى جبال غاية في الارتفاع مما يتعذر معه التوغل في تلك
الأراضي في نفس الوقت الذي يسهل فيه لأهلها الدفاع عنها.

كما أن الأمبراطورية البيزنطية لم تكن لتفرط في ممتلكاتها التي
استعمرتها مئات السنين في سهولة ويسر ولكنها أرغمت على الانسحاب
منها أمام جحافل المسلمين .

كما أن عدالة الاسلام في جعل المساواة بين البشر مبدأ قائماً وهدفاً،
جعل الشعوب المغربية تندفع إلى الدخول فيه والتمسك بأهدافه في العدل
والمساواة .

فلما تخلى بعض قادة العرب والمسلمين عن بعض تلك المبادئ
صممت قبائل البربر على التمسك بمبدأ المساواة كما جاء به الدين وثاروا

على حكاهم العرب، مما أدى إلى ارتباك فى الجبهة المغربية وقامت الثورات ضد الحكام الجدد.

وهكذا بدأت صفوف المعارضة تظهر فى بلاد المغرب، وفى عام ٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) تم عزل موسى بن نصير من قيادة المغرب، فعاد موسى إلى دمشق العاصمة بعد أن جعل ابنه عبد الله خلفه فى حكم بلاد المغرب.

لقد أغضب موسى سليمان بن عبد الملك حين رفض التباطؤ فى الوصول إلى العاصمة دمشق حتى تصير الأموال والغنائم والسبابة إلى سليمان حيث كان الخليفة الوليد فى النزع الأخير فرغب سليمان وقد أوشك على تولى عرش الخلافة أن يستأثر هربها.

غضب سليمان من موسى بن نصير وتوعده ثم قاضاه على أموال قبضها سليمان بن عبد الملك وخلى سبيله، ثم رضى عنه وندم على يمين كان قد أقسم بها أن لا يوليه شيئاً وكان يقول أن مثل موسى بن نصير لا يستغنى عنه.

ثم أسند سليمان بن عبد الملك ولاية المغرب إلى محمد بن يزيد، حكم أفريقيا والمغرب وعمل بخطة سليمان حين كلفه بولايتها أن يسير بين الناس بالحق والعدل.

وقد التزم محمد بن يزيد بالسير فى حكمه بالعدل بين الناس ولكنه استثنى عائلة ابن نصير من هذه الخطة إذ أصدر أوامره بحبس عبد الله ابن موسى بن نصير وصادر أموال عائلته المقيمة فى القيروان.

وفى عام ٩٩هـ/٧١٧م تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) فأدخل اصلاحات كثيرة فأصدر أوامره بالمساواة بين العرب والشعوب المفتوحة فى الخراج وجباية الأموال.

لقد عمل عمر بن عبد العزيز بنظرية عالمية الإسلام فحارب العصبية ورفض العنصرية والجنسية ونادى بالعدل والمساواة دون تفرقة، وعاش العرب والبربر فى جو مشبع بالمحبة والوئام وتمتع الجميع بالعدالة والرفاهية وبالرخاء.

بعث عمر بن عبد العزيز بعشرة من الفقهاء يتزعمهم اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر الذى اسند إليه ولاية أفريقيا عام ١٠٠هـ/٧١٩م ليعملوا على نشر الاسلام.

اسلم كثير من البربر بأعداد كبيرة للغاية وأقبل الشباب على التفقه فى الدين مما ساعد على سرعة انتشار الدراسات الدينية فى أفريقيا والمغرب.

وفى عام ١٠١هـ/٧٢٠م تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م) بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فتم فى عهد يزيد عزل اسماعيل بن عبد الله وعين لولاية أفريقيا يزيد بن أبى مسلم.

تولى يزيد بن أبى مسلم ولاية أفريقيا فى ١٠١هـ/٧٢٠م وسار على سياسة مغايرة لسياسة سلفه تماماً، حيث عامل الأهالى بالشدة على عكس ماكان عليه الحال من قبل، فأسخطت السياسة الجديدة شعب البربر وبدأت فكرة التخلص من الوالى الجديد بقتله، وتم لهم ذلك ثم بعثوا إلى الخليفة يعلموه بما وقع من أحداث ويلتمسون لأنفسهم العذر فى مقتل واليهم يزيد بن

أبى مسلم لأنه خرج عن دعوة الحق وأساء السيرة فى الناس وأعلنوا فى نفس الوقت طاعتهم للخليفة .

وقبل الخليفة يزيد بن عبد الملك بالأمر الواقع واستجاب لأهل البلاد، وعين بشر بن صفوان لولاية أفريقيا . وتوجه بشر بن صفوان فى عام ١٠٢هـ / ٧٢١م من مصر وكان واليا عليها فكلف أخاه حنظلة بخلافته فى ولاية مصر وواصل هو مسيره إلى القيروان فى نفس العام وعندما استقامت الأمور لبشر بن صفوان فكر فى العودة إلى مصر لمقابلة الخليفة يزيد بن عبد الملك فوجد مكانه فى عرش الخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٣م) الذى أبقى عليه فى منصبه واليا على أفريقيا، وعاد بشر إلى منصبه وأخذ فى ممارسه عمله، وبعد قيامه بغزوة بحرية فى جزيرة صقلية، وترتيب شئون إدارته فى البلاد مرض وأحس بدنو أجله فكلف أحد رجاله المخلصين ليقوم بإدارة البلاد بدلا منه . وفى عام ١٠٩هـ / ٧٢٧م توفى بشر بن صفوان .

وفى عام ١١٠هـ / ٧٢٨م اسند هشام بن عبد الملك ولاية أفريقيا إلى عبيدة بن عبد الرحمن السلمى الذى وصل إلى القيروان فى عام ١١٠هـ / ٧٢٨م وفى خلال مدة حكمه سار عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة التعصب البغيضة فانحاز إلى القيسية لأنه قيسى واضطهد اليمانية، وبذلك ظهرت النزعة العصبية الأمر الذى أوجد عاصفة من الخلافات والانقسامات بين القبائل العربية فى بلاد المغرب والأندلس .

وفى عام ١١٤هـ / ٧٣٢م كلف عبد الرحمن عقبة بن قدامة بإدارة شئون البلاد واتجه هو إلى المشرق قاصدا دمشق لمقابلة الخليفة هشام . وبعد

أن قدم الهدايا والتحف بأنواعها ومن الذهب والفضة ومن غيرها . طلب من الخليفة إعفائه من منصبه . فاستجاب له الخليفة وأعفاه من منصبه بسبب ما وصلته من شكاوى ضد عبد الرحمن وتولى عبيد الله بن الحبحاب ولاية أفريقيا في عام ١١٦هـ / ٧٣٤م .

قام عبيد الله بالعمل على استقرار الأحوال في بلاد المغرب الأقصى في السوس فبعث بالحملة العسكرية التي قادها حبيب بن أبي عبيده وتمكنت الحملة من العمل على استقرار الأحوال في تلك الجهات .

على أن عبيد الله بن الحبحاب لم ينهج خطة سياسية رشيدة في تعامله مع الأهالي واستخدم أساليب تخالف العرف الاسلامي في العدل والمساواة بين جميع البشر، فأثار سياسته تلك حركة عصيان بين البربر وبدأ الصراع المسلح في البلاد .

لقد أخطأ عبيد الله بن الحبحاب ولم يتعظ بما حدث لأسلافه من الولاة السابقين وما ارتكبه من أخطاء حين تخطوا مبادئ الاسلام في اتباع المساواة ونشر العدل بين الناس جميعا دون تفرقة بينهم بأية حال . وعملوا في نفس الوقت على إرضاء الخلفاء فأكلوا أموال الناس بالباطل ليدلوا بها إلى الحكام حتى ولو كان ذلك ضد مبادئ الدين الاسلامي . فبعثوا بما استولوا عليه من الاموال في أشكالها المختلفة . مما أوجر صدور الذين أقبلوا على الاسلام عن طواعية واختيار لما لمسوه من عدالة ومساواة، فلما انقلب الحال بتغيير خطط الولاة في السير في الطريق غير القويم، وذلك مثل محاولة معاملة الذين دخلوا في الاسلام بنفس معاملة من بقى على دينه فثار البربر وأعلنوا العصيان وانضموا إلى الخوارج الذين طالبوا بمبدأ

المساواة بين جميع البشر وفقا لتعاليم الاسلام ، ولقى المذهب الأباضى والمذهب الصفري المؤازرة التامة من جموع البربر الساخطة على خطط الإدارة الفاسدة والمنافية لتعاليم الاسلام.

علم عبيد الله بن الحبحاب، بما حل بالبلاد من قلاقل وثورات ظهرت فى بلاد المغرب الأقصى يقودها ميسرة المدغرى البترى الذى انضم إلى الصفري وتبعته قبيلته حيث أخذ بدعوتهم. ثم تقدم الثوار فى المغرب الأقصى واستولوا على طنجة ثم واصلوا سيرهم إلى السوس واستولوا عليه ثم أعلن ميسرة نفسه خليفة وتابعه شعبه من البربر. بعد ذلك تقدم ميسرة شرقا متجها إلى القيروان للاستيلاء عليها ولكنه هزم فى إحدى معاركه وتولى مكانه خالد بن حميد الزناتى فى عام ١٢٣هـ / م.

أرسل عبيد الله بن الحبحاب بجيوشه يقودها خالد بن حبيب لمواجهة البربر وهم يقودهم خالد بن حميد الزناتى الذى تولى قيادة البربر بعد مقتل ميسرة والتقى العرب والبربر، فانهزم خالد بن حبيب حيث تكاثر عليه البربر وسقط قتيلا فى المعركة، وواصل عبيد الله بن الحبحاب قتاله البربر بأن بعث جيش حبيب بن أبى عبيده للعودة من غزوة بصقلية والانضمام إلى جيش خالد بن حبيب فى الجزائر عند نهر شلف والتقى جيش عبيد الله بن حبيب والبربر فانهزم العرب.

وبلغت أنباء الهزائم الخليفة هشام بن عبد الملك فعزل عبيد الله من ولاية أفريقية وولاهها كلثوم بن عياض القشيرى فى عام ١٢٤هـ / ٧٤١م يعاونه ابن أخيه بلج بن بشر.

تقابل جيش كلثوم القشيرى مع جيش البربر فانهزم كلثوم وسقط قتيلا

فى المعركة فكلف هشام حنظلة بن صفوان الكلبى بولاية أفريقيا ويقدم حنظلة إلى القيروان.

وهنا يلجأ البربر إلى التنسيق لمواجهة الثوالى الجديد عسكريا فاجتمع فى الجزائر بالزاب زعيمان صفريان هما عكاشة بن محسن وهو عربى وعبد الواحد بن يزيد الهوارى من البربر، وأبلغت طلائع حنظلة التى بعث بها للاستطلاع والتحدى بتحركات وخطط الصفرية، فأسرع حنظلة بقاء عكاشة وتغلب عليه وهزمه ثم تقدم عبد الواحد متجها بجيشه إلى القيروان.

اجتمع مع حنظلة أهالى القيروان من الرجال والنساء والفقهاء، فاشتعلت القلوب حماسا فى صفوف جيش حنظلة فتغلب على عبد الواحد الهوارى وهزمه.

وفى عام ١٢٦هـ/٧٤٣م قتل الخليفة الوليد بن يزيد فأعلن عبد الرحمن بن حبيب حفيد عقبة بن نافع نفسه واليا على أفريقيا فى ١٢٧هـ/٧٤٤م، ولكن حنظلة رأى أن يتريث فى الأمر تجنباً لسفك دماء المسلمين، وعزم على العودة إلى مقر الخلافة الأموية فى دمشق فوصلها فى عام ١٢٩هـ/٧٤٦م فى الوقت الذى كان مروان بن محمد قد تولى عرش الخلافة (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م) فأقر الخليفة ولاية عبد الرحمن بن حبيب على أفريقيا درءاً للانقسامات والنزاعات.

وفى عام ١٣٠هـ/٧٤٧م قامت بطرابلس ثورة يقودها عبد الله بن مسعود التجيبى الأباضى فبعث إليه عبد الرحمن بأخيه الياس فقضى على الأباضية الثائرين، فلجأت الأباضية إلى الحارث بن تليد وجعلته إماماً للأباضية، فعين تليد عبد الجبار بن قيس المرادى وزيرا له. ثم تقابل

الأباضية مع عبد الرحمن فانهزم الأباضيون عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م.

وفى عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م قامت الدولة العباسية بعد انهيار الدولة الأموية التى انتهت باستشهاد مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية.

تولى أبو العباس عبد الله (السفاح) وأول خلفاء الدولة العباسية (١٣١-١٣٦ هـ / ٧٥٠-٧٥٤ م) فأقر عبد الرحمن بن حبيب فى ولايته على القيروان وأفريقيا حيث أعلن مبايعته للعباسيين وهو الذى هاجم الصفرية فى تلمسان وهزمهم فى عام ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م وفى عام ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م تولى أبو جعفر المنصور الخلافة (١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٥٤-٧٧٥ م) فأقر أبو جعفر للمنصور ولاية عبد الرحمن على أفريقيا.

وفى عام ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م قتل عبد الرحمن بن حبيب بتدبير من أخويه إلياس وعبد الوارث ثم تمكن حبيب من عمه إلياس وقتله، وتولى هو مكان عمه وفى عام ١٣٨ هـ / ٧٥٥ م هاجمت قبيلة ورفجومه القيروان واستباحتها.

وفى عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م حارب حبيب الصفرى وقتل حبيب فى المعركة. وظلت القيروان مستباحة من قبل ورفجومه، فلجأ أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع الأباضى إلى محاربة ورفجومه وهزمها وحمى القيروان من شرهم فى عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م وتولى عبد الرحمن بن رستم ولايتها. وعندئذ بعث أبو جعفر المنصور بوالى مصر محمد بن الأشعث بجيش كبير إلى أفريقيا وتمكن من هزيمة الأباضية بقيادة أبى الخطاب الذى هزم فى المعركة. فانسحب عبد الرحمن بن رستم إلى إقليم الزاب فى الجزائر وهناك أقام دولة أباضية المذهب فى تاهرت، عاشت حتى عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م

وفى عام ١٤٨هـ/ ٧٦٥م اعتلى الأغلب بن سالم التميمي ولاية أفريقيا، ولما قتل فى عام ١٥٠هـ/ ٧٦٧م خلفه عمر بن حفص المهلبى وأقام مدينة طبنه فى الزاب فهاجمته الأباضية بزعامة أبى حاتم وحاصروا القيروان فقتل فى المعركة فى عام ١٥٤هـ/ ٧٧٠م.

ثم تولى يزيد بن حاتم قيادة أفريقيا وتمكن فى فترة حكمه من التغلب على الصفورية فى إقليم الزاب والأباضية فى طرابلس، وفى جبل نفوسة. وبذلك سيطر أهل السنة على كل بلاد المغرب.

اهتم يزيد بن حاتم بالتعمير والتجديد فى القيروان فأصلح فى جامعها، وأعاد ترتيب أسواقها فجعل لكل حرفة مكانا خاصا بها.

رأى مرة فى تجواله فى المدينة غنما كثيرا ولما علم أنها ملك لإبنة أمر بذبحها وتوزيعها على الأهالى ومنع ابنه من الاشتغال بالتجارة. ومات فى ١٧٠هـ/ ٧٨٦م وفى عام ١٧١هـ/ ٧٨٧م تولى بعد أخوه روح بن حاتم الذى فى عهد ظهـرت دولة الأدارسة بالمغرب (١٧٢-٣٧٥هـ/ ٧٨٨-٩٨٥م)

قامت دولة الأدارسة فى بلاد المغرب على يد الإمام أدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الذى فر من العباسيين عام ١٦٩هـ/ م فى عهد الخليفة العباسى الهادى. وأقام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، دولة علوية عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م وأسسوا مدينة فاس وجعلوها عاصمة لهم.

وفى عام ١٧٤هـ/ ٧٩٠م توفى روح بن حاتم وتولى بعده نصر بن

حبيب المهلبى وعرف بحسن سيرته . ثم عزله الخليفة هارون الرشيد وولى عليها الفضل بن روح ثم عزل وعين مكانه هرثمة بن أعين عام ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م الذى سار على خطة حسنة فى مدة حكمه وهو الذى بنى رباط المستير لحماية الساحل من غارات قراصنة البحر المتوسط، بناء بين سوسة والمهدية، ثم اتجه عائداً إلى المشرق عام ١٨١ هـ / ٧٩٧ م فولى الرشيد على أفريقيا محمد بن مقاتل أنسى . ثم عزله

وفى عام ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م قامت دولة الأغالبة فى أفريقيا بتوجه من الخليفة العباسى هارون الرشيد.

الفصل الثانى

أفريقيا (تونس) منذ عهد الأغالبة إلى الاستقلال

- * قيام دولة الأغالبة فى أفريقيا (تونس)
- * انتهاء دولة الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية الشيعية فى أفريقيا (تونس)
- * بناء المهدية العاصمة الجديدة فى تونس للدولة الفاطمية الشيعية
- * انتقال الدولة الفاطمية الشيعية إلى مصر. وتولية زيرى الصنهاجى حكم أفريقيا والمغرب.
- * خروج الدولة الصنهاجية فى عهد المعز بن باديس عن طاعة الفاطميين ودخوله فى طاعة الدولة العباسية
- * الهجرة الهلالية من مصر إلى البلاد المغربية ونتائجها فى أفريقيا
- * ظهور الدول والإمارات فى أفريقيا
- * ضعف القوة الدفاعية للبلاد وظهور الأطماع الاستعمارية الفرنسية فى تونس
- * حركات التحرير التونسى واستقلال البلاد

دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦ هـ / ٨٠٠-٩٠٩ م) قامت دولة الأغالبة فى أفريقيا (تونس) بتوجيه من الخليفة العباسى هارون الرشيد للعمل على إخماد ثورات البربر والوف فى وجه الأدارسة إذا حاولوا الإغارة على أراضى الدولة العباسية.

أسس دولة الأغالبة ابراهيم بن الأغلب التميمى ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م واتخذ القيروان عاصمة للدولة وعمل على تكوين قوة بحرية ضخمة وبنى مدينة العباسية على بعد قليل من القيروان وجعل بها معسكرات الجند وخزائن السلاح. وجعلها دار إمارة لدولته ثم خلف بعد وفاته ابنه أبو العباس عبد الله عام ١٩٦ هـ / ٨١١ م وفى عام ٢٠١ هـ / ٨١٦ م توفى أبو العباس وخلفه فى الحكم أخوه زيادة الله (٢٠١-٢٢٣ هـ / ٨١٦-٨٣٧ م) وفى عهده صار الأسطول الأغالبى أقوى أساطيل البحر المتوسط كما اهتم بالتعمير فأقام المساجد والقناطر والأربطة والخزانات بالقيروان والعباسية وتونس وسوسة وشغف بالفنون والآداب.

كما جاهد فى سبيل نشر راية الإسلام. وفى عام ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م قام بغزو سردينية وعاد منها بغنائم كثيرة وكانت غزواته لتلك الجزر لدرء خطر الغارت البيزنطية على السواحل الأفريقية.

وظل الاسطول الأغالبى يسيطر على جنوب أوربا فى صقلية وأيطاليا. وفى عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م أخضع الأغالبة لسلطانهم جزيرة صقلية حين أرسلوا اسطولهم وأنزلوا جيشا يقوده أسد بن الفرات ففتح صقلية بعد محارب الصقليين وهزمهم فى موقعة بمدينة مازر. ثم واصل الاستيلاء على القلاع والحصون حتى خضعت له الجزيرة.

وفى عام ٢٢٣ هـ / ٨٣٧م توفى زيادة الله فخلفه أخوه الأغلب. وفى عهده واصل الأغالبة فتح مابقى من صقلية.

وفى عام ٢٢٦ هـ / ٨٤٠م تولى الحكم أبو العباس محمد (٢٢٦-٢٤٢ هـ / ٨٤٠-٨٥٦م) وفى عهده فى عام ٢٣٠ هـ / ٨٤٤م هاجمت بعض سفن الأسطول الإيطالى سواحل أفريقية وغنمت وأسرت عددا من سكان الساحل التونسى، فأصدر الأمير محمد أوامره بغزو إيطاليا وقام الأسطول الأغالبى بالهجوم على ضواحي روما واقتحموا واستولوا على غنائم كثيرة، ثم تكررت غزواتهم لردع المعتدين وإرهابهم.

وفى عام ٢٤٢ هـ / ٨٥٦م توفى الأمير محمد وتولى الإمارة ابن أخيه أحمد الذى استولى الأغالبة فى عهده على قصر يانة آخر معقل فى صقلية فى عام ٢٤٤ هـ / ٨٥٨م كما قام بترميم وتزيين الجامع الكبير بالقيروان وبنى الصهاريج بالقيروان وماجل وسوسة. وتوفى فى عام ٢٤٩ هـ / ٨٦٣م وخلفه زيادة الله الثانى ثم أعقبه فى الحكم ابن أخيه أبو الخرانىق ٢٥١ هـ / ٨٦٥م وفى عهده فتح الأغالبة جزيرة مالطة فى عام ٢٥٥ هـ / ٨٦٨م وبقيت تحت حكم القيروان ما يقرب من مائتين وخمسين عاما وتوفى عام ٢٦١ هـ / ٨٧٤م أبو الخرانىق وتولى الحكم بعده أخوه ابراهيم (٢٦١-٢٨٩ هـ / ٨٧٤-٩٠١م) الذى تم فى عهده فتح سرقوسة فى عام ٢٦٤ هـ / ٨٧٧م آخر معاقل البيزنطية فى صقلية، وهو الذى بنى مدينة رقاده على بعد أميال من القيروان وجعلها دار إمارته.

وفى عهد الأمير ابراهيم انشئت بيت الحكمة أنشأها الأمير ابراهيم ودعى إليها العلماء من أطباء وفلكيين وفنانين، كما أسس مكتبة مملأها

بنفائس الكتب، وجعلها مقصد للطلاب من كل مكان، وهكذا تحولت تونس إلى منارة لتعليم والفنون والآداب.

كما اهتم ابراهيم بالريابات وخصصها بنظام للحراسة بأسلوب متطور بحيث يمكن عن طريق الاشارات الضوئية تأخذ الريابات حذرهما في الوقت المناسب وتكون جاهزة للدفاع ضد الأعداء المتربصين.

ثم فاجأت ابراهيم حالة مرضية اضطرت الخليفة العباسي أن يبحث إليه ليعفى نفسه من الحكم ويتنازل عنه لابنه عبد الله الذي لم يلبث أن توفي عام ٢٩٠هـ/٩٠٢م خلفا اباه أبا مضر زيادة الله وفي عهده انتهت دولة الأغالبة. اتى نهضت بأفريقيا وكونت اسطولا في البحر المتوسط فتحت به صقلية ومالطة فتعربت كلتاها ودخلت في الاسلام.

لقد كان سقوط الأغالبة على يد الفاطميين الذين قضوا على دولة الأباضية ودولة الأغالبة وبسطوا سلطانهم على تلك البلاد.

انضمت كتامة المغربية إلى الدعوة الشيعية الفاطمية بعد مقابلة تمت مع بعض من كتامة المغربية (الجزائر) وهم في موسم الحج بمكة مع الداعية أبو عبد الله الضعاني الذي سافر معهم إلى المغرب وأعلن لهم دولة آل البيت الذين هم أحق بالخلافة من غيرهم.

واستجابوا له وبدأ يرتب التنظيمات العسكرية ثم اتجه بها إلى أفريقية (تونس) وتغلب على الأغالبة وعلى قواتهم في الأريس ثم دخل القيروان فاستولى عليها. ودبر الأمور لدعوة عبيد الله المهدي للحضور من مقر الدعوة في أرض الشام، وللتغطية وخوفا من الرقابة العباسية جعل خط

سيره إلى سجلماسة في المغرب الأقصى فاعتقل هناك ثم تمكن من الهروب واتجه إلى القيروان في عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م وتسلم القيادة من أبي عبد الله الضعاني وتلقب بأمير المؤمنين ثم بدأ في بسط نفوذه على بلاد المغرب الأقصى واستعان في تحقيق هدفه بقبيلة صنهاجة بالجزائر وزعيمها مطالبه، والذي قاد جيشا زحف به إلى بلاد المغرب الأقصى وفتح مدينة فاس بعدما تغلب على الأدارسة بها، ثم بدأ الشيعة الفاطميون يعملون على جذب علماء السنة إلى صفهم فتجادل الفريقان في القيروان (١).

وأدرك عبید الله أن القيروان لن تعطيه الأمان فعمل في بناء مدينة له يقيم فيها هو وأسرته.

وبدأ العمل فيها عام ٣٠٣هـ / ٩١٥م وتقع بين سوسة وصفاقس حتى تم له بناءها في عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م وهي مدينة المهدية وجعلها مقر حكومته.

وبدأ الجهاد ضد الأعداء فسارع إلى صقلية بجنوده ليعيد طاعة أهلها إليه، وعين عاملا له عليها.

ولما ثارت الأباضية في طرابلس، كلف ابنه القائم بردهم وتغلب القائم على الثوار وفرض عليهم غرامة يدفعونها ثم خرج القائم إلى المغرب الأوسط وبنى مدينة الحمادية (المسيلة) وفي عام ٣٢٢هـ / ٩٣٣م توفي

(١) قالت الشيعة بأن الإمامة هي أهم المطالب في أحكام الدين والتي يحصل بسببها إدراك نيل درجة الكرامة وهي إحدى أركان الإيمان للمستحق بسببه الخلود في الجنان فقد قال رسول الله «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». فعارضتهم جماعة السنة وقالوا بأن النبي فسر الإيمان وشعبه ولم يذكر الإمامة، في أركانه ولا جاء ذلك في القرآن.

عبيد الله المهدي وقام بالإمامة بعده ابنه القائم، وفي عهده تم غزو جنود
وكرسيكا وسرداينه، واستولى قائد البحرية يعقوب بن اسحق على الغنائم
الكثيرة منها.

وفي عام ٣٢٦هـ/٩٣٣م قامت ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي
الصفري وهاجم أفريقيا (تونس) ودخل تبسه والأريس وباجه وتونس ورقاده
والقبروان ثم حاصر المهدية وقاجاً القائم الموت فتولى ابنه المنصور قيادة
البلاد، وذلك في عام ٣٢٤هـ/٩٤٥م ثم بعث يطلب المساعدة من صنهاجة
وسرعان ما أقبلت صنهاجة وبفضلها تم انسحاب المحاصرين للمهدية.

وبعث المنصور بأسطرك إلى سوسه وكانت الصفرية قد استولت عليها
وتمكن من التغلب على أبي يزيد زعيم الصفرية فانسحب أبو يزيد يريد
القبروان فصده أهلها عنها. ثم تغلب المنصور على أبي يزيد في عام
٣٢٦هـ/٩٤٧م. واحتفل المنصور بهذا الفوز الذي ناله على عدوه فأنشأ
مدينة المنصورية في عام ٣٢٧هـ/٩٤٨م مجاورة للقبروان. وفي عام
٣٤١هـ/٩٥٢م توفي المنصور وتولى مكانه ابنه المعز وفي عهده تم
إخضاع المغرب من أدناه إلى أقصاه بفضل جيوده القائد جواهر الصقلي
في عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م.

وفي عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م بعث المعز الفاطمي بجواهر الصقلي إلى
مصر على رأس جيش كبير استطاع به دخول مصر، وفي مدينة القسطنطينية
خطب جواهر في جامع عمرو بن العاص باسم الخليفة المعز الفاطمي.

وبعث جواهر يدعوه للحضور لمصر، فقام المعز بتدبير شئون المغرب
ثم بدأ رحلته إلى مصر في عام ٣٦١هـ/٩٧١م وامتد سلطان المعز الخليفة

الفاطمي من الشام إلى مصر حتى بلاد المغرب الأقصى.

أسند الخليفة المعز الفاطمي حكم المغرب إلى زيري زعيم صنهاجة وكافأه لمساعدته في تحقيق نصر على مخلد بن كيداد الزعيم الصفري. وقام زيري الصنهاجي بعمل اصلاحات وأقام المدن في المغرب الأوسط (الجزائر) حين كلف ابنه بلكين ببناء مدن الجزائر ومليانه والمدينة.

عمل بلكين على تأسيس دولة قوية فقام على رأس جيش في عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م لاختماد الثورات التي قامت ضد الفاطميين وتمكن من التغلب على الثائرين ودخل مدينة فاس وأصيلا على المحيط الأطلسي.

وفي عام ٣٧٤هـ/٩٨٤م توفي زيري وخلفه في حكم البلاد ابنه المنصور ورأى المنصور بن بلكين ان يتخلى عن بلاد المغرب الأقصى بسبب المشاكل والحروب التي سببتها له مع قبيلة زناته ومع أعمامه، واكتفى بإمارة أفريقيا تونس والجزائر الشرقي من الجزائر حتى الزاب.

وفي عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م توفي المنصور وخلفه ابنه باديس وفي عام ٣٨٨هـ/٩٩٨م كلف عمه حماد بقيادة جيش للقضاء على ثورة قامت بها زناته في المغرب الأوسط (الجزائر) وتمكن حماد من تحقيق انتصار على زناته وعاد وبنى قلعة حماد في قسنطينة لتكون مقرا لقيادته. ثم حارب عمه حماد وتوفي عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م.

وتولى الحكم بعده ابنه المعز وكان طفلا فتولى أعمامه قيادة الدولة.

أما حماد فقد استقل بما استولى عليه من أرض زناته في إقليم الزاب لوعده أعطاه إياه المنصور بامتلاك مايفتحه من أرض زناته.

وفي عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م بعث المعز بجيش لمحاربة عمه حماد. وهزم حماد في المعركة ولكنه طلب الصلح مقابل استمراره في حكم البلاد التي استولى عليها من زناته وإعلان تبعيته للمعز.

وهكذا قامت إمارة بني حماد الصنهاجية وعاصمتها قلعة بني حماد في غرب الجزائر بجوار دولة صنهاجة التي عاصمتها القيروان.

وفي عام ٤٣٨هـ/١٠٤٧م حول المعز بن باديس تبعيته للخلافة الفاطمية في القاهرة إلى الخلافة العباسية في بغداد وكان ذلك تمشيا مع رغبة الجماهير الراقضة للمذهب الشيعي الفاطمي ومن هنا كانت الخطة التي دبرها الفاطميون ضد الدولة الصنهاجية المغربية (تونس). انتقاما من أميرها المعز بن باديس الذي خرج عن تبعيته لهم في العقيدة والإدارة.

انتقل المعز بن باديس إلى المهدية وتوفي عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م بعد أن ترك أفريقيا (تونس) وقد دخلتها المدنية والحضارة والعلوم وازدهرت الزراعة والصناعة، وتولى الحكم تميم بن المعز بعد وفاة أبيه، وفي عهده قاومت البلاد غارات الأعداء على سواحلها لم تمكن أحد من الأعداء الطامعين إلا أن صقلية خرجت عن سلطان تميم بن باديس وتبعتها جزيرة مالطا، وتوفي تميم في عام ٥٠١هـ/١١٠٧م وتولى الحكم بعده ابنه يحيى.

وفي عهده استعادت الدولة قوتها البحرية وقامت بغزوات بحرية إلى جلوه وسردانيه وعادت محملة بالغنائم.

وفي عام ٥٠٩هـ/١١١٥م توفي يحيى وتولى بعده ابنه علي، وفي عهده صار النورمان يشكلون خطرا كبيرا على المهدية فاستلجذ علي بن

تميم بالمرابطين الذين تمكنوا من حماية المهدية من خطر النورماندى وقاموا بغزو صقلية.

وفى عام ٥١٥هـ/١١٢١م توفى على وخلف ابنه الحسن بن على ابن تميم. وعاد روجر الهجوم على المهدية ولم يتمكن الحسن بن على بن تميم من الدفاع عنها فسقطت المهدية فى عام ٤٥٣هـ/١١٤٨م.

وسقطت مدن الساحل الأفريقى وطرابلس فى يد النورمان إلا أن الدولة الموحدية هاجمت النورمان وردتهم عن البلاد واستعادت البلاد من النورمان عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م وتولى الحسن بن على الصنهاجى الحكم وشاركه عاملا عييه الموحدون، وكان هذا آخر عهد دولة ابن باديس بأفريقيا (تونس).

لما بعث الفاطميون فى عام ٤٤٩/١١٠٥م بقبائل بنى هلال وسليم إلى بلاد المغرب نكاية فى المعز بن باديس أمير أفريقيا (تونس) وحاربوا المعز فحاربهم وهزم فى المعركة وسقطت القيروان فى أيدى العرب. كانت نتيجة ذلك أن تفتتت أفريقيا وتحولت إلى إمارات صغيرة فكانت لأسرة جامع من بطون رياح إمارة فى قابس وقضى عليها الموحدون. كما تمكن بنو الورد اللخميون من إقامة إمارة عربية فى بنزرت، وأقام بنو هلال من عرب قيس البلادين إمارة عربية فى وادى مجرده شمال تونس واستقروا بطبرقة وكانت مرسى لأهل الأندلس.

وعلى الرغم من أن الهجرات الهلالية التى اتخذت مظهر الفتح

وتأسس الإمارات العربية عملت على تعريب القبائل البربرية بالمغرب، لأن الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بالمغرب فأنت الهجرات الهلالية لتضيف إلى ذلك الدم العربى وتعديل التكوين الجيسى والعنصرى لسكان المغرب حتى صار البربرى القديم لا يلتصق إلا فى معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة ولا يميز إلا ببعض الظواهر اللغوية.

وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة شمال أفريقيا سمات جديدة ونتج عن امتزاج العرب والبربر أجيال أقوى شكيمة وأشد مراسا من أجدادهم .

على الرغم من كل ماتقدم من إيجابيات للهجرة الهلالية، إلا أن للهجرة الهلالية سلبياتها فقد مكنت النورمان من غزو المهدية وأكثر من مرة واستولوا على ساحل أفريقيا ومدن قابس وصفاقس والمنستير وسوسة وصال وجال روجر فى البلاد حتى تمكن من التغلب عليه الموحدون. وكل ذلك سببه هجرة العرب إلى أفريقيا التى تسببت فى تفتيت قواها بعد ماتحولت إلى إمارات صغيرة فأتى إليها من يغزوها فلا يجد أحدا يدافع عنها.

بعد أن تغلب الموحدون على النورمان وحرروا المهدية وسائر الساحل الأفريقى، وعاد الأمير الحسن بن على الصنهاجى للحكم وأشرك معه أحد العمال الموحدين ونقلت عاصمة الدولة إلى تونس. وظلت الدولة الموحدية تبسط سلطانها فى أفريقيا وتقاوم الثورات وتقضى عليها حتى كان عهد السلطان الناصر بن يعقوب الموحدى، الذى تمكن من التغلب على بقايا

الدولة المرابطية واسترجع المهدية من ابن غانية المرابطى وعاد إلى عاصمة دولته مراكش عام ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م.

واستخلف على أفريقيا أبا محمد عبد الواحد بن يحيى بن أبى حفص، وكان ذلك الدور الذى اسند للشيخ أبى محمد عبد الواحد بداية قيام الدولة الحفصية.

فالدولة الحفصية شعبية من دولة الموحدين وذلك أن الخليفة المرحدى محمد الناصر فرض أمر أفريقيا إلى وزيره وصهره الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتانى ومنحه جميع السلطات التى تخول له حكما مستقلا بهذه الولاية، ثم حدث الانفصال التام التامى على يد أبى زكريا عبد الواحد الحفصى عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م.

بدأت هذه الولاية كإمارة مستقلة فى عهد أبى زكريا يحيى ثم تحولت إلى خلافة فى عهد ولده أبى عبد الله محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين واستمرت هذه الدولة مدة طويلة إلى أن سقطت فى أيدي العثمانيين نهائيا عام ٩٨١هـ / ١٥٨٤م.

وكانت حدود الدولة الحفصية تشمل الأراضى التى تقابلها اليوم طرابلس والجمهورية التونسية وجزء كبير من الجمهورية الجزائرية الذى يشمل ولايات عنان وقسطيلة وبجاية وتدلّس (دلس حاليا) وجزء من الصحراء الجزائرية جنوبا.

وقد لعبت القبائل العربية بأفريقيا دورا واضحا فى صد غزوات مسيحي أوروبا لقرون وأولى هذه الحملات المسيحية التى تصدت لها القبائل بالمقاومة حملة لويس التاسع التى كانت خارجة للإنتقام لهزيمة الفرنسيين

بالمنصورة عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ولكنها تحولت إلى تونس بتأثير وتوجيه شارل دي انجو ملك جزيرة صقلية وأخر لويس الذي طمع في استغلالها لحسابه الخاص وتدعيم ملكه ومد نفوذه إلى تونس مستغلا شارة الصليب.

ورغم أن المصادر الأوربية والمعاصرة للحملة تعزو قيامها لأسباب متعددة ومتنوعة منها إيواء المستنصر الحفصي لبعض العصاة من جزيرة صقلية مما أساء إلى شارل مليكها وتطلع شارل إلى إضافة إقليم ذي موقع استراتيجي هام على الساحل الأفريقي لخدمة الحركة الصليبية، وأخيرا ميل المستنصر الحفصي الشديد للمسيحيين ومعاملته الحسنة لهم. والزعيم باستعداده للتنصر والتحول من الإسلام باظهار قدر قليل من القوة كفيل بجعله يعلن اعتناقه للمسيحية.

والمصادر التونسية تعزو قيام هذه الحملة إلى تناول المستنصر بالله الحفصي لسيرة الملك لويس التاسع باستهزاء، مما أثار الملك لويس وأغضبه فحول طريقها عن مصر إلى تونس للانتقام لكرامته.

ولم تكد الحملة تصل إلى الشواطئ التونسية في عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م وعلى رأسها لويس وأبناؤه الثلاثة وحلفائه من ملوك أوربا وأمرائها في أشد أوقات صيف أفريقيا حرارة حتى تفشى المرض في المعسكر الفرنسي فوق الأمراء والفرسان والعساكر فريسة المرض وأصيب لويس التاسع بحمى شديدة مات على أثرها وتولى أخوه قيادة الحملة المكونة من ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجال واستولى على تونس في عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م فقام العرب بالاشتراك مع غيرهم من المسلمين بمقاومتهم مقاومة بأسلحة مرسلين رجالهم كفدائيين عن طريق البحيرة التي تطل

على المدينة لمناوشتهم خاطفين فرسانهم ليلا منزلين الرعب في صفوفهم حتى تمكن السلطان المستنصر بالله من حشد قواته التي بلغت أربعين ألفا من الرماة فقط. لاشك أن أغلبهم من القبائل العربية بأفريقيا لشهرتهم في استخدامه.

ورغم استمرار احتلال الفرنسيين لتونس مدة ثلاثة شهور ونصف وتفكير المستنصر بالله في الانتقال إلى قسنطينة إلا أنه يبدو أن دور العرب في مقاومة جعل جوانفيل يذكر وينوه بذور شارل دي انجور في المحافظة على القوات الفرنسية الباقية حتى الخريف وإنقاذ الحملة من كارثة محققة. وفي نفس الوقت رفع من الروح المعنوية لأهل تونس حتى أن أحد أدباء تونس شبه نهاية هذه الحملة بنهايتها في مصر من حيث الهزيمة والفشل فقال:

يافرنسيس هذه أخت مصر فتأهب لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر . وطواشيك منكر ونكير

عادت الحملة الفرنسية مهزومة، بعد أن قدم المستنصر لها أموالا كثيرة.

وقد جدد المستنصر الحنايا التي كانت من أيام الرومان كان يجرى عليها الماء إلى مدينة قرطاج من زغوان ومدها في تونس إلى السقايات المتعددة مثل جامع الزيتونة، وفي عهده انتعشت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتوفي المستنصر في عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م وتولى الحكم ابنه يحيى الواصل إلا أن عمه أبو اسحق إبراهيم خرج عليه واغتصب منه الحكم

عام ٦٧٨ هـ / ١٢٨٨ م ثم ثار أحمد بن مرزوق المسيلي في عام ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م وتمكن من الاستيلاء على تونس وساعده أعراب قابس من بني هلال ثم خرج عليه ثائر آخر هو الأمير عمر أخو الواصل. وفي عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م تمكن من قتل أحمد بن مرزوق اسيلي وتولى هو شئون الحكم، وسرعان ما خرج عليه بالجزائر ابن عمه يحيى بن ابراهيم واستقل بجاية وقسنطينة.

وفي عام ٦٩٤ هـ / ١٢٠٤ م توفي عمر وخلفه أبو عبيدة محمد بن الواصل وحاول استعادة القسم الشرقي من الجزائر ولم يقدر. وتوفي عام ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م.

وبعد موجة من الصراع تمكن أبو يحيى زكريا بن اللحياني من للسيطرة على الموقف في عام ٧١١ هـ / ١٣١١ م ثم تخلى عن الحكم لولده أبي ضربه فعارضه أمير قسنطينة الحفصي أبو بكر عام ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م واستولى على تونس.

وظل بالحكم حتى عام ٧٤٧ هـ / ١٣٦٤ م ثم تولى الحكم بعده ابنه أبي حفص الثاني فثار عليه أخوه أبو العباس فتدخل أبو الحسن سلطان بني مرين وهاجم تونس في عام ٧٤٨ هـ / ١٣٦٥ م وبسط سلطان بن مرين على المغربين الأدنى والأوسط.

ثم دب الخلاف بين أبي الحسن المريني وقبائل العرب واضطرته الظروف إلى الانسحاب من تونس التي حكمها الفضل بن أبي بكر الحفصي، ودبر له ابن تافراجين مؤامرة لقتله فولى الحكم بعده أخوه أبو اسحق ابراهيم عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م وجعل ابن تافراجين من خاصته،

وتوفي أبو اسحق في عام ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م. وتولى السلطان أبو العباس أحمد الحفصي حكم البلاد في عام ٧٧٣ / ١٣٧٠ فقام بحركة أوقف الفوضى وقضى على الفساد الذي أشاعه الأعراب في البلاد واستطاع أن يعيد الأمن. وبسط سلطانه على المهدية وسوسة وقابس وشط الجريد وجزيرة جربة، وانتشر الأمن في ربوع البلاد، وقضى على الاسطول الجنوى الذي هاجم المهدية فانسحبوا منهزمين بعدما قضى على أسباب ضعف تونس واسترد لها مكانتها، مما أدى إلى نجاح الحفصي في السيطرة على القبائل العربية بأفريقيا وإلزامهم بالزكاة والعشر.

ومن بداية القرن التاسع الهجرى حتى سقوط الدولة في أواخر القرن العاشر اشتد الصراع بين أمراء البيت الحفصي وكثر تدخل العرب وثوراتهم بقيادة أولاد أبي الليل بينما ناصر أولاد مهلهل في الغالب الدولة. وعلى سبيل المثال فبعد نجاح الأمير أبو عمرو عثمان (٨٣٩-٨٩٣هـ / ١٤٣٥-١٤٨٨م) في الاستيلاء على الحكم في تونس قام أولاد أبي الليل بحماية منافسه على العرش الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد وأنزلوه بمخيماتهم ولكن وعد ووعد أبو عمرو عثمان أُرهب أولاد أبي الليل فأسلموه لاجتهم وأنصاره فقتلهم في نفس العام.

ويبدو أنه لم يف بوعده لهم إذ هاجم أولاد أبي الليل مدن أفريقيا سالبين مراعيها قاطعين الطريق على أهلها وحاصروا مدينة تونس فأطلق أولاد مهلهل منافسهم عليهم واشتبكوا معاً بالقرب من تونس وقتل فيها الكثير وانسحب أولاد أبي الليل منهزمين ليعودوا مرة أخرى لحصار تونس بمعاونة أبي الحسن والى بجاية ويلتقى الفريقان في عام ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م ويلتصر أبو عمرو عثمان وحلفاؤه من أولاد مهلهل ويقيض على زعماء

أولاد أبي الليل.

وهكذا فإن الصراع بين الأمراء الحفصيين على الحكم قد انعكس على قبائل عرب سليم وصراعها من أجل السيطرة على جميع عرب أفريقيا والاستحواذ على رضا الدولة وهباتها. وليس معنى هذا أن أولاد مهلهل كانوا أنصارا وحلفاء للدولة بصفة مستمرة فقليلًا ماثاروا على الدولة لسبب أو لآخر ففي عام ٨٦٧هـ/١٤٦٣م عندما خفض أبو عمرو عثمان مرتباتهم ثار أولاد مهلهل وفر زعمائهم إلى الصحراء فاستبدلهم أبو عثمان وعين بدلا من الشيوخ الثائرين عليه رجالا منهم إما أخا للشيخ أو عما أو ابن عم وأخذ أولادهم رهنا لديه لضمان طاعتهم وأرسلهم للعاصمة حيث نزلوا بقصر خاص لتثقيفهم وتربيتهم على الولاء للدولة والإخلاص لها.

وفي خلال فترة حكم أبي عبد الله محمد الخامس وابنه الحسن من عام ٨٩٩هـ/١٤٩٤ إلى عام ٩٤٣هـ/١٥٣٦م ثارت جميع قبائل أفريقيا بقيادة عرب الشابييين وتمكنوا من الاستيلاء على القيروان منزلين هزيمة ساحقة بقوات الدولة التي تخلى عنها أنصارها من العرب.

وتمكن الشيخ عرفه من زعماء الشابييين من الاستغلال بحكم القيروان ولاء أخوه محمد بن أبي الطيب ثم الشيخ عبد الصمد بن محمد بن أبي الطيب ثم ابنه علي ويعرف بأبي زغاية ثم ابنه أبو زيان.

واستمر الصراع بين عرب الشابييين بالقيروان وماحولها والدولة النظامية بتونس إلى أن قضى العثمانيون على استقلال الجميع.



ظهرت الدولة العثمانية في شمال أفريقيا كقوة ضاربة، وعظام شأنها حيث صار لها أسطول ضخم يغلب أقوى الأساطيل الأوربية خاصة بعد إنضمام خير الدين بربروسه وعروج وهما من أمراء البحر الذين ساهموا أعظم مساهمة في رفع شأن القوة البحرية العثمانية.

استغاث الشمال الأفريقي بالعثمانيين لنجدتهم من العدوان الأوربي المستمر على سواحلها.

لقد بعث الأمير أحمد الحفصى يستنجد بالعثمانيين في عام ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م ثم عاد يستنجد بالأسبان حين أحس بالخوف من تبعيته للعثمانيين، فعاد الأسبان إلى تونس وأعلنوا حمايتهم عليها، ولما أدرك الأمير أحمد خطأ ما أقدم عليه، انسحب من البلاد وسلم الحكم لأخيه محمد عام ٩٨٠هـ / ١٥٧٣م وفي عهده اشتد غضب الأسبان وتعسفهم وظلمهم للأهالي وعادت تونس تطلب النعون من العثمانيين، فقدمت إلى تونس قوة عثمانية في عام ٩٨١هـ / ١٥٧٣م يقودها سنان باشا الذي قام بإبعاد الأسبان من البلاد وبعث بالأمير الحفصى إلى الأستانة وانتهت بذلك الدولة الحفصية التي حكمت البلاد على مدى ثلاثة قرون ونصف.

عمل سنان باشا على جعل تونس تابعة للسلطان العثماني مباشرة، ونظم شؤونها الإدارية وصارت تونس ولاية تابعة للدولة العثمانية التي امتد سلطانها من مصر إلى الجزائر.

ونظم سنان باشا الديوان لإدارة شئون البلاد وخصص الرواتب، ونظم الجباية وجعل عليها مشرفي (الباي) فكان الباشا (الوالي) يقوم بحكم البلاد ومعه قوة من الأتراك العثمانيين يقودهم الأغا.

وبجانب هؤلاء رؤساء القرصان وبعض زعماء قبائل المخزن ويقومون بحماية الضرائب وقسم الجيش إلى أربعين فرقة كل فرقة مائة محارب يرأسهم الداي، وهؤلاء هم رجال الديوان الذين يعاونون الباشا.

وفي عام ٩٩٩هـ / ١٥٩١م اجتمع الدايات وانتخبوا واحدا منهم جعلوه رئيسا للجدد الأغا ثم أصبح هذا الأغا هو صاحب النفوذ الحقيقي في البلاد.

ثم تولى الأمر عثمان داي شئون البلاد في عام ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩م واستبد بالأمر، حتى جعل الديوان مجرد أداة لتسجيل أوامره التي يصدرها ليوقعها حتى صار الباشا ممثلا للسلطان وليس له سلطة حقيقية.

وسن عثمان داي القوانين التي ساعدت على نشر الأمن والنظام في البلاد، كما اعتمد عثمان داي على قبطان البحرية وعلى رئيس الفرقة الوطنية التي كلفها بجمع الضرائب ومراقبة أحوال القبائل، فازدهرت الحياة في تونس وفي عهد عثمان داي استقبلت البلاد التونسية آلاف الأندلسيين الذي فضلوا مغادرة بلادهم الأندلسية وهجرتها إلى بلاد الإسلام، على بقائهم تحت ذل الأسبان الذين ارغموا من بقي منهم إلى الدخول في دين النصاري قهرا واستبدادا.

وقد رحب عثمان داي بهؤلاء المهاجرين الأندلسيين وأقطع القادمين منهم الأراضي وقدم لفقرائهم الأموال لمساعدتهم فامتلأت البلاد التونسية بهم في كل أنحائها فعمرت البلاد وانتشر العمران فظهرت المدن والقرى التي أقامها المهاجرون القادمون. كما أقاموا المزارع والمصانع حتى صارت نهضة عمت جميع الأرجاء.

وتوفي عثمان داي عام ١٠٢٩هـ / ١٦١١م وتولى بعده يوسف داي الذي اتجه إلى تسوية الحدود مع الجزائر، واهتم بالتعمير، فأنشأ جامعا ومدرسة، ونظم الأسواق للتجارة، وتوفي يوسف داي في عام ١٠٤٠هـ / ١٦٣١م وتولى بعده مراد بك الذي حصل على حق توليه ابنه حمودة من بعده، ونعمت تونس في عهد مراد بك وابنه حمودة من بعده بالرخاء والرفاهية، فقد وضع حدا لسلطة القبائل العربية، وقضى على العصاة الخارجين على القانون تماما. فانتشر الأمن في البلاد، وبنى جامع وصومعة أضافها إلى جامع الزيتونة وفي عام ١٠٧٦هـ / ١٦٦٦م توفي حمودة بن مراد بك وخلفه ابنه مراد الذي تمكن من سحق ثورة قامت بها الجند غير النظامية في طرابلس وشرع في بناء منشآت، وتوفي مراد بك بين حمود في عام ١٠٨٦هـ / ١٦٧٦م ثم قامت الصراعات بين ولديه وأخيه على السلطة الأمر الذي أدى إلى التدخل من جانب القوات الجزائرية وانتهى الأمر بخروج السلطة من جانب أسرة مراد بك وذلك حين قام الأغا إبراهيم قائد الفرسان بالتخلص من نسل عائلة حمودة والاستيلاء على الحكم في عام ١١١٤هـ / ١٧٠٢م .

وفي عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤م حصل على لقب باشا من السلطة العثمانية فصار هو المسيطر على البلاد . ثم اضطريت الأحوال في البلاد وخرجت السيطرة من يد الأغا إبراهيم فاجتمع الأهالي ونادوا بالأغا حسين بن علي زعيم الفرسان بايا، فقام ببسط نفوذه على البلاد في عام ١١١٧هـ / ١٧٠٥م وعمل حسين بن علي على بذل جهوده في إقامة حكومة وراثية قوية في عام ١١٢٢هـ / ١٧١٠م .

ولما استقرت الأحوال في البلاد ملحت الدولة العثمانية ولاية تونس

وجعلتها وراثية في أسرته (١١١٧-١١٥٣هـ/١٧٠٥-١٧٤١م) وهكذا شهدت البلاد فترة انتقال عميقة فقد استقرت العائلات العربية والبربرية الكبيرة في البلاد، وحافظت الدولة على استقلالها من التدخل الأجنبي.

لقد عرف الحسين بن علي بالنشاط والذكاء الحاد وعرفت البلاد في عهده الاستقرار والتقدم الحضاري. وفي عهده انتجت تونس كميات كبيرة من القمح والجلود والشمع والاسفنج والبلح ونشط التصدير في عهده لتلك المنتجات.

كما أنشأ المدارس في العاصمة، وفي القيروان وسوسة وصفاقس ونفطه.

ثم دب النزاع بين الباي حسين وولديه محمد وعلي من ناحية وابن أخيه علي بن محمد من ناحية أخرى، وذلك أن الباي حسين نقض عهده الذي قطعه على نفسه لابن أخيه علي بجعله وليا للعهد وكان ذلك قبل أن يرزق بولديه محمد وعلي ثم غير رأيه بعد ما أنجب ولديه محمد وعلي وخلع ابن أخيه من ولاية العهد، واكتفى بأن حصل له علي لقب باشا من الباب العالي.

وهكذا قام النزاع بين علي وعمه الباي حسين وعادت الاضطرابات الداخلية إلى البلاد من جديد.

فلجأ علي إلى الحاكم العثماني في الجزائر الذي أمدّه بجيش لمحاربة عمه حسين باي تونس وفي عام ١١٤٧هـ/١٧٣٥م تمكن علي من هزيمة عمه ودخول تونس وتولى حكم البلاد (١١٤٧-١١٩٦هـ/١٧٣٥-١٧٥٦م)

مع تبعيته لوالى الجزائر العثمانى.

وفى عام ١١٥٣هـ/١٧٤١م تقابل جيش الباي حسين مع جيش على فى جنوبى القيروان وهزم الباي حسين الذى قتل فى المعركة، وصار على واليا على تونس ثم قام بإنشاء المدارس فى أنحاء البلاد.

وفى عام ١١٩٦/١٧٥٦م فوجئ الباي على بابى عمه حسين بالهجوم عليه بجيش كبير واقتتلوا فهزم على وسقط قتيلا فى المعركة.

واستولى محمد بن حسين الباي على عرش تونس ثم كلف أخيه على بتدبير شئون الدولة ومات عام ١١٧٢هـ/١٧٥٩م وبقي على فى الحكم ١١٧٢-١١٩٦هـ/١٧٥٩-١٧٨٢م) وأبدى نشاطا فى الاهتمام بالتجارة والزراعة والصناعة وأنشأ محكمة شرعية فى تونس والمدرسة الجديدة وأنشأ تكية للفقراء من الرجال والنساء تقدم الطعام للمعوزين، وكان يجالس العمى ويقدم لهم الطعام بنفسه.

وفى عام ١١٩٦هـ/١٧٨٢م توفى على بن حسين الباي وخلفه حموده ابنه فى حكم البلاد (١١٩٦-١٢١٥هـ/١٧٨٢-١٨١٤م) وفى عام ١٢٠٤/١٧٠٩م أعلن حموده بن على الحرب على البندقية، واستعد لقتالها لتسبب بحارة جنوبية فى الإضرار ببعض تجار من تونس، فتراجعت البندقية وقدمت التعويض المناسب للتجار التونسيين ترضية لباى تونس، كما استغاث حاكم طرابلس على القرمانلى من اعتداء على برغل على سلطاته، فانتصر لعلى القرمانلى وأعادته إلى ولايته فى طرابلس.

كما قاوم الاعتداء الذى قام به الوالى العثمانى بالجزائر على تونس

وهزمه، وصارت تونس في وضع دولي ممتاز في عهد حمودة بن علي باي تونس.

لقد أدخل التجديد في الجيش وأشرك التونسيين فيه وشاركوا في الحكم مع العثمانيين وجعل من نفسه نموذجا للوطنية التونسية بأن جعل هدفه الاعتماد على المنتجات التونسية في كل شيء من ملابس ومأكول ويعلن ذلك على الملأ.

وخلفه محمود بك بن محمد ١١٩٦-١٢٤٠هـ/١٨١٤-١٨٢٤م) الذي أرغمته الدول الأوربية على إلغاء تجارة الرقيق رغم الاضرار الاقتصادية التي ترتبت على هذا الاجراء ولكنه قاوم الضغط الأوربي.

وفي عهد خلفه حسين بك (١٢٤٠-١٢٥١هـ/١٨٢٤-١٨٣٥م) بدأ التنافس بين بريطانيا وفرنسا للحصول على امتيازات في تونس، وتمكنت إنجلترا من الحصول على حق صيد المرجان في ساحل طبرقة وفي كل سواحل تونس.

وفي الحرب العثمانية ضد اليونان، وقفت تونس بجانب العثمانيين فبعثت الاسطول التونسي في موقعة نافارين البحرية ولكنه لم يقف مع الجزائر في حربيها ضد الفرنسيين، مما سيكون له أوخم العواقب بالنسبة لكل من تونس والجزائر. إذ أن الجزائر لم تستطع المقاومة ضد فرنسا حين قام الأمير عبد القادر الجزائري بعد صراع عنيف ضد الفرنسيين بتسليم نفسه في عام ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م مقابل السماح له بالسفر إلى الاسكندرية. وبعدها خضعت الجزائر للحكم الفرنسي.

ولم يكتفى حسين بك باى تونس بموقف الحياد بل إنه من خوفه من قوة فرنسا سارع يؤيد فرنسا ضد الجزائر^(١) وأبدى استعداداه لتموين جنود الحملة بالمواد الغذائية اللازمة له، وأرسل مبعوثه للقنصل الفرنسى بذلك وهنا انتبىز القنصل الفرنسى الفرصة وعرض معاونة فرنسا لبأى تونس حسين بك فى حكم البلاد، وقبل البأى العرض الفرنسى.

ثم تطورت الأمور بعد ذلك فقد أخذت فرنسا تعمل على إعلان الحماية الفرنسية على تونس فى عهد البأى محمد وطلبت منه إثبات إخلاصه لفرنسا بتوقيع معاهدة تضمن استقلال تونس وتضمن سلامته الشخصية، أو أن تقوم فرنسا بنفسها للدفاع عن مصالحها بالقوة.

وفى عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م بعثت فرنسا بحملة فرنسية إلى تونس وبدأت بالاستعدادات على الحدود التونسية الجزائرية بحجة منع البأى من إتخاذ سياسة عدائية صريحة ضد فرنسا ثم عملت أجهزة الاعلام الفرنسية على تهيئة الجو فى فرنسا لقبول وضع الحماية الفرنسية على تونس.

ثم بدأت التقارير الفرنسية الكاذبة عن إدعاء اعتداءات رجال القبائل التونسية، وانتهى الأمر بدخول القوات الفرنسية إلى تونس وأرغم البأى على توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على تونس فيعام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م.

بدأت فى تونس حركة المقاومة ضد الحكم الفرنسى فقاوم الفرنسيون الحركة بالاعتقالات والنفى خارج البلاد، فنفوا الشيخ محمد السلوسى،

(١) حدث مثل هذا الموقف المتخاذل الضعيف يوم حصار العثمانيين للقسطنطينية، بقصد الاستيلاء عليها قبل الخوف بالامبراطور البيزنطى قسطنطين أنه كان يقدم الطعام للعمال العثمانيين الذين يبلون الحصرن والقلاع تمهيدا لفتح القسطنطينية ثم ندم الامبراطور بعد ذلك.

واعتقلوا السيد حسونة ابن مصطفى في قابس وغيرهم من الزعماء
والأنصار فقام غيرهم لمواصلة المقاومة ضد الفرنسيين.

رواصل، الفرنسيون النفي والاعتقال للوطنيين التونسيين لقد سارعت
فرنسا لاحتلال تونس خوفا من اسعار الذي أطلقه السلطان عبد الحميد
الثاني «يامسلى العالم اتحدوا»^(١) حيث بلغت تنمية الشعور بالرابطة
الاسلامية مداها. وظهر الاحساس بالخطر الذي يهدد الشعوب الاسلامية
أمام غول الاستعمار الغربى المتريص بها فيدعوها إلى التجمع حول تركيا،
بوصفها أقوى الشعوب الاسلامية وأقدرها على قيادة المعركة ضد العدو
المشترك.

اثارت تلك الحركات المؤيدة لفكرة الجامعة الاسلامية مخاوف الدول
الأوربية وخاصة انجلترا وفرنسا خوفا على ماصار تحت أيديهم من
ممتلكات وثروات فى العالم الإسلامى، فعمدت الدولتان إلى مقاومة
الجامعة الإسلامية بكل الوسائل الممكنة وعمدت إلى محاولة تقطيع أوصال
الدولة العثمانية والانتقاص من هيبتها أمام الشعوب الإسلامية، وكان
احتلال فرنسا لتونس وتوسعهم فى قلب القارة الافريقية وتهديدهم لمراكش
واحتلال الانجليز لمصر، وتوطيد دعائم نفوذهم على أطراف الجزيرة
العربية وفى الهند والقضاء على الحركة المهدية فى السودان. وهكذا امتد
الاستعمار الأوربى ليشمل العالم الأفريقى والآسيوى ولكن إلى حين.

وفى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م اجتمع بعض المثقفين التونسيين ليعملوا

(١) دكتور محمود السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها ، ط اسكندرية ٩٩ ص ١٤٩ .

على ربط تونس بحركة الجامعة الإسلامية . وفي عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م تألف حزب تونس الفتاة برئاسة على باشن جمعة ونادى بفكرة وحدة البلاد الإسلامية والاعتزاز بالخلافة العثمانية لزعامة العالم الاسلامى فقامت السلطات الفرنسية بحركة الاعتقالات والنفي من جديد .

ثم قام بعض أعضاء حزب تونس الفتاة فى عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م وأعلنوا أن نضالهم الحماية قد أثبت فسادَه وضد السيادة الفرنسية ، وطالبوا بالاستقلال التام والانضمام إلى جامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة .

وفى عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م أعلن باى تونس تأييده للزعماء التونسيين ، فقامت فرنسا بخلع الباي محمد المنصف ونفيه عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م ثم عادت السلطات الفرنسية إلى استخدام العنف والقتل والتشريد ضد الوطنيين التونسيين فرأى التونسيون إلى اللجوء إلى الشرق وجعلوا هدفهم الجامعة العربية ، فانسحب الزعيم الحبيب بورقيبة سرا من تونس بعد ماخلفه فيها الزعيم صالح بن يوسف الذى عمل على عقد مؤتمر فى عام ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م يجمع ممثلى الحزب ونقابات العمال ورجال جامعة الزيتونة واتحاد الموظفين والتجار وجمعية الفلاحين وجمعية الأطباء والصيادلة والمحامين والمعلمين وقرروا الاتفاق على ميثاق وطنى يعلن بطلان الحماية الفرنسية ويطالب بالاستقلال التام والانضمام لجامعة الدول العربية .

وفى القاهرة اجتمع الحبيب بورقيبة بالوطنيين التونسيين الذى حضروا من كل ناحية ، وأنشأوا مكتب للدعاية للقضية التونسية وشرح قضيتها للرأى العام .

وتنبهت الجامعة العربية لقضية تونس وضممتها إلى قضية العرب الكبرى، وعرض الموضوع على هيئة الأمم المتحدة ثم التقت وفود تونس ومراكش والجزائر وتوحدت أهدافهم جميعا ضد الاستعمار وعملوا على المطالبة بتوحيد الصف العربي جميعه . ثم أفرجت فرنسا عن البطل عبد الكريم الخطابي فلجأ إلى مصر فاشتعل الموقف لصالح الوطنية العربية .

وفي عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م سمحت فرنسا بعودة الزعيم بورقيبة إلى تونس وعقدت معه اتفاقا اعترفت فيه باستقلال تونس وحكوماتها الوطنية مع بقاء السياسة الخارجية والدفاع في يد فرنسا واحتفاظ فرنسا بميناء بنزرت قاعدة بحرية لها .

وفي عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م أعلنت الجمهورية وسمح للباي بالحياة في تونس كفرد عادي ونصب الحبيب بورقيبة نفسه رئيسا للجمهورية .

ثم دب النزاع بين فرنسا وتونس وانتهى الموقف باتفاق ينهي احتلال الفرنسيين لميناء بنزرت وغادرتها القوات الفرنسية فعلا ، ثم واصل التونسيون بزعامه الحبيب بورقيبة العمل على إلغاء الاتفاقيات التي تمنح الفرنسيين امتيازات لهم في تونس .

وفي عام ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م حصلت تونس على سيادتها في التصرف في سياستها الخارجية والدفاع وصارت الجمهورية التونسية دولة مستقلة ذات سيادة .

الباب الثالث

المغرب الأوسط (الجزائر)

الفصل الأول

الجزائر منذ الفتح العربى حتى دولة بنى عبد الواد

• الوصف الجغرافى

• الفتح العربى وعهد الولاة

• الأباضيون

• بنو يقرن فى تلمسان

• الدولة الأغالبية

• الدولة الفاطمية

• الدولة الزييرية (صنهاجة)

• بنو حماد

• الدولة الموحدية والحفصيون وبنو عبد الواد

المغرب الأوسط هو المنطقة الواقعة بين المغرب الأدنى (تونس) شرقا والمغرب الأقصى (مراكش) غربا ويحدها شمالا البحر المتوسط وجنوبا الصحراء.

ظلت تلك المنطقة تعرف ببلاد المغرب الأوسط قديما منذ الفتح العربى حتى العهد العثمانى حيث صارت تعرف باسم الجزائر.

فقد جاء العثمانيون فى بداية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى، ونزلوا فى مدينة الجزائر وهى بلدة ذات روعة وجمال وموقع استراتيجى ممتاز وهذه المدينة أسسها بلكين بن زيرى الصنهاجى ثم امتد سلطان العثمانيين على سائر بلاد المغرب الأوسط وأخذت مدينة الجزائر تتسع وتتضخم وتقام فيها المباني الفخمة والقصور والمؤسسات وصارت عاصمة للبلاد ثم أطلق اسم الجزائر على سائر بلاد المغرب الأوسط، وصارت تعرف باسم الجزائر منذ ذلك الحين وتشتمل الجزائر على ثلاثة أقاليم:

* التل: وهو سهول ثرية غنية بالحدائق والأشجار العالية فى عناية ومتيجة ووهران.

* النجود: وهى مناطق شاسعة تمتد فيها المراعى الجبلية زراعة الحبوب، وتمتلى فى الربيع بأنواع من النباتات والزهور ذات الألوان الزاهية.

* الصحراء: وهى أرض قاحلة جرداء مرتفعة الحرارة وبها ثروات معدنية هائلة من الرصاص والحديد والفوسفات والمنجنيز. أما الساحل الجزائرى فأغلبه صخرى ويبلغ طوله فيما بين تونس والمغرب نحو

١٢٠٠ كم شبه مستقيم قليل الخلجان أو الجزر، وقد شيدت عليه من الغرب إلى الشرق وراء جدران سميكة وسدود.

• أهم المدن: عنابة، سكيكدة، بجاية، الجزائر، وهران، جيجل، شرشال، تلمسان.

• الثروة الطبيعية: وتعد الجزائر من أولى الدول الزراعية في النواحي الاقتصادية حيث يزرع بها الكروم والتين واللخيل والزيتون والبرتقال والبقول وأنواع من الفاكهة التي لا حصر لها.

ويعد نبات الحلفا من أهم صادراتها حيث تصدر منه مليوني قنطار. كما يوجد أشجار الصنوبر والبلوط الأخضر والزان والصفصاف، أما الفلين فتنتج منه الجزائر من غاباتها ما يعادل ربع انتاج العالم.

• الثروة الحيوانية: تكثر المراعى فى الجبال والسهول ويوجد الأغنام والماعز والبقر والإبل وتصدر الجزائر كميات هائلة من الغنم.

الفتح العربى: تولى أبو المهاجر دينار حكم أفريقيا فى عام ٥٥٥هـ/ ٦٧٥م فأقبل على القيروان وهناك على بعد أميال من القيروان أقام أبو المهاجر معسكراً، ثم قام على رأس جيش اتجه به إلى تلمسان دار زناتة وعاصمة ملكهم بعد ما فتح مالفية من مواقع وحصون فى المغرب الأوسط فكان أبو المهاجر أول من وطئت قدماه أرض المغرب الأوسط (الجزائر)، وكان أبو المهاجر سياسياً حادقاً بنى خطته فى التوسيع العسكرى

فى بلاد المغرب الأوسط وربطها بالنشاط الدينى واستعمال سياسة اللين مع الأهالى وإيضاح مبادئ الاسلام والعدل والمساواة بين جميع البشر فترك سياسة العنف مع البربر وعمل على استمالتهم حتى تحقق مسعاه واستمال بعض زعمائهم.

وفى عام ٨٦٢هـ / ٨٦١م تولى عقبة بن نافع مكان أبى المهاجر خرج عقبة ومعه من المسلمين مغراوة وبنو عبد الواد الزناتيون وحاصر عقبة مدينة باغاية وفتحها وغنم منها الكثير وخاصة من الخيول حيث كانت باغاية وجبل أوراس موطن زناته التى كان إهتمامها كبيرا بتربية الخيول، حتى أن تلمسان كانت سوقا لبيع الخيول.

ثم رحل عقبة إلى تاهرت، وحارب من بها من الروم الذين استعانوا بقبائل البربر المحيطين بالمدينة إلا أن عقبة تمكن من التغلب عليهم وهزمهم.

ثم واصل عقبة سيره حتى وصل إلى ساحل المحيط ثم رجع عائداً إلى أفريقيا، وعند طنجة وجبل أوراس أمر أصحابه فافترقوا عنه إلى مضاربهم، فقد كانوا من زناته المغرب الأوسط. ثم واصل عقبة سيره إليتهوده، فلقية كسيلة فى قلة من رجاله فانتهاز الفرصة وهاجم عقبة وتمكن منه وسقط عقبة شهيدا.

واسرع كسيلة بمواصلة الهجوم على المسلمين عبر المغرب الأوسط متجها إلى القيروان وظل معسكرا بها خمس سنين.

ثم ظهر زهير بن قيس الذى حارب كسيلة وتمكن من قتله وانسحب

عائدا إلى طرابلس . وهنا ظهرت الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة الزناتية من جبل أوراس وحاربت المسلمين واستردت معظم أفريقيا .

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م عين حسان بن النعمان واليا على أفريقيا . في عام ٧١هـ / ٦٩٠م وعلمت الكاهنة باستعداد المسلمين لمهاجمتها وعمدت إلى حشد القبائل من جراوة وبنو يفرن وبنو مانوا وبنو يلومي من زناته وسارت من جبال أوراس إلى باغاية مدخل الجبل لتمنع المسلمين من الدخول إلى الجبل والاحتماء فيه ولما وصلت طلائع حسان إليه تبلغه بخطة الكاهنة غير خطته واتجه إلى وادي مسكيانه ، فأسرعت الكاهنة للقاء حسان وقامت معركة على نهر نيني فانهزم حسان في المعركة واستمرت قبيلة جراوة في حربها ضد المسلمين .

ولما وردت الامدادات إلى حسان عاد لمهاجمة الكاهنة وتمكن من هزيمتها ثم قتلت عند بئر الكاهنة وهكذا استطاع حسان بن النعمان فتح شمالي أفريقيا بعد ما قضى على قبيلة جراوة الزناتية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) .

وتحولت بعد موت الكاهنة جميع قبائل جراوة ومغراوة الزناتية إلى الإسلام كما أسلم بنو عبد الواد الزناتية من قبل .

كان حسان سياسيا قديرا نظم البلاد ودون الدواوين وملك قلوب البربر فأقبلوا على الاسلام وصارو جندا له وحسن اسلامهم .

وفي عام ٨٦هـ / ٧٠٥م تولى موسى بن نصير ولاية أفريقيا وفي عهد موسى بن نصير استقرت أحوال البربر واطمأنوا إلى قيادته فقد بعث فيهم

من يعلمهم القرآن ويعرفهم بالدين.

ثم عزل موسى فى عام ٩٦هـ/٧١٥م وتولى مكانه محمد بن يزيد، ثم خلفه اسماعيل بن عبيد الله بنأبى المهاجر عام ١٠٠هـ/٧١٩م فكان حسن السيرة اسلم على يديه الكثيرون.

وفى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م عزل عمال عمر بن عبد العزيز وتولى على أفريقيا يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج الذى بدأ فى ظلم البربر وأسرف فى ذلك فثاروا عليه وقتلوه، وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م ولى عبيد الله بن الحبحاب على أفريقيا ١١٦هـ/٧٣٤م الذى عين ابنه اسماعيل على اقليم السوس الأقصى وماوراءه وعين عمر بن عبد الله المرادى على طنجة والمغرب الأقصى فبالغوا فى الاساءة إلى البربر حتى أن من دخل الاسلام من البربر ورفعت عنه ضريبة الأرض اعادوها عليه طمعا فى تحصيل الأموال، ولم تكن هذه سياسة من ساروا قبلهم، فاشتعل الموقف وثار البربر على حكامهم من المسلمين وخلع المغريين الأوسط والأقصى الطاعة عن الخلافة الأموية، خاصة وأن الخلفاء أنفسهم لم يكونوا بعيدين عما يفعل ولاتهم بشعوب أفريقيا والمغرب من سوء المعاملة ما لم يقربه الدين. فانتهزت جماعات الخوارج الظروف ورأوا أنها مواتية لهم، واشتعلت الفتنة بين البربر، خاصة من زناتة التى أخذت غالبيتها بمذهب الخوارج من الصفرية والأباضية.

واجتمع هؤلاء المعارضة بنو دمر وبنو واسين وبعض بطون مغراوة حتى صارت غالبية زناتة من مذهب الصفرية والأباضية الخوارج لأن

مبادئهم تفرض التسوية بين العرب والموالي المسلمين في كل الأحوال حتى في الخلافة فلا فرق بين عربي وغير عربي فالخلافة حق لجميع المسلمين.

عزل هشام بن عبد الملك ابن الحبحاب وولى كلثوم بن عياض القشيري مكانه ويتوفى كلثوم ويولى هشام حنظلة بن صفوان مكانه في عام ١٢٤هـ / ٧٤١م.

وفي عام ١٢٧هـ / ٧٤٤م ثار عبد الرحمن بن حبيب وراى حنظلة تجلب مواجهة مع عبد الرحمن وفي عام ١٢٩هـ / ٧٤٦م وافق مروان بن محمد على ولاية عبد الرحمن تجنباً للفتن ولخبرته بأفريقيا فجده هو عقبة بن نافع.

وفي عام ١٣٢هـ / ٧٤٩م تحولت الخلافة إلى العباسيين فأقروا عبد الرحمن بن حبيب على ولايته.

وفي عام ١٣٧هـ / ٧٥٤م قتل عبد الرحمن بن حبيب وولى محمد بن الأشعث حكم أفريقيا، فخرج محمد بن الأشعث بنفسه إلى أفريقيا في عام ١٤٣هـ / ٧٥٩م وبلغ أبا الخطاب مسيرة بن الأشعث إلى أفريقيا فجمع أصحابه واستعد للقائه، فخافه ابن الأشعث لكثرة جموعه ولم يكذ يتقدم صوب أفريقيا حتى علم بخروج زناته عن طاعة أبي الخطاب فسار ابن الأشعث لحربه وهزمه وقتله في عام ١٤٤هـ / ٧٦٠م ، وقد ندمت زناته على تخليها عن أبي الخطاب، فخرج أبو هريرة الزناتى يقود ستة عشر ألفاً من زناته وقاتل ابن الأشعث وابن الأشعث يقود جيشاً من خمسين ألف مقاتل وانتصر على زناته.

بلغ عبد الرحمن بن رستم هزيمة ابن الخطاب ومقتله في طرابلس فانسحب مسرعا إلى حيث أقام مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط غربي الجزائر واستطاع ابن رستم أن يجمع أباضية المغرب الأوسط وطوائف البربر حوله وبنى مدينة تاهرت في عام ١٤٤/٧٦٠م وجعلها عاصمة للدولة الرستمية .

كانت أرض تاهرت غابة ملتفة الأشجار تملأها الوحوش ولكنها كانت أرضا صالحة للزراعة لما فيها من العيون الطبيعية واستمرار جريان مياه نهر مينة في الناحية القبلية ونهر يجرى من عيون تاتش .

ثم شرع الأباضيون في بناء المسجد الجامع بالمدينة والحقوا به مصلى للجنائز كما شرعوا في تحصين المدينة فأقاموا حولها الأسوار وجعلوا لها أبوابا حتى صارت في مأمن من الأعداء .

الدولة الرستمية الأباضية (١٦٠-٢٩٦هـ / ٧٧٦-٩٠٩م)

استقر رأى الأباضية، بعد مأزرتهم عبد الرحمن بن رستم في حصار عمر بن حفص بطنية بالزاب عام ١٥١هـ / ٧٦٨م وكانت هزيمتهم في تهودة في نفس العام مبررا في قيامهم بتأسيس الدولة الأباضية بالمغرب ونصبوا عبد الرحمن بن رستم إماما للأباضية بعدما أعطوه عهد الله وميثاقه بالطاعة الحق وبادلهم بالمثل، وأظهروا الإمام علانية على الملأ .

ووصلت أخبار ابن رستم إلى ابن الأشعث وإلى أفريقيا وأنه بالمغرب فعمد إلى حربه وحاول حصاره ولكن بعد قوات الأوان فقد تمكن ابن رستم من تحصين نفسه بحيث يتعذر وصول ابن الأشعث إليه بسهولة فارتد عائداً

دون النيل من ابن رستم.

لقد نجح ابن رستم فى خطته بحيث أعلن عن قيام دولته بعدما حصن نفسه من احتمالات المواجهة العسكرية مع العباسيين وعمد إلى موادعتهم، وتمكن بعد ذلك من بسط سلطانه على البربر حتى تمكن الاسلام من قلوبهم وأذعنوا لسلطان الدولة أخذ ابن رستم فى إرساء نظم الحكم والإدارة.

لقد جعل ابن رستم الحكم ديمقراطيا بحيث تتم الإمامة بمشورة ستة من وجوه القوم ورؤساء القبائل على هدى نظام الشورى فى عهد الخلفاء الراشدين واشترط المبايعة العامة بعد ذلك، ويحصل الإمام للشارة وهم العلماء الأباضيون حقهم فى الاستئارة برأيهم فى الأمور الهامة للدولة مثل تعيين القضاة وجعل الشرطة قسمين قسم مسئول عن الأمن والنظام والقسم الآخر يشرف على الاسواق ولهم حق التحكيم فى المنازعات فى السوق وتقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهكذا غلب الطابع الدينى المذهبى وساعد ذلك على استقرار الأحوال فى البلاد.

وفى عام ١٧١هـ/٧٨٧م توفى عبد الرحمن بن رستم وتولى مكانه ابنه عبد الوهاب بن رستم وعلى الرغم من أن اختيار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم تم من بين سبعة رشحوا للإمامة فقد ظهرت المعارضة ضد هذا الاختيار ولكن فشلت المعارضة واستقر رأى على عبد الوهاب بن رستم إماما، ونتج عن المعارضة قيام طائفة النكارية التى أنكرت إمامة عبد الوهاب الوراثية.

وفى عام ٢١١هـ/٨٢٦م توفى عبد الوهاب وخلفه ابنه الإمام أفلح حتى عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م وهو الذى حارب النكارية وهزمها وشتت أتباعها. وفى عهده تطورت الدولة ونمت ثم تتابع الأئمة الأباضيون فى الحكم فولى الحكم ابو بكر بن أفلح ثم أبو اليقظان محمد ثم أبو حاتم يوسف بن محمد حتى كان عهد الإمام اليقظان بن أبى اليقظان وفى عهده انتهت الدولة الرستمية وذلك بعد ظهور الدعوة الفاطمية، فى قبيلة كتامة التى ساندت الشيعة الفاطمية فى القضاء على الدولة الرستمية فى عام ٢٩٦هـ/٩٠٩م.

ومن مآثر الدولة الرستمية ازدهار التجارة مع الجنوب فى أفريقيا المدارية مع غانة وسجلماسة والمغرب الأقصى وفى مناطق كردفان وواوى كما قامت الدولة الرستمية بحفر الآبار وبحراسة القوافل وإقامة الفنادق والمحطات، وجمعت مكاسب عظيمة فانتشر العمران وازدهرت البلاد.

كما أقامت الزوايا والمساجد لنشر الاسلام، ولما انتهت الدولة الرستمية فى تاهرت انسحب الأباضيون من المغرب الأوسط (الجزائر) إلى الجنوب فى أرض ميزاب والواحات فى بسكرة وغرداية وورجلان.

وظلت تلمسان فى أيدي بنى يفرن وأقاموا بها إمارة لهم ثم نافستهم مغراوة السنية الزناتية عليها عام ١٧٠هـ/٧٦٨م. ثم زحفت الأدارسة عليها عام ١٧٥هـ/٧٩١م وأقام بنو يفرن مدينة أفكان عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م وتقع بين تلمسان وتاهرت وصارت عاصمة لبني يفرن. كما كانت تاهرت مركزا لتجمع بطون بني يفرن وكانوا يمثلون قوة سياسية فيها لدرجة أنهم فرضوا رأيهم فى اختيار الأئمة الأباضية فقد كان لهم دور كبير فى مساندة الدولة الرستمية.

وقد كان لبنى يفرن دور في مساعدة الصفريّة الخوارج وبايعوا أبو قرّة
اليفرنّي الذي قاوم الولاة العباسيين لم ينل منهم غرضاً ثم اختفى أبو قرّة
بعد ذلك وظلت السيادة على المغرب الأوسط لبني يفرن إلى قيام الدولة
الفاطمية بالمغرب عام ٢٩٦هـ / ٩٠٩م.

دولة الأغالبة ١٨٤-٢٩٦هـ / ٨٠٠-٩٠٩م

حظيت الجزائر بدولة الأغالبة المستقلة في شرقيها (نوميديا) حيث
كانت تبعيتها للقيروان وكان يمتد غربي الإقليم التونسي إلى بجاية على
البحر المتوسط ومنها إلى الصحراء جنوباً شمال قسنطينة وإقليم الزاب
وعاصمة طينة، ولقي هذا القسم في عصر الأغالبة اهتمامهم وازدهرت فيه
الحياة الاقتصادية والحضارية والعلمية.

كان قيام دولة الأغالبة في أفريقيا (تونس) نتيجة للسياسة التي اتبعها
الخليفة العباسي الرشيد في بلاد المغرب للقضاء على ثورة البربر وقهر
الآدارسة في فاس بالمغرب الأقصى.

وفي عام ١٨٤هـ / ٩٠٩م عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد بولاية
أفريقيا إلى إبراهيم بن الأغلب ١٨٤-١٩٦هـ / ٨٠٠-٨١١م وجعلها له
ولأبنائه من بعده.

اتخذ إبراهيم بن الأغلب القيروان عاصمة لدولته التونسية الجزائرية
وأنشأ قوة بحرية هائلة تمكنت هذه الدولة في عهود تالية بفضل هذا
الاسطول الكبير من غزو جزيرة صقلية وغزو مالطا وسواحل إيطاليا.

وكان الأغالبة يحسنون إدارة الحكم فأعطوا اهتمامهم لشرقي الجزائر

في طنجة فازدهرت الحياة وتطورت الحضارة الاسلامية فأسعدوا الناس بحسن تدبير الأمور في السياسة وشؤون الحكم في أفريقيا والمغرب الأوسط شرقي الجزائر.

الفاطميون (٢٩٧-٥٦٧هـ / ٩٠٩-١١٧١م)

قامت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب بفضل دعاة الاسماعيلية الذين كانوا يدعون إلى أن تكون الخلافة في سلالة علي بن أبي طالب عن طريق ابنه الحسين وينتهي الاسماعيلية إلى اسماعيل بن جعفر الصادق حفيد الحسين. عندما أقام أبو عبد الله الشيعي بالتمهيد للدعوة الشيعية في المغرب العربي لاقى نجاحا كبيرا فبعث إلى عبيد الله حفيد اسماعيل بن جعفر الصادق بدعوه ليتولى الحكم فيها وتمكن عبيد الله من الخروج من مقر إقامته في بلدة سلمية في شمال الشام قاصدا بلاد المغرب مارا بمصر. وعلى الرغم من محاولات العباسيين لمنعه من استكمال رحلته فإنه نجح في الإفلات من قبضتهم وحضر إلى بلاد المغرب حيث وجد الداعية أبو عبد الله الشيعي قد مهد له الأمور لتولي الخلافة.

وقد تطورت الأحداث بالفاطميين في المغرب إلى أن تمكنوا من دخول القيروان ورقادة واسقاط الدولة الأغلبية في عام ٢٩٦هـ / ٩٠٨م والأباضية بتاهرت والأدارسة في تلمسان أبناء سليمان بن عبد الله.

وبذلك صارت الجزائر من شرقها ووسطها وغربها تحت سلطان الشيعة الفاطمية.

اتخذ عبيد الله المهدي رقاده حاضرة لدولته عام ٢٩٧. ٩٠٩م وأمر

بذكر اسمه في الخطبة على المنابر وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، وهكذا قامت الخلافة الفاطمية بالمغرب.

ثم بعث الخليفة بعماله من كتامة إلى الولايات في كل الأنحاء لإظهار طاعتهم للإمام، وأمر الخليفة الفاطمي بتوحيد بلاد المغرب تحت سلطانه، وخضعت له بلاد المغرب الأوسط، والأقصى وخضعت له زناته وذلك بعد استعانته بصنهاجة وزعيمها زيري الصنهاجي.

لقد عمل القائم بأمر الله على استمالة زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة بعد ظهور قبيلة صنهاجة كقوة لها وزنها تحت زعامة زيري بن مناد، وبدأت تغير على مضارب زناته بالمغرب الأوسط، وقامت الحروب بين القبيلتين، بحكم العداء القبلي بين البتر وهم أهل البداوة وعلى رأسهم قبيلة زناته، والبرانس وهم أهل الزراعة والاستقرار ومنهم قبيلة صنهاجة.

وفي عام ٣٢٤هـ/٩٣٦م عملت صنهاجة على بناء مدينة أشير في جبال تترى شمال شرق تاهرت لتكون حاجزا أمام هجمات زناته بالمغرب الأوسط على أراضي الفاطميين ثم تحولت مدينة أشير إلى قاعدة هجوم للفاطميين على مضارب زناته بالمغرب الأوسط، كما صارت مضارب زناته بالمغرب الأوسط محاطة بأنصار الفاطميين من كل جانب خاصة بعد ما أخضع الفاطميون وهران وتاهرت وتلمسان وفاس، وأقاموا المسيلة في وسط مضارب زناته بالزاب، وجميعها مراكز معادية للفاطمية منذ قيام دولتهم وهنا توقف الزناتيون عن مناوئتهم للفاطميين بالمغرب الأوسط (الجزائر).

الصنهاجيون:

تعاونت كلا من كتامة الجزائرية التي لها شرق الجزائر وصنهاجة التي لها غرب الجزائر، تعاونت جميعها في تلمسان والأباضية في تاهرت والأغالبية في شرقي الجزائر وصنهاجة ساعدت الفاطميين في التغلب على ثورة أبي يزيد مخلد الصفري. وقد ولي الخليفة الفاطمي المنصور زيري بن مناد الصنهاجي المنطقة الغربية في الجزائر.

ثم تولى المعز الفاطمي الخلافة في عام ٣٤١هـ/٩٥٢م أبقاه في مكانه. وزيري هو الذي بنى أشير في شمال شرق تاهرت في عام ٣٢٤هـ/٩٣٥م وجعلها عاصمة لدولته.

كما أسس ابنه بلكين مدينة الجزائر على البحر المتوسط ومدينة مليانه جنوب شرشال على نهر شلف من الناحية الشرقية.

وزيري بن مناد هو الذي ساعد جوهر الصقلي عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م في بسط سلطان الفاطميين على بلاد المغرب الأقصى.

وفي عام ٣٦٠هـ/٩٧٠م دب خلاف بين جعفر بن علي بن حمدون الزناتى والى الزاب للفاطميين مع الفاطميين فانسحب من المسيلة العاصمة، وانضم إلى زناته لمناهضة الفاطميين بسبب اعتزام تولية المعز لزيري الصنهاجي على كل أفريقيا وهو الذي توجد بينه وبين جعفر الزناتى بغض وعداوة وتقاتل جعفر وزيري في أرض صنهاجة وقتل زيري في المعركة، فأصر ابنه بلكين على قتال زناته بزعامه جعفر وهزمهم. وهنا أعلن المعز تولية بلكين بن زيري على أفريقيا التونسية والمغرب

الأوسط والأقصى في عام ٣٦١هـ/٩٧٢م.

وفي عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م توفي الخليفة المعز وتولى العزيز بن المعز للخلافة وضم ولاية إقليم طرابلس إلى بلكين بن زيري الصنهاجي، وفي عام ٣٦٨هـ/٩٧٩م تمكن بلكين من القضاء على ثورات في تاهرت وباغاية وتلمسان وسجلماسة وفاس. ثم توفي عام ٣٧٣هـ/٩٨٣م وخلفه ابنه المنصور في عام ٣٧٤هـ/٩٨٤.

ثم وقع خلاف بين زيري بن عطية الزناتي وبين المنصور بن بلكين بن زيري أدى إلى وقوع معارك بينهما هزمت فيها زناته إلا أن المنصور رأى أن يوقف تلك الحروب مع زناته مما أزعج الخليفة العزيز الفاطمي في القاهرة لخوفه مما يترتب على ذلك من انحسار سلطان الفاطميين ووقوع المغرب الأقصى في أيدي الخليفة الأموي في الغرب الأندلسي فأوعز إلى كتامة للوقوف في صف الفاطميين ضد المنصور بن بلكين. إلا أن المنصور تمكن من التغلب عليهم وهزمهم.

ثم عمد المنصور إلى استمالة زناته إلى صفه.

وفي عام ٣٧٩هـ/٩٨٩م انضم إلى بلكين سعيد بن خزرون زعيم زناته وولاه طنجة في إقليم الزاب ثم تولى قفلا مكان أبيه سعيد بن خزرون. وفي عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م توفي المنصور بعد أن استتببت الأمور وهدأت في الجزائر وخلفه ابنه باديس وهو في الثالثة عشر من عمره، فقام أعمامه في إدارة شؤون الدولة في أفريقيا والجزائر.

وفي عام ٣٨٩هـ/٩٩٨م هاجم زيري بن عطية تاهرت ويسرع حماد

وباديس لانقاذ تاهرت ويتغلب زيرى عليهم. وفي عام ٣٩٢هـ/١٠٠١م هاجمت زناته مدينة أشير فهزمها حماد عم باديس بن منصور.

بنو حماد:

بعد أن تمكن حماد بن بلكين من هزيمة الزناتية عام ٣٩٢هـ/١٠٠١م عمد إلى الاستقلال بأشير التي تولى حكمها منذ عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م في عهد باديس، وهكذا بدأ في بناء قلعه يجعلها عاصمة لدارلته، وفي عام ٣٩٨/١٠٠٧م بنى قلعة حماد على الحدود الشمالية لسهول الحضنة وتبعد قليلا عن المسيلة ثم أقام فيها المباني من فنادق ومساجد.

وفي عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م أعلن استقلاله عن باديس ابن أخيه ودعا للعباسيين أهل السنة. فسار إليه باديس ولكنه توفي في معسكره عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م فخلفه ابنه المعز فعاد حماد إلى الثورة، ودخل المسيلة وأشير وبغاية فسار إليه المعز وهزمه عام ٤٠٨هـ/١٠١٧م ففر إلى القلعة ثم طلب الصلح وهنا قام المعز بإعادة تنظيم الدولة، وولى عمه حماد على أشير والمسيلة طبنه والقلعة وتاهرت وبلاد الزاب وبذلك صارت دولة صنهاجة دولتين دولة ابن بلكين في القيروان، ودولة بنو حماد بن بلكين في القلعة بالجزائر.

وفي عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م خرج المعز بن باديس عن طاعة الفاطميين وقطع خطبتهم وأعلن الخطبة للعباسيين وعاد إلى المذهب المالكي الذي يميل إليه غالبية أهل المغرب.

وثار الخليفة الفاطمي المستنصر بالله بمصر وأصدر قرارا بهجرة عرب

بنى هلال وسليم من مصر عام ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م ولم يستطع المعز بن باديس مقاومتهم فانسحب إلى المهدية ومات في عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م وخلفه ابنه تميم.

كذلك لم تتمكن زناته تلمسان من مقاومة العرب الهلالية فانهزمت أمامهم. أما القلعة فقد تحالف حاكمها بلكين بن محمد بن حماد مع الهلالية وزحفوا جميعهم إلى المغرب الأقصى.

ودخل معهم بلكين إلى فاس، وعند عودة بلكين من فاس إلى القلعة فاجأه ابن عمه الناصر بن علناس وقتله ثأراً لمقتل أخته بيد بلكين في عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م وحكم الناصر بن علناس القلعة مدة سبعة وعشرين عاماً. امتد خلالها حكمه من المغرب الأقصى إلى القيروان، بعد لجوء ابن باديس وابنه تميم للمهدية.

ثم قام النزاع بين الناصر وتمام، ثم عاد بينهما الوفاق ثانية وفي عام ٤٦١هـ / ١٠٦٨م بنى الناصر بجاية وشيد فيها المساجد والقصور وجعلها عاصمة لدولته.

ثم تمكن عرب بني هلال من القضاء على ملك بني زيري بأفريقيا وهددوا الدولة الحمادية وكان قد وليها يحيى الحمادي في عام ٥١٨هـ / ١١٢٤م ثم تطلعوا إلى المغرب الأوسط ولكن قيام دولة المرابطين وحاميتها القوية المستقرة بتلمسان جنوب المغرب الأوسط أجل مصير تلك البلاد.. ولكن إلى حين - من هجمات القبائل الهلالية.

دولة الموحدين

بعد أن تم لعبد المؤمن الموحدي ٥٢٤/٥٥٥ هـ - ١١٣٠-١١٦٣ م القضاء على دولة المرابطين سعى لضم بلاد المغرب إلى دولته خصوصاً وأن الظروف السياسية السائدة فيها كانت تشجعه على ذلك، فقد أدى الصراع الناشئ بين القبائل العربية التي هاجرت إلى أفريقيا والدولة الزيرية بشقيها في القيروان والقلعة إلى انحلال الدولة وإشرافها على الإندثار حتى غدت السلطة الزيرية بأفريقيا اسمية. فتمكن النورمانديون من الاستيلاء على بعض ثغور أفريقيا مثل صفاقس وسوسة وغيرها ثم المهدية.

وفي عام ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م تحركت جيوش الموحدين بقيادة عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط فوفد عليه عربها من الأثبج وجشم مبايعين فعقد لأخيل بن كسلان من عرب الأثبج ولحباس بن مشيغر على جسم ثم استولى على بجاية وطرفت جيوش الموحدين أبواب أفريقيا بعنف.

خشى عرب أفريقيا على استقلالهم الذاتي فتحالفوا مع صنهاجة أفريقيا جيرانهم واستغلوا الخلاف الذي وقع بين قائدي الموحدين بصلاش بن المعز وعبد الله وانودين صهر عبد المؤمن وانسحاب بصلاش وتركه عبد الله في قلة من الجند فهاجموه وقتلوه وحاصروا مدينة القيروان وقام موسى بن يحيى الرياحي المرداسي بمهاجمة مدينة باجة والاستيلاء عليها.

بلغ ذلك عبد المؤمن فغضب غضباً شديداً ووجه للعرب كافة الموحدين بقيادة عبد الله بن عبد المؤمن حتى لم يبق معه إلا الخاصة والسوقة. وبلغ جيش الموحدين أكثر من ثلاثين ألف فارس، اجتمعت القبائل العربية بأفريقيا من الأثبج وزغبة ورياح وبنو قرة بقيادة ملكهم يحيى بن عبد

العزیز بظاهر باجة وتناشوا ما بینهم من ثارات، وتحالفوا لمحاربة عبد المؤمن وإخراجه من أفریقیا وجمعوا نساءهم وأولادهم وأموالهم وارتحلوا إليه لیكون لقاءهم أشجع وثباتهم فى الميدان أصدق.

والتقى الموحدون والعرب بناحية سطيف عام ١١٥٢/٥٤٧م وتمكن الموحدون من هزيمتهم بعد قتال استمر اربعة أيام ولوا بعدها منهزمين تاركين خلفهم أموالهم وأولادهم ونساءهم تتبعهم القرات الموحدية. مضحين بالأسلاب والغنائم طالبيين ثأرهم لهزيمتهم السابقة يوما وليلة حتى حصن تبسه بجبل أوراس. فقسم عبد المؤمن جميع أموالهم على عسكره واحتفظ بالنساء والأولاد وعین لهم من یحميهم ویقوم بحوائجهم ثم أعادهم إلى قبائلهم ومنحهم الأموال الكثيرة فمالت قلوبهم إلى عبد المؤمن وبذلك ضمن ولاءهم.

الدولة الحفصية

ضمنت حدود الدولة الحفصية الأراضى التى تشملها اليوم طرابلس الغرب وتونس وجزء كبير من الجزائر الذى يضم عنابة وقسنطينة وبجاية وتدلّس غربا إلى مابعد ورقلة فى الصحراء الجزائرية جنوبا.

استقل أبو زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص واستقام له حكم البلاد، حيث يعمل على نشر العدل والأمن فيها حتى وفاته عام ١٢٤٩هـ/١٢٤٩م وخلفه ابنه محمد الذى تلقب بالمستنصر بالله وبأمير المؤمنين وسار فى حكم الجزائر شرقها وغربها على نهج أبيه فعم الأمن والاستقرار أنحاء البلاد، وتوفى عام ١٢٧٥هـ/١٢٧٦م ثم دبت الخلافات بين أفراد الاسرة الحفصية فضعفت الدولة الحفصية وتمردت عليها الدولة

المرينية، وناقستها في حكم الجزائر وتقلص نفوذ الحفصيين.

وفي عام ٧٠٣هـ/١٣٠٢م قام الخليفة الحفص بحمالة الدولة المرينية إلا أن الدولة الحفصية بقيت على حالها من الضعف مما دفع السلطان أبو الحسن المريني عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م إلى بسط سلطانه على تلمسان والجزائر وتظل العلاقة بين الدولة المرينية والدولة الحفصية بين وجزر حتى جاء عهد السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تمكن من استعادة قوة الدولة الحفصية في عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م.

وفي عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م تولى عمرو بن عثمان حكم البلاد الذي امتد إلى مايزيد من نصف قرن عم البلاد خلالها الاستقرار ثم امتد سلطان الحفص إلى تلمسان في أقصى غرب الجزائر حتى وفاته في عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م ثم تدهورت الأحوال في الدولة الحفصية بعد ذلك.

بنو عبد الواد

ينتمي بنو عبد الواد إلى قبائل زناته التي كانت ترتاد جبال وصحراء المغرب الأوسط، ولما فتح الموحدين هذه البلاد، كان بنو عبد الواد عون لهم على ذلك فنالوا ثقة الموحدين وحصلوا منهم على إقطاعات وفيرة بأحواز تلمسان واستقروا فيها، وامتدت حدود دولتهم من البحر المتوسط شمالا إلى صحراء الجزائر جنوبا وغربا من جبال سعيد ووادي مينا شرقا إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غربا ومن بطون عبد الواد وشعوبها. بنو ياتكين وبنو أولوا وبنو ورجطف وبنو نصوحه وبنو تومرت وبنو القاسم.

وقد تولى الحكم في عهد الموحدين من بنو عبد الواد الزناتيين في

عام ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م جابر بن يوسف على تلمسان ولم يلبث أن توفي وفي عام ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م تولى الحكم يغمراسن الذى أعلن نفسه أميراً للمسلمين واستقل بالحكم فى البلاد ثم عاد وأعلن الولاء للحفصيين بعد ما أحس منهم الخطر.

وفى عام ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م حاربه السعيد الموحدى فانتصر عليه يغمراسن ثم شرع فى تثبيت ملكه وتوفى عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م.

ثم دخلت دولة بنى عبد الواد فى صراع مع الحفصيين وبنى مرين حتى جاء عهد موسى الثانى الذى لجأ إلى سلطان تونس يطلب العون لتحرير تلمسان من المرينيين الذين استولوا عليها عام ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م.

وفى عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م خرج موسى الثانى على رأس جيش من تونس والجزائر إلى تلمسان التى تمكن من فتحها وطرده بنى مرين منها. وحكم موسى الثانى أحد أحفاد يغمراسن أول من أعلن استقلال دولة بنى عبد الواد عن دولة الموحدين.

الفصل الثاني

الجزائر من العهد العثماني حتى الاستقلال

• العهد العثماني

• الاستعمار الفرنسي للجزائر

• الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي

• استقلال الجزائر

حكم موسى الثاني ٧٥٣-٧٩١هـ / ١٣٥٢-١٣٨٩م البلاد ويعتبر عصره من أزهى عصور الدولة حيث نعت تلمسان في عهده بالرخاء والازدهار.

حالف بنو عبد الواد القبائل العربية بالمغرب الأوسط خصوصاً عرب زغبة وذوى عبيد الله من عرب المعقل المجاورين لبلى عامر من زغبة المستنصرين بجوار تلمسان وبعد وفاة موسى الثاني من عرب المعقل المجاورين لبلى عامر من زغبة المستنصرين بجوار تلمسان.

وبعد وفاة موسى الثاني في عام ٧٩١هـ / ١٣٨٨م دب الخلاف بين أبنائه وتنازعوا الحكم حتى تمكن الحفصيون من التدخل في شئون دولتهم فأسرع إليها الضعف وتدهورت دولة بنى عبد الواد، كما تدهورت الدولة الحفصية في شرقى الجزائر وتونس وطرابلس. وتعرضت أملاك الدولتين للاعتداءات الخارجية وسقط الساحل الغربى للجزائر فى أيدي الأسبان نتيجة لإهمال حكام البلاد العربية بالمغرب الأوسط (الجزائر) الدفاع عن الثغور والوقوف في وجه الأعداء الصليبيين.

ظهر العثمانيون:

أخذ الاستعمار الأسباني يأخذ دوره في نهاية القرن ٩ هـ الخامس عشر للميلادى في السطو والاعتداء على السواحل الجزائرية والتونسية والمغربية والعرب في غيبة عن المقاومة الشرعية ضد المهاجمين الأسبان لانشغالهم في حروبهم وانقسامهم، حتى ضاع نفوذ الدولة الحفصية في البلاد.

كما أن دولة عبد الواد انحسر سلطانهم عن المغرب الأوسط واستقروا في تلمسان وبعض حواشيها وصاروا في مواقف دفاعية بسبب حالات

التشرزم التي شغلته عن مواجهة الأعداء.

استقر الأسبان في السواحل الجزائرية إلا أن المقاومة الوطنية في البلاد ظلت تلاحقهم.

ثم ظهر في خلال تلك الفترة من نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الهجري الخامس عشر الميلادي أخوان بربروسا من أشهر قراصنة البحار آنذاك لجأ إليهم المهاجرون الأندلسيون لمساعدتهم في الخروج في صف الأندلسيين وساعدتهم على اللجوء إلى الجزائر فنزلوا في الجزائر في عام ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م.

كما بعث الأمير الحفصي في عام ٩١٨هـ / ١٥١٢م إلى بربروسا يستنجد به فأسرع عروج إلى مهاجمة شرشال في عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وتمكن من دخول مدينة الجزائر وتمكن من دحر المعتدين المحتلين الأسبان وعمل على إدارة البلاد متعاوناً مع أهلها وهذا ارتفع نجم الدين بربروسا الذي رأى مواصلة تنفيذ خطته في التعاون مع المغاربة مع اعلان ولائه للسلطان سليم العثماني في عام ٩٢٦هـ / ١٥١٩م وسرعان ما منحه العثمانيون لقب «بجلربك» أمير الأمراء، وأمدوه بالفين من الانكشارية وأربعمائة من الأرناؤوط وعدد من المدافع وتمكن من اثبات وجوده في أرض المغرب الأوسط.

ففي عام ٩٣٩هـ / ١٥٢٢م هاجم قسنطينة وأنهى ثورات العرب في أقاليم قبيلة رهدنة وشرشال وتليس وتغلب عليهم جميعاً. ثم وجه بربروسا جيشه لحصار حصن بيتون لمنع الأسبان من تهديدهم له واستطاع فتح الحصن في عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م.

بعد ذلك اتجه بربروسا إلى عمل إصلاحات بميناء الجزائر لتمكنه من الرسو باسطوله في أمان من الرياح الغربية أو الشرقية. وأصبح هذا الميناء للجزائري مرقبا لمتابعة حركة السفن العابرة فيه من الناحية الغربية والشرقية، ثم أفسح مجالا للعثمانيين للإستفادة من هذا الميناء باعتباره من قادة الدولة العثمانية ذوى المكانة العالية.

وفي عام ١٥٣٣/٩٤٠ هـ مد البجلربك بربروسا نفوذه إلى تونس فدخل العاصمة وأعلن منها انتهاء العهد الحفصي في البلاد، وصارت للجزائر وتونس تحت سلطان بربروسا ومن ثم فالدولة العثمانية وعند ذلك بعث السلطان العثماني في القسطنطينية يستدعي بربروسا وهناك منحه لقب أمير الاسطول العثماني وكلفه بإدارة الحرب ضد اعداء الدولة العثمانية وقام خير الدير بربروسا بدوره على أفضل ما يكون وظل كذلك حتى وفاته في عام ١٥٤٦/٩٥٣ م .

وعندما أحس الغرب الاوربي بخطر التطورات التي حدثت في سواحل المغرب الاسلامي أعلن البابا لويس الثالث بضرورة اتحاد المسيحيين لمواجهة القوة الاسلامية الناهضة وفعلًا انضمت القوات الأسبانية والإيطالية والبرتغالية واتجهوا إلى السواحل المغربية وهاجموا الجزائر وتونس ونجحوا في النزول إلى تونس في عام ١٥٣٥/٩٤٢ هـ وتمكنوا من الاستعانة بحاكمها المعزول الأمير حسن وأعادوه إلى مكانه بعد تعهده بدفع جزية سنوية لهم.

ولم يستكن بجلربك بربروسا لما حدث وأسرع في نفس العام بالهجوم على جزر ميورقة على الساحل الأسباني وعاد معه أعدادا كبيرة من

الأسرى ثم واصل غزواته حتى وصل إلى الساحل الإيطالي، حتى بلغ
الخوف بالأهالي في مدينة روما إلى حد ترك المدينة خوفاً وهلعاً.

كما قام بجلبك العثماني بأعداد السواحل الجزائرية للدفاع عن نفسها
ضد الأساطيل المهاجمة، حيث أقاموا ترسانات قوية وأماكن للتربص
ومراقبة الأعداء، فأقاموا الأبراج المحصنة.

وهكذا صارت الجزائر دولة إسلامية عثمانية وبعد وفاة خير الدين ،
تولى الأمير حسن مكان أبيه وحصل على لقب بجلبك، وقد تغلب الأمير
حسن باشا بن بربروسا على الأسطول الأسباني الذي بعث به شارل الخامس
ملك أسبانيا واستولى على ماكان بالأسطول من سلاح وعتاد وذلك في عام
٩٤٨هـ / ١٥٤١م.

ثم عادوا الكرة في الهجوم على الجزائر في عام ٩٥٤. ١٥٤٧ وفشلوا
وفي عام ٩٦٦ / ١٥٥٨م وهاجموا الجزائر للمرة الثالثة وأداروا معركة عند
مدينة مستغانم شرقى المرسى الكبير ولكنهم هزموا وقتل قائدهم وانسحبوا
إلى البحر خائبين.

وقد تمكن حسن باشا من بسط سلطان العثمانيين على الجزائر جميعه
من الساحل إلى الداخل حتى تلمسان ولم تفلح محاولات الدولة العلوية في
المغرب الأقصى في احتلال تلمسان الجزائرية في عام ١١٠٣هـ / ١٦٩١م
وعام ١١١٤هـ / ١٧٠٣م.

ثم منيت الجزائر منذ أواخر القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر
الميلادى بعهد الدايات رؤساء الفرق الذى انتشرت فيه الرشوة والفساد.

ودخلت الجزائر في أزمة اقتصادية خانقة حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى، بسبب تناؤل فرص القرصنة فى البحار وكانت القرصنة تدر دخلا عاليا للبلاد ومقبولة عرفيا عند الرأى العام والدولة عامة.

كما أن الحروب بين تلك الولايات المغربية والمتكررة أدت فى النهاية إلى عدم استقرار الأحوال فى كل من تونس والجزائر.

الجزائر فى عهد الدايات

وقد فقدت الجزائر خلال القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى تقدمها الداخلى وضعف شأن الاسطول الجزائرى. كما عملت الأوبئة والمجاعات التى اجتاحت البلاد فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى بالإضافة إلى الارتباك فى إدارة البلاد ضعف الحركة التجارية حتى أن الصناعات الوطنية النشيطة التى جعلت اعتمادها على المنتجات المحلية عانت هى أيضا من كساد الأسواق. وهكذا ضعفت الصناعة كما ضعفت التجارة.

كما توقف الدخل الكبير بسبب انتهاء عهد القراصنة بعد أن تمكنت الدول الأوربية من فرض سيطرتها على البحر الأسود. وهنا لجأت الدايات إلى الجزائريين وأعملوا معهم السلب والنهب وانتشر الفساد فى الحكم العثمانى، وكانت سلطة الداى الذى يعاونه الديوان والديوان العسكرى والمجلس البحرى ومجلس القضاء الأعلى - سلطة مطلقة استبدادية فى واقع الأمر.

كما كانت الجزائر مقسمة إلى ثلاث ولايات قسنطية في الشرق ويتطرى في الوسط وعاصمتها مدينة المدية وولاية غربية وعاصمتها مزونة. ثم صارت المعسكر وذلك في عام ١١٢٢هـ / ١٧١٠م ثم صارت وهران منذ عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م وقسمت هذه الولايات وكان لكل وال سلطة واسعة في ولايته وارتبط بالحاكم العثماني المقيم بالجزائر بحماية الأموال لصالح خزينة الدولة وكذا تقديم الأفراد للخدمة في الجيش العثماني.

أما القبائل الجزائرية، فقد كلف بعضها بدفع ضريبة العشور، أما البعض الآخر من القبائل فقد أعفيت من دفعها في مقابل تقديم الشباب للخدمة العسكرية والعاملين في الخدمة المدنية للدولة العثمانية. كما أقطعت الدونة الأراضي لشيخ تلك القبائل.

وفي عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م قامت ثورة الجزائر بسبب المشاكل الاقتصادية في البلاد وكان من نتائجها قيام الداي على خوجه الذي خلع النفود العثماني وجعل اعتماده على الجند الزواوي الجزائري الوطني بعد ذلك في عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م مما أسبغ على الحكم العثماني صبغة وطنية في الجزائر فأسعد بذلك الشعب الجزائري وتوفي على خوجه عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م وتولى بعده وزيره الداي حسين . وفي عهد الداي حسين في عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م صدر قرار مؤتمر لاشايل بإلغاء القرصنة وأبلغوا الجزائر بإلغائها إلا أن الداي حسين أصر على الرفض.

وفي عام ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م كتب الداي حسين يطالب فرنسا بسداد قيمة مبلغ مليونان ونصف من الفرنكات مستحقة للداي قيمة قمح اشترته

فرنسا من الجزائر، وماطلت فرنسا الرد وتوترت العلاقات بين الداي حسين وفرنسا.

وفي عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م قامت حملة حربية فرنسية تضم ستمائة سفينة بها ثلاثة آلاف مدفع وأربعة وثلاثين ألف مقاتل غير سفن محملة بالمؤن ونزلت في سيدى فروج غربى الجزائر وعلى الرغم من المقاومة للباسلة للجزائريين فإن الحملة الفرنسية تغلبت عليها ونزل الفرنسيون للمدينة.

وقدم الفرنسيون شروطهم التى أرغم الداي على قبولها وتضمنت الشروط:

- ١ - تسليم جميع حصون المدينة.
 - ٢ - ضمان حرية الداي وممتلكاته الشخصية.
 - ٣ - حرية الداي فى البقاء أو الرحيل مع حقه فى الحماية الفرنسية.
 - ٤ - حماية الجند الجزائرية من أية أعمال انتقامية ضدهم.
 - ٥ - الحرية الدينية فى إقامة الشعائر لجميع الطوائف.
- ثم حاول الفرنسيون التوغل إلى داخل البلاد إلا أن المقاومة الجزائرية وقفت حائلا دون ذلك.

وتزعم الأمير عبد القادر الجزائرى المعارضة الجزائرية للمقاومة ضد الغزو الفرنسى للجزائر، وتلقب بأمير المسلمين وواصل الجهاد ضد الفرنسيين حتى تمكن من الاستيلاء على تلمسان ، ومنع التعامل مع

الفرنسيين .

ودارت المفاوضات مع الفرنسيين وقبل الأمير عبد القادر أن يكتفى الفرنسيون باحتلال الساحل وتم الاتفاق على وقف القتال في عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م .

وانتهت المفاوضات إلى اعتراف كل منهما بالآخر، فاعترفت فرنسا بسلطة الأمير على كل القبائل والمناطق الخاضعة له بشرط عدم قيامه بأى عمل يضر بالمصالح الفرنسية، واعترافه بالولاء لملك فرنسا ودفع جزية سنوية وعدم شراء أسلحة غير فرنسية . مقابل احتكار الأمير عبد القادر لتجارة الحبوب وعدم تعامل فرنسا مع أحد غيره .

كما أرسلت فرنسا السلاح للأمير عبد القادر وصار غربي الجزائر تحت سيطرة الأمير عبد القادر .

وفي عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م عقدت فرنسا اتفاقا مع القبائل التي في شرق الجزائر عرف بمعاهدة التينة في عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م تم بموجبه إخضاع القبائل للفرنسيين مع الخدمة في صفوف الفرنسيين نظير المرتبات والحماية الفرنسية .

حاول الفرنسيون فرض سيطرتهم على الجزائر وبدأوا في احتلال المرسى الكبير ثم وهران ثم بونا .

ولما حاولوا التوغل إلى داخل البلاد لقوا مقاومة عنيفة اضطروا خلالها إلى إخلاء وهران وبونا والانسحاب منها .

على أن الاتفاق التي تم في عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م والذي عرف باسم

(دى ميشيل) أعطى لفرنسا حق احتكار السلاح وتجارة الصادرات والواردات وبذلك تسيطر فرنسا على سوق الجزائر وتبتز أموالها وتبقى الجزائر تحت حماية فرنسا.

على أن الأمير عبد القادر أراد أن يستثمر الاتفاق فى تنظيم صفوف قواته وتقويتها. إلا أن هذه الهدنة عارضها بعض أتباع الأمير وتزعم هذه المعارضة أبو معزى المراكشى من أولاد سيدى الطيب من وازنة . فالتف حوله جماعة من المراكشين واتجه بهم إلى الجزائر فى عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م.

وبدأ يقاتل القوات الفرنسية فى وهران الجنوبية ثم اتجه إلى زوادة وانضم إليه المجاهدون المؤيدين له وظل يحارب الفرنسيين حتى عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م فاضطرت فرنسا إلى نقض الهدنة مع الأمير عبد القادر وعادت المعارك بينه وبين الأمير الفرنسيين واستطاع الجزائريون أن يحققوا النصر على الفرنسيين فى معركة سيدى ابراهيم وتمكين الأمير عبد القادر من استعادة نفوذه فحشدت فرنسا جيشا ضخما يقوده القائد الفرنسى يوجو الذى قام بنسف حصن (الأوزو) فى عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م ولجأ الفرنسيون إلى استعمال أبشع أنواع الإفناء الجماعى، فأتلفوا وأحرقوا وضربوا فحدث تخلخل فى قيادة الأمير عبد القادر وتفرق بعض أتباعه فاضطر إلى الاحتماء بمراكش وسرعان ما انضم سلطان المغرب السلطان عبد الرحمن إلى صف الأمير عبد القادر وأعلن الحرب على فرنسا وجند الجيوش لمحاربتهم إلا أن الفرنسيين تغلبوا على الجيش المراكشى وهاجموا المدن المراكشية فاضطر المراكشيون إلى الانسحاب وتوقفوا عن الاستمرار فى مساعدة الجزائريين تحت ضغط التهديد الفرنسى لبلادهم.

لم يستطع أبو معزى الاستمرار فى المقاومة ضد الفرنسيين وتم اعتقاله . وواصلت فرنسا هجومها على الجزائريين فى حين انسحب الأمير عبد القادر بعد توقف الإمدادات التى كانت تصله من أنصاره المؤيدين له ، واضطر الأمير عبد القادر إلى تسليم نفسه فى آخر عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م وسمح له بمغادرة الجزائر إلى حيث يشاء فسافر إلى الشام وتوفى بها .

وعلى الرغم من انسحاب الأمير عبد القادر من ميدان المقاومة إلا أن المقاومة الجزائرية بقيت على حالها وظلت تقاوم الفرنسيين ، على الرغم من حملات الإبادة الجماعية التى شنتها فرنسا فى الأعوام من ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م إلى ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م لقد أباد الفرنسيون مئات القرى . وعلى الرغم من قسوة الفرنسيين فى حربهم ضد شعب الجزائر فقد واصل الجزائريون ثورتهم ضدهم فى أعوام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م و ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م .

ثم قامت ثورة مارس الكبرى عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م التى انضم إليها مائة وخمسون ألف مقاتل من رجال القبائل سقط فيها ستون ألف شهيد وقتل من الفرنسيين عشرون ألف جندي .

ولما أفرجت ألمانيا عن الأسرى الفرنسيين الذى اعتقلتهم فى الحرب السبعينية سارعت فرنسا بإرسالهم إلى الجزائر لتلتقم من الجزائريين المدافعين عن بلادهم بالإعدام والمصادرة للأراضى وانزال الغرامات على الأهالى ، فاستسلمت الجزائر وخضعت لفرنسا وعملت فرنسا على أن تحكم البلاد حكما مباشراً .

لقد كان هدف الاستعمار الفرنسى استغلال الجزائر فاتجه إلى الأرض

والى انتاج السكان، أما الثروة المنقولة فيمكن نقلها للفرنسيين لكن لا بد من استغلال الجزائر استغلالا كاملا، فأذن تتم السيطرة على الأرض وعلى الانتاج الزراعى وبدلا من جعله انتاجا يخص الشعب الجزائري فلا مانع من تصديره للسوق الفرنسية.

كما عمل الفرنسيون على خلق طبقة من العمال الأجراء وتكون طبقة اجتماعية جديدة، تنتج السلع اللازمة للسوق الفرنسية وترتبط المصالح بين الشعبين لمصلحة البقاء الفرنسى فى الجزائر.

وهكذا بدأ اغتصاب الفرنسيين للأراضى فصادروا ملكية الأتراك وملكية الأوقاف وبذلك استولى الفرنسيون على غالبية الأرض الجزائرية فقد كان أغلبها وقفا .

وفى نفس الوقت حرم الجهات الدينية والخيرية من مصادرها فخضعت للفرنسيين.

وفى عام ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م صدر قانون لمصادرة أراضى العرش لمصلحة الدولة الفرنسية. ثم توالت القوانين التى تزيد من ملكية الدولة الفرنسية للأرض الجزائرية بكل الحجج الواهية ففى عام ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ م صدر قرار باعتبار أرض المراعى أراض للدولة الفرنسية فأصبح كل من يعملوا فى الرعى أجراء عند الدولة كما عمد الفرنسيون إلى بذر بذور الفرقة والنزاع بين القبائل بأن طالبت كل قبيلة بتحديد ملكتها لأرضها. فعلا قامت النزاعات بين القبائل فشكلت لجنة الصفقات التى ظلت تعمل على مدى ثلاثة عشر عاما تفصل فيها بين القبائل، وظهر من الناحية العملية تعذر اثبات ملكية الأراضى للقبائل وهنا تلجأ اللجنة حلا للنزاع بين

القبائل إلى أن تقوم ببيعها إلى الفرنسيين بثمن بخس.

وفي عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م اصدر الامبراطور نابليون الثالث قانون ملكية الأرض وجعل ملكية الأرض للقبائل وتحايل الفرنسيون فشكّلوا لجنة مسح الأرض وكانت النتيجة أن وجد الجزائريون أنفسهم وقد خرجوا صفر اليدين، الأرض التي حصلوا عليها غير صالحة للاستغلال بأية صورة.

وفي عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م حولت الإدارة الفرنسية الملكيات الكبيرة للأرض إلى ملكيات صغيرة للغاية. ثم صدر قانون يجيز ملكية الأرض بسبب المديونية وبذلك تحولت الأرض الجزائرية إلى أملاك الدولة حيث صارت مساحة ملكية الدولة إحدى عشر مليون هكتار.

الهجرة الإجبارية :

عملت فرنسا على جذب الأجانب إلى الجزائر واسكانهم فيها ولما تعذر عليها إحضار الأعداد المطلوبة لجأت إلى إرغامهم بالقوة للهجرة إلى الجزائر حتى أن جماعة من الألمان أرغموا على السفر للجزائر للاستقرار بها بالقوة ثم لجأت فرنسا إلى ترحيل المسجونين غير المرغوب فيهم سياسيا إلى الجزائر.

وفي عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م تغيرت الأحوال في الجزائر بعد ظهور الشركات الزراعية العقارية، وبدأ الاستثمار الأجنبي يعرف طريقه إلى الجزائر، وهنا بدأ الأوربيون يقبلون على الهجرة وزادت أعدادهم في الجزائر وبدأ تملك الشركات الأجنبية للأراضي فحصلت شركة الجنفواز على إثني عشر ألف هكتار من الأراضي وأقبل معها خمسمائة من الأوربيين في عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م.

وفي عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م قام بنك التسليف العقاري ثم توالى قيام شركات تسليف ونقل بحرى وتجارى.

كما حصلت الشركة العامة للجزائر على أرض بلغت سبعون ألف هكتار كضمان لقرض بلغ مائة مليون فرنك للاصلاح الزراعى ولكن لم يتم صرف مائعتين به الشركة إلا عشر المبلغ المحدد من قبل، كما قام الفرنسيون بتوزيع مساحات هائلة من الأراضى العقارية على ثلاثين رأساليا أجنبيا.

وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى كثرت رؤوس الأموال المستثمرة فى الجزائر. وبدأت الملكيات الزراعية الكبيرة فى الانتاج الزراعى الآلى. فظهر الانتاج التجارى. واتسعت زراعة قصب السكر والقطن والزيتون والتبأك.

الأحتكار الأجنبى:

خصص الاستعمار الفرنسى الأجنبى للقيام بدور المستفيد الأول والمستغل لخير الجزائر دون شعب الجزائر صاحب الأرض الأصلى. واستخدم فى سبيل الوصول لهدفه السيطرة على السوق الداخلية وتصدير رؤوس الأموال.

كما قامت فرنسا باحتكار النقل البحرى والوحدة الجمركية بين فرنسا والجزائر فكانت السوق الفرنسية هى السوق الوحيدة المحتكرة للانتاج الزراعى ويتم تصدير المحصولات الزراعية للسوق الفرنسية.

كما أنشأوا المصارف والصناعات للمواد الأولية كالحديد والفوسفات

والزئك وغيرها .

ومذ بداية الاحتلال دخلت المنتجات الصناعية الفرنسية إلى السوق الجزائرية وحدث الاغراق بالأسواق ونتج عن تلك السياسة حركة ركود وكساد للصناعات الوطنية بعد ماكانت مزدهرة، وتقوم بمد البلاد بحاجاتها من المنسوجات والملابس والأسلحة وما إلى ذلك.

كما بيعت المصنوعات الفرنسية في السوق الجزائرية بأسعار رخيصة، وحرمت الجزائر كذلك من إقامة حماية جمركية لصناعاتها. وبسبب السياسة التي اتبعتها فرنسا لقانون المنافسة الحرة في السوق أن فقدت الصناعة الجزائرية القدرة على الوقوف في وجه الصناعات الفرنسية حيث تفوقت في الجودة والسعر.

وهكذا تم القضاء على الصناعات الحرفية في الجزائر وتخلفت الصناعة الجزائرية تبعا لذلك.

لقد كان النظام الفرنسي سلسلة متصلة الحلقات خصصت جميعها لخدمة تثبيت أقدام الاستعمار الفرنسي وجعلوا منهم أجراء غرباء عن الأرض التي تملكها المستعمر . وأباح لنفسه حق التملك للأرض بغير حق، فضعت القوة الشرائية لدى الشعب.

كم عملت فرنسا على منع ظهور أية محاولة لإنشاء صناعة وطنية حديثة يمكن أن تنافس الصناعات الفرنسية.

ولما أنشأ الجزائريون مصنعا كبيرا للنسيج خلال الحرب العالمية الثانية قامت فرنسا بإغراق السوق الجزائرية من المنسوجات الفرنسية فاضطر

أصحابه إلى إغلاقه.

النظام الإدارى للجزائر فى ظل الاحتلال الفرنسى:

وقعت فى عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م مجاعة راح ضحيتها عشرات الآلاف من الجزائريين فقام الاقطاعيون الأجانب بالمناداة بالحكم المدنى وإلغاء الحكم العسكرى الفرنسى الذى يسيطر على البلاد.

وفى عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م تحولت الجزائر إلى ثلاث مقاطعات فرنسية: قسنطينة والجزائر ووهران.

وفى عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ألغى الحكم العسكرى وتعين مكان الحاكم العسكرى حاكم مدنى يتبع وزير الداخلية الفرنسى، ثم عمل الأجانب فى الجزائر على بسط سلطانهم على إدارة الحكم فى البلاد، فاتهموا الإدارة الفرنسية بعدم فهم أحوال البلاد وعملوا على تحويل النفوذ الحكومى إليهم تدريجيا.

وفى عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م أعيد الحاكم العام الكثير من نفوذه وأنشئ مجلس أعلى للجزائر له سلطة تشريعية يعينه الحاكم العام وتتكون أغلبيته من الأجانب.

وفى عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م صار للجزائر ميزانية مستقلة يسيطر عليها الأجانب. ثم بدأ الاستعمار الفرنسى يعمل للقضاء على الروح الوطنية الجزائرية، فوقف ضد الدين واللغة والتعليم، وعارض التقاليد والعادات محاولا بكل جهده جعل الجزائر مقاطعة فرنسية. فأول ما أقدم عليه الاستعمار الفرنسى هو إلغاء الاوقاف الإسلامية وجعلها ملكا للدولة وبذلك

تحولت ادارة الأوقاف من إدارة لخدمة المنشآت الدينية والهيئات الخيرية الشعبية إلى إدارة لخدمة الأهداف الاستعمارية المناهضة للشعب. ولم يكن مبدأ فصل الدين عن الدولة إلا حديث خرافة في الجزائر.

ولم يكن للجزائريين حق المشاركة في المحاكم القائمة في الجزائر. وإنما هي من حق الأجانب فقط.

أما الجزائريون في البلاد القبلية فلم نظام العرف والتقاليد، ولم يعط للقضاء الشرعي الاسلامي حقه كما يجب أو كما كان عليه الحال من قبل.

التعليم في الجزائر في عهد الاستعمار:

أما التعليم فقد كان فرنسيا حيث جعلوا اللغة الفرنسية هي لغة البلاد لغة الوطن وفرنسا هي الوطن وتاريخ فرنسا هو تاريخ الوطن. وهكذا عمل الاستعمار على دمج الجزائر في فرنسا. وفي نفس الوقت عمدت فرنسا إلى وجود نظام التفرقة العنصرية في الجزائر ففي عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م قررت فرنسا منح يهود الجزائر صفة المواطنة الفرنسية كما عملت على إصدار قوانين أخرى بهدف إبعاد شعب الجزائر من دائرة الضوء في الحياة الاجتماعية لتصغير شأن الجزائريين.

وفي عام ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م أصدر الامبراطور نابليون مرسوما يسمح للجزائريين بشغل الوظائف العامة في بلادهم، مع حقهم في الحصول على حق المواطن الفرنسي بعد تقديم طلب التجنس مع التنازل عن الأحوال الشخصية للمسلمين.

وفي عام ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م بدأت الحركة الوطنية الجزائرية دورها

حين قام جماعة من الجزائريين هم : أحمد أبو درية المحامي والسيد صادق دندان والنائب المالي الحاج عمار. وطالبوا بوضع قانون نابليون لعام ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م الخاص بمساواة الجزائريين بالفرنسيين موضع التنفيذ. كما استعانوا بالعثمانيين لتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ومصطفى كامل في مصر من قبل.

وفي عام ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م قامت الحرب العالمية الأولى وقامت فرنسا بتجنيد الجزائريين لصالح الدفاع عن فرنسا وهنا نجحت المقاومة الجزائرية في الوقوف موقف المعارضة وانسحب المجندون الجزائريون وفروا للاحتباء بالجبال في الجزائر، بينما انضم آخرون للجيش العثماني.

وهنا لجأ الاستعمار الفرنسي إلى حيلة لجذب الشباب الجزائري إلى صفوف الدولة الفرنسية. ولذلك قامت فرنسا باصدار قانون يعطى للجزائريين حق انتخاب نوابهم في المجالس البلدية وذلك في عام ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م وفي نفس العام أيضا سافر وفد جزائري برئاسة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري لعرض قضية الجزائر على مؤتمر الصلح في باريس وفقا لمبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون والتي تعطي للشعوب حق تقرير المصير فلم ينتبه إليه أحد. ولما رجع عائدا إلى بلاده شكل كتلة النخبة من الجزائريين المسلمين، التي عملت على إصلاح الأحوال الاجتماعية وحق حصول الجزائريين على كافة الحقوق حتى عضوية مجلس النواب الفرنسي وطالبوا بوقف الهجرة إلى الجزائر.

وهنا قامت الإدارة الفرنسية بالجزائر بنفى الأمير خالد فسافر إلى مصر ثم تركها وسافر إلى فرنسا وهناك ألف لجنة أبناء الشمال الأفريقي. شارك

فيها مصالى الحاج الجزائري وعبد القادر بن الحاج على المراكشي. ونادوا بعقد مؤتمر عام لشمال أفريقيا وطالبوا فيه بحرية الصحافة والاجتماع كما أيدوا حركة الزعيم عبد الكريم الخطابي فقامت الحكومة الفرنسية بإلقاء القبض على الأمير خالد الجزائري وصحبه بتهمة إعادة تشكيل جماعة غير قانونية. إلا أن المحكمة أيدت عدم الحل للجماعة المغربية وأفرج عنهم وسمح لهم بممارسة نشاطهم.

كما أصدرت فرنسا قانونا في عام ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م ، أباحت فيه للجزائريين الحصول على الجنسية الفرنسية ثم وافقت على أن يكون للمسلمين ربع المقاعد في المقاطعات وثلاث المقاعد في المجالس البلدية. مع عدم الاشتراك في انتخابات العمدة أو نائبه.

وفي عام ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م ظهرت في الجزائر ثلاثة إتجاهات:

- ١- الاتجاه الكفاحي، ويعتمد على الطبقة العاملة والفلاحين.
 - ٢- الاتجاه الاصلاحي، ويستند إلى النواب المسلمين ممثلي الملاك والبرجوازية.
 - ٣- الاتجاه المعتدل، الذي نادت به جمعية العلماء
- وظل الكفاح الشعبي لتحرير الجزائر مستمرا في الاتجاهات الثلاثة ولم يسفر ذلك عن شيء.

أما الإتجاه الكفاحي، فقد ربط بين العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا وبين الحركة العاملة الفرنسية . وفي ظل تلك الجماعات ذوى الأفكار الثورية نشأت جمعية «نجم شمال أفريقيا» التي أنشأها الحاج عبد القادر

للدفاع عن المصالح الأدبية والاجتماعية لمسلمي أفريقيا. ثم تولى زعامة الجمعية «مصالي الحاج» وانفصل بها عن الحزب الشيوعي الفرنسي.

وفي عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م تقرر إنشاء حزب جزائري مستقل وتولى رئاسته جان شانترون المسمى ببارتل، وقد اكتسب هذا الحزب صفة محلية، ثم اسندت مناصب القيادة في الحزب إلى الجزائريين.

أما جمعية نجم شمال أفريقيا فقد طالبت باستقلال الجزائر. وتقدم الحزب الشيوعي الفرنسي بنفس الآراء وصار للجمعية والحزب برنامج واحد. وأعلنت الجمعية والحزب في عام ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م عن برنامج المؤتمر وهو:

١ - الاستقلال التام للجزائر.

٢ - انسحاب قوات الاحتلال.

٣ - إنشاء جيش وطني.

وفي عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م كان عباس فرحات والدكتور ابن جلول قد كونا «وحدة النواب الجزائريين» للمطالبة بتطبيق قانون عام ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م للمساواة بين الجزائريين والفرنسيين وحق الانتخاب للجزائريين، وعضد هذه الحركة بعض الفرنسيين الأحرار.

وفي عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م دعت الحركة الجزائرية إلى عقد مؤتمر جزائري برئاسة الدكتور ابن جلول للمطالبة بانتخاب الجزائريين لعضوية البرلمان وإلغاء قانون دينية الجائر والاعتراف باللغة العربية تطورت وتعارضت مصالح العمال الجزائريين والعمال من المستوطنين الأجانب

الذين حذروا الحكومة الفرنسية من سياسة تطبيق مبدأ المساواة القامة التي تنادى بها الحكومة بين الجزائريين والفرنسيين.

وفي ظل هذه الظروف قام عباس فرحات ومصالي الحاج بتشكيل «حزب الشعب الجزائري»، فعارضته فرنسا باعتبار أنه محاولة لإحياء جمعية نجم شمال أفريقيا الملغاة ثم تبين للقادة الجزائريين أن فرنسا غير جادة في تطبيق مبادئ العدل والمساواة التي نادى بها بالنسبة للجزائريين فرأوا القيام بحركة الكفاح الوطني بالالتحام التام مع الشعب بعيدا عن حكومة الاحتلال.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية في عام ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م أسرعت الحكومة الفرنسية باعتقال الزعماء الجزائريين وتوقفت حركة التحرير الجزائرية عن نشاطها. ثم عمل الفرنسيون على تجديد الجزائريين لصالح المجهود الحربي الفرنسي ووافق الزعماء الجزائريون وطلب عباس فرحات مقابل هذه الخطوة المساواة القامة بين الجزائريين والفرنسيين وقامت فرنسا بإجراء بعض الإصلاحات منها زيادة عدد المسلمين في الجمعيات المحلية وفي الدوائر الانتخابية ومنح صفة المواطن الفرنسي لنحو نصف مليون جزائري ولكن تلك الاجراءات التي نفذتها فرنسا تمت باعتبار أن الجزائر جزء من فرنسا، وهنا اجتمع الزعماء عباس فرحات ومصالي الحاج وكونوا «أصدقاء البيان والحرية، للمناداة بالجمهورية الجزائرية المتحدة مع فرنسا.

وبعد انتهاء الحرب في عام ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م قام الجزائريون برفع العلم الجزائري تعبيرا عن فكرتهم للقيام بدولة الجزائر المستقلة، فاشتبك معهم الفرنسيون في صراع دموي وأعلنوا الأحكام العرفية وقبضوا على

عباس فرحات وغيره من الزعماء الجزائريين وأعلنوا حل الأحزاب الجزائرية وقدموا للمحاكمة وأعدم بعضهم وحكم على البعض الآخر بالاشغال الشاقة.

ثم عادت الحكومة الفرنسية وأصدرت عفوا عاما وأفرجوا عن الزعماء الجزائريين.

خرج الزعماء الجزائريين واتفقوا على تأسيس حزب جديد هو الاتحاد الديمقراطي لوثيقة المطالب الجزائرية، برئاسة عباس فرحات. وحزباً آخر هو الحركة المناصرة للحريات الديمقراطية.

وفي عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م بدأ الجزائريون توحيد صفوفهم للكفاح المسلح وأعلنوا الثورة المسلحة لانتزاع استقلالهم بقوة السلاح من أيدي المستعمرين وتكونت جبهة التحرير الوطنية إلى انضم إلى جيشها جميع أفراد الشعب.

كما حدث في عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م أن أعلن زعماء الجزائر برئاسة عباس فرحات في أثناء وجودهم في القاهرة. انضمامهم تحت لواء جبهة التحرير الوطنية الجزائرية وقال عباس فرحات ان رجال جبهة التحرير الوطنية الجزائرية هم أصحاب الحق في المفاوضة إذ هم الذين يقاتلون دفاعاً عن الحرية وعن شعب الجزائر وأن جميع القوات المكافحة في شمال أفريقيا متحدة تحت لواء واحد ولن يكون هناك سلام أو مهادنة ولكن أصرار على الكفاح الذي فرض الاستعمار على الجزائر حتى تتحطم جميع القوات الاستعمارية الفرنسية أو تجلو عن البلاد. ونحن على استعداد لمفاوضة فرنسا باسم الجبهة، ونعلن الآن أن لنا شرطاً واحداً للمفاوضة وهو

أنه يجب على فرنسا أن تعترف بالوطن الجزائري،.

ثم بدأت هجمات الجزائريين المضادة تشتد على جنود الاحتلال التي ارتفع عددها إلى نصف مليون جندي في محاولة للقضاء على مقاومة الثوار الجزائريين.

ومع استمرار الثوار على مواصلة الجهاد ضد فرنسا بدأت تزداد قوة المقاومة الجزائرية، حتى أعلن أصحاب المصالح الفرنسية في الجزائر عجزهم مواصلة العمل في ظل المشاعر الوطنية الملهبة ضدهم.

وفي عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م أعلن الرئيس الفرنسي ديغول استعداداته لفتح مفاوضات مع الجزائريين للوصول إلى تفاهم على الائتلاف مع فرنسا وعلى فتح استفتاء للشعب الجزائري . وقبلت حكومة الثوار المفاوضات مع الفرنسيين.

وفتحت مجادلات أولى في ميلون في عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلا أن الجزائريين رفضوا شروط المفاوضات وطلبوا اجراء استفتاء في الجزائر بأشراف هيئة الأمم.

وهنا أعلن ديغول أن الجزائر للجزائريين وطلب المفاوضات ثم رفض الجزائريون البدء في التفاوض دون إعداد جدول أعمال مسبق.

وفي نفس عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م توجه عباس فرحات إلى موسكو لمقابلة الرئيس خروشوف، بقصد تشكيل جبهة لتأييد القضية الجزائرية في عمل استفتاء وفعلا تم في نهاية عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م تم الاتفاق على فتح استفتاء في الجزائر إلا أن فرنسا رفضته.

وفي بداية عام ١٢٨١هـ / ١٩٦١م ناقش مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في بغداد مكونا من مصر والعراق وتونس والمغرب وليبيا والأردن والسودان وحكومة الجزائر المؤقتة وأصدر قرار تضمن مد حكومة الثوار الجزائرية بالمال والسلاح والمتطوعين وتقديم كافة التسهيلات لصالح الثوار الجزائريين.

وفي نهاية عام ١٨٣١هـ / ١٩٦١م طلبت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة إلى حكومة فرنسا والجزائر العودة لاستئناف المحادثات لتحديد حق الشعب الجزائري في الوحدة وعدم تجزئته.

وفي عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ توقف القتال بين قوات الاستعمار الفرنسي وقوات جبهة التحرير الجزائرية رسميا بعد عقد اتفاقية سرية في ايفيان السويسرية واطلق سراح بن بيلا ورفاقه الأربعة الذين اعتقلتهم فرنسا في حركة طيران باسلوب القرصنة وتضمنت الاتفاقية اعتراف فرنسا بحق الجزائر في الاستقلال وتقرير المصير. والاعتراف للشعب الجزائري بحقوق السيادة على أراضيه، مع تكوين فرقة بوليسية من ستين ألف عسكري مسلم لصالح الأمن في زمن وقف إطلاق النار والاستفتاء مع تشكيل هيئة مكونة من اثني عشر شخصا لتولي سلطة الحكم في الجزائر خلال تلك الفترة.

وقد اعترف الحكومة الفرنسية صراحة بأن الصحاري جزء من الجزائر وهناك فقد تخلت عن فكرة ضم الصحاري الجزائرية نهائيا إلى الممتلكات والأراضي الفرنسية. وبذلك احتفظت الجزائر مع حق الاستقلال بوحدة أراض الوطن. وكان هذا تحقيقا للمطالبين الأساسيين اللذين أيدتها الأمم

المتحدة في دورتيها السابقتين لاتفاق ايفيان وهما الاستقلال وحدة التراب
الجزائري.

وقد تضمن نص الاتفاق الذي تم توقيعه بين الحكومة الجزائرية
المؤقتة والحكومة الفرنسية كما أذاع رئيس الوفد الجزائري في المفاوضات
أن وقف إطلاق النار يضع حدا للعمليات العسكرية في القتال المسلح في
شты أنحاء الجزائر ابتداء من اليوم وأن الضمانات الخاصة بتقرير المصير
وتنظيم السلطة العامة في الجزائر أثناء فترة الانتقال، قد حددت في اتفاق
مشترك. وأن قيام دولة مستقلة، أمر يتفق مع الحقائق الثابتة عن القطر
الجزائري.

وفي ربيع أول ١٣٨٢/٢٧ أبريل من عام ١٩٦٢ صدر قرار تشكيل
الحكومة المؤقتة للجزائر وأعضائها. وتعد اتفاقية ايفان نصرا سياسيا عظيما
للشعب الجزائري كما أنها تضع حدا للنظام الاستعماري والسيطرة الأجنبية.

وهكذا عادت إلى الجزائر السيادة والاستقلال ، إلا أن المعركة لم تنته
بانتهاء الحرب، بل لابد من دعم وتقوية الانتصارات التي تحققت بفضل
النضال المسلح والعمل الجاد المستمر لبناء الدولة والمجتمع.

لقد تحررت الجزائر من الاستعمار ومن العهد الاقطاعي ولابد من
التغيير الجذري للمجتمع. لقد كان الاستعمار الفرنسي غزوا سكانيا استغلاليا
استمر مدة قرن كامل.

الجزائر بعد الاستقلال:

لقد واجهت الحكومة الجزائرية المستقلة مهام مطلوب منها القيام بها.

وهو خلق دولة ذات سيادة ولها اقتصادها ولها ثقافتها القومية، وفي سبيل تنفيذ ذلك لابد من القضاء على التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية التي ولدها الاقطاع وعلى مخلفاته وبناء هيكل وتنظيم جديد يساعد ويضمن تحرير الأرض وممارسته لجميع حرياته.

وفي ظل نظام ديمقراطي سليم يستند إلى إدارة الشعب ورقابته المستمرة مع تضافر كافة طبقات الشعب بكل فئاته . كما أن الاهتمام باللغة العربية التي هي التعبير الصادق عن قيمنا الثقافية ودعم فعاليتها مع إحياء التراث الاسلامي للبلاد الجزائرية، وإنماء روح البحث العلمي في كافة الاتجاهات وذلك لتقوية الشخصية الجزائرية مع مسيرة حركة التاريخ دون قطع الصلة بالماضي، فطاقة الشعب الجزائري طاقة عظيمة وجبارة.

أن أول ما تتطلبه التنمية الاقتصادية في البلاد، الابتعاد عن فكرة الاحتكار، وذلك بتأسيس علاقات تجارية مع الخارج مع الاتجاه إلى التصنيع وبتوجيه اقتصاديات البلاد بأسلوب التخطيط الحديث مع مساهمة القوى العاملة في إدارة الاقتصاد وفقا للإمكانيات القائمة.

إن اتفاق ايفيان بسويسرا في شوال ١٣٨١هـ / ١٩ مارس ١٩٦٢م يعد أول وثيقة رسمية تعترف بها فرنسا بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وفي صفر عام ١٣٨٢هـ / يوليو ١٩٦٢م أجرى استفتاء على تقرير المصير وأعلن شعب الجزائر تمسكه بالاستقلال التام وبدأ عملية بناء الدولة الجزائرية العربية التي انضمت لجامعة الدول العربية وللأمم المتحدة وأصبحت تتمتع بمكانة هامة في المجتمع الدولي.

الفصل الثالث

المجتمع الجزائري

* السكان

* الدين

* التصوف

سكان المغرب الأوسط (الجزائر):

يتألف شعب المغرب الأوسط (الجزائر) من عنصرين هما العرب والبربر. والبربر شعب عاش في شمال إفريقيا كلها منذ القدم ثم انحسر بعد ذلك عن الشرق وتركز في الغرب من برقة إلى المغرب، وهذا الشعب كثير التفرع والانتقال والتداخل بحيث لم يعد من الممكن ربط أشقائه سواء في الجنس أو الأصل أو اللغة أو التقاليد والعادات. وهو يكثر عمادة في الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها.

أما العنصر العربي فقد انتقل إلى هذه البلاد في صدر الإسلام وإن كان هذا الانتقال محدودا لا يتجاوز الجند ولم تحدث هجرة بالمعنى الصحيح إلا بعد أن انتقل الفاطميون من المغرب إلى مصر وانقطعت دعوتهم من هذه البلاد فشجعوا أربعة من أعظم القبائل إلى الانتقال إلى أراض المغرب، ويتألف العنصر العربي أيضا من العرب الذين هاجروا من الأندلس إلى هذه البلاد بعد أن أجلاهم الأسبان عنها.

وليس هناك فاصلا واضحا المعالم بين هذين العنصرين فالامتزاج بينهما مستمر وهو يتم بسهولة ويسر وقد امتزجا امتزاجا كاملا بحيث لا يمكن التفريق بينهما فالجميع يتحدثون باللغة العربية ويدينون بدين واحد هو الإسلام، وإن كانت بعض القبائل البربرية التي تسكن الجبال تحتفظ بلهجتها البربرية بعض الشيء إلى جانب اللغة العربية.

وإذا كانت الهجرة الهلالية قد ساعدت على اكتمال حركة التعريب، فإن الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قد أدخلت إليها الزراعة المتطورة والصناعات الحديثة مثل صناعة النسيج والأقمشة المختلفة وصناعة

السجاجيد والصناعات اليدوية وهي قديمة في نشأتها ثم زادت إزدهارا كالحدادة والنجارة والدباغة .

كما أفادت تلك الجماعات المهاجرة من العلماء والأدباء في الحياة العلمية والأدبية الجزائر، وكان من بينهم كثير من اليهود الفارين من الاضطهاد الأسباني .

على أن العهد العثماني حين دخل الجزائر ، جاءت معه أجناس شتى من أنحاء الدولة العثمانية ومن الأسرى الذين جمعتهم أعمال القرصنة البحرية بالآلاف من أنحاء البحر المتوسط وكثيرون منهم دخلوا في الاسلام وسرعان ما اندمجوا في شعب الجزائر وقد عادت إليهم حريتهم وحينئذ صاروا من أهل البلاد دينا ولغة .

هذا بالإضافة إلى العناصر القديمة التي عاشت في الجزائر من أفريقية وآسيوية وأوربية واندمجت مع أهلها من البربر وهؤلاء مثل الفينقيين والرومان والوندال والبيزنطيين ثم العرب والعثمانيين وجميعهم تصهرهم الصقة الجزائرية حتى يستحيل تمييزهم في أغلب الأحيان فلم يعودوا يذكرون شيئا عن أصلهم الحقيقي أو لغتهم أو عاداتهم .

المعيشة:

المغرب الأوسط (الجزائر) بلاد زراعية بطبيعتها ويرجع ذلك إلى صلاحية طقسها ووفرة أمطارها ، كان أساس المعيشة في الجزائر الزراعة والرعى وقد احتلت حرفة الزراعة والرعى مكانة هامة في الإقتصاد الجزائري حيث يوجد أغلب أنواع الحيوانات في الجزائر من غنم وماعز

وبقر وابل وغير ذلك. وتصدر الجزائر كميات هائلة من الأغنام.

المدن الساحلية:

ويمتاز السهل الساحلى للجزائر حيث توجد مدينة عنابة بالقرب من مصب نهر سيبويه التى يكثر بها العناب حتى سميت باسمه، ويصدر بعد تجفيفه .

كما تنتج القمح والشعير والكتان والفواكه والعسل وجميع أراضيها صالحة لزراعة الحبوب وخاصة القمح . وتملك القبائل بهذه المدينة الكثير من الأبقار ، والثيران والأغنام.

وتقع جيجل غرب عنابة ويزرع بها الشعير والكتان والقنب وبها شجر الجوز والتين، وتليها غربا بجاية وبها كثير من القمح والشعير والتين وكثير من أنواع الفواكه الأخرى.

وتلى بجاية غربا الجزائر ويسكنها بنو مزغنة وأقاموا بها المباني والعمائر والدولة الزيرية فى العهد الفاطمى . ويزرع بها أجود أنواع القمح وتكثر بها الأشجار والبساتين.

وغرب الجزائر توجد شرشال ويزرع بها الكرم والتين والسفرجل . وهى من المدن التى عمرها المهاجرون الأندلسيون فى نهاية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى . وبلى شرشال مدينة تنيس ويزرع بها القمح والسفرجل وتنتج العسل، وقد عمرها أيضا الأندلسيون مثل المدن الأخرى التى نزلوا بها عقب خروجهم من الأندلس.

وأخيرا مدينة وهران ، وكانت مدينة صغيرة قلما دخلها الأندلسيون

المهاجرون انتشر العمران وكثرت بها البساتين والحدائق وأنواع كثيرة من البقر والغنم.

أما المدن التي بالداخل فتوجد جنوب عنابة مدينة قالمة وهي غنية بالأبقار المميزة عن غيرها من الأنواع الأخرى ويلي ذلك مدن نقاوس وقسنطينة وميله والمسيلة وطنجة عاصمة إقليم الزاب الأعلى وبغاية وبسكرة وتقع في أشهر الواحات الجزائرية وكانت تسمى قديما فسكرة وعلى مقربة منها استشهد عقبة بن نافع ويكثر بها النخيل والزيتون وتعد التمور التي تنتجها بسكرة من أجود أنواع التمور في العالم.

وفي الشمال الغربي من الجزائر توجد تاهرت وكانت عاصمة الدولة الرستمية الأباضية، وجميع تلك المدن عامرة بأنواع المزروعات المثمرة من الحبوب والفاكهة والأنعام والذيل.

كما عرفت المدن الجزائرية بالصناعات اليدوية كالحدادة والنجارة والحياسة. أما المدن الساحلية مثل بجاية فكان بها دار لبناء الأساطيل والسفن، وقد ساعد على هذه الصناعة وجود الغابات التي امتلأت بها الأودية والجبال في جنوب البلاد.

كما كان يوجد بها الحديد وغيرها من المواد اللازمة لصناعة السفن كذلك اشتغل سكان المدن الساحلية الجزائرية بصيد السمك والحياتان. وهذا الانتاج الزراعي الصناعي البحري هو الذي مهد لبلاد المغرب الأوسط (الجزائر) للتصدير لمنتجاتها إلى أنحاء العالم المختلفة مثل أوربا شمالا ومصر والشام وتركيا شرقا وإلى الجنوب الأفريقي في السودان الغربي وغانه والسنغال.

الفنون:

عرف الجزائريون الموسيقى فى أشكالها البسيطة وعرفوها أكثر بعد الهجرة الأندلسية إلى الجزائر فقد اشتغل الأندلسيون بالموسيقى وبرعوا فيها حتى أنهم عرفوا «النوتة» وهى الأنغام الموسيقية المسجلة قبل أن يكتشفها الأوربيون^(١)

كما عرف الجزائريون الموسيقى التركية فى العهد العثمانى وهكذا تشكلت الموسيقى الجزائرية خاصة بعدما استخدم الجزائريون العديد من الآلات الموسيقية مثل الناي والعود والمزمار.

الدين:

دخل المسلمون المغرب الأوسط (الجزائر) وهدفهم الأساسى من الفتح فى بلاد المغرب هو نشر الاسلام وإيضاح الطريق أمام سكان البلاد الأصليين الذين وقعوا تحت سيطرة البيزنطيين ليتعرفوا على الاسلام ومبادئه. كما كان يوجد من هو على دين المجوسية وعرفوا كذلك اليهودية مثل قبيلة جراوة أهل جبال أوراس. لقد بعث الخلفاء الأمويون بالعلماء الذين كان لهم دور بارز فى تعليم البربر قواعد الاسلام.

كما حرص القادة والولاة على بناء المساجد والزوايا وتجديدها لأداء المسلمين شعائرهم ولتلقى العلم ومعرفة أمور الدين.

ولم يكد ينتهى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى إلا وقد أسلم البربر وصار المغرب اسلاميا وشارك غيره من أقطار العالم الاسلامى فيما

(١) تاريخ دولتى المرابطين والموحدين. دكتور محمود السيد . ص ١٣٠ ط اسكندرية.

ظهر فيه من أفكار ومذاهب فظهرت الفرق الإسلامية من خوارج ومعتزلة وشيعة وغيرهم وجدت في أرض المغرب مكانا صالحا لإعلانها بين السكان فبجانب المذهب المالكي، وكان هو الملجأ الذي احتوى به سكان المغرب ضد التيارات المذهبية والانحرافات الدينية إلا أن المذهب المالكي ظل هو المذهب الذي لاتحيد عنه جميع البلاد العربية.

لقد وجد دعاة المذاهب الخارجية في أرض المغرب فرصة لنشر مبادئهم بعيدا عن أعين الرقباء، إذ أنهم تمادوا في خططهم حتى اتخذوا من الثورات والكفاح المسلح طريقا لتحقيق أهدافهم فظهر دورهم المؤثر في البلاد. وذلك مثل الأباضية والصفورية الذين تحالفوا بقصد توجيه ضربات موجعة للعباسيين. ومن هؤلاء الخوارج.

الاباضية:

هم أتباع أقدم فرقة في الإسلام وقد نشطوا أواخر عهد علي بن أبي طالب وتولية معاوية الخلافة. وأحدثوا اضطرابات كثيرة في الدولتين الأموية والعباسية، وقد رلبعضهم النجاح في فترة من الزمن.

نادت الأباضية مثل بقية الخوارج بأن الخلافة - أو إمامة المسلمين - لا يصح أن تقتصر على قريش، بل تتولاها أفضل المسلمين تقوى وعدالة ولو كان عبدا حبشيا، ونازعوا الخلفاء وتأسست لهم دولة في المغرب الأوسط في تاهرت في شمال غرب الجزائر، قامت على المذهب الأباضي واستطاع مؤسسها عبد الرحمن بن رستم موادة صاحب القيروان روح بن قبيص في عام ١٧١هـ / ٧٨٧م واستمال البربر وتمكن ابن رستم من استمالتهم إلى الإسلام وفرض عليهم الضرائب ثم بسط سلطانه على بقية

للقبائل واستكمل بناء عاصمته وأرسى قواعد نظم الدولة وتوطد سلطانه حتى استقرت وقرئت.

وكان سياسيا قديرا جمع القلوب حوله فى يسر وسهولة.

من نظم الأباضية مجلس العزابة ويؤسس فى كل مدينة أو منطقة غالبيتها أباضية، وجعل لكل جماع رئيس ينتخبونه بمن عرف بحسن الخلق والتمسك بالتعاليم الأباضية، فجعل منهم القضاة للحكم فى المنازعات، ومنهم شيوخ لتعليم المذهب الأباضى، وجعلوا مجالسهم سرية، ولغتهم مبهمة للاحتفاظ بالسرية للمذهب، وكان منهم مشرفون على المساجد والمساجد الجامعة للمتابعة فى تطبيق المذهب الأباضى.

ويعملون على نشر الوفاق بين الناس فى المجتمع عن طريق النصح والارشاد، والعمل لمساعدة الأغنياء للفقراء وكان منهم من يراقب الأسواق ويدعو إلى الإستقامة فى التعامل فى الأسواق.

كما كان للأباضية مدارس خاصة بهم وللمدرسة شيخها المسئول عن تدبير أمورها. كما ساعدت الأباضية على نشر اللغة العربية بين السكان. وعملوا على تعليم القرآن وعلوم التفسير والحديث، كما قام أصحاب المهن والحرف من الأباضيين وخاصة التجار بدور هام فى نشر الاسلام فى البلاد الإفريقية فى جنوب الصحراء.

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى قضت الدعوة الشيعية على الأباضية فى تاهرت.

الزهد والتصوف:

عرفت الجزائر التصوف كما عرفت سائر البلاد الإسلامية وهو مذهب أخلاقي اجتماعي نفسي له منشؤه وتاريخه وأسلوبه وطريقته، وفائدته تهذيب النفوس وطهارة الصدور وحسن الخلق وهو لا يخالف شريعة الإسلام ولا يناقض مآتم عليه إجماع الأمة من أصول، وهو لا يبتدع في الإسلام مبادئ ليست منه، ولا يوضح شروط الدخول في التصوف يكشف عن هذا الحوار الذي وقع بين أبي العتاهية وابنه.

دخل أبو العتاهية على ابنه وقد تصوف فقال له: ألم أكن نهيتك عن هذا؟ فقال: وما عليك أن أعود الخير وأنشأ عليه؟ فقال له: يا بني يحتاج المتصوف إلى رقة حال وحلاوة شمائل، ولطافة معنى. وأنت ثقیل الظل، مظلم الهواء، راكد النسيم، جامد العينين، فأقبل على سوقك فإنها أعود عليك.

والذين أشاعوا الزهد والتصوف في الجزائر هم الوعاظ في أيام الجمع بالمساجد وكانوا يدعون إلى الزهد في الحياة وطلب القناعة والكفاف. وانتشرت أماكن العبادة فبنوا الرباط والزوايا في الثغور لحماية البلاد من القراصنة.

كما انتشرت في داخل البلاد وفي الواحات وعرف المغرب الأوسط (الجزائر) الطريقة القادرية التي نادى بها الشيخ عبد القادر الجيلاني وهي طريقة سنية.

كما عرف في الجزائر الصوفي أبو مدين شعيب، وهو من العلماء الذين قدموا في الهجرة الأندلسية إلى الجزائر منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وعاش ببجاية وانتشرت بها طريقته الصوفية وتوفي

بتلمسان.

وفي العهد العثماني كثرت اتباع التصوف لاهتمام الحكام العثمانيين بهم والتعاطف معهم وزيارتهم.

كما عرفت الجزائر الطرق الصوفية التي عرفها العثمانيون في بلادهم مثل البكداشة والنقشبندية والمولوية اتباع جلال الدين الرومي، ثم انتشر التصوف في أنحاء الهضاب والصحاري الجزائرية.

الباب الرابع

المغرب الأقصى

المغرب الأقصى منذ الفتح العربي إلى قيام المملكة المغربية

• الوصف الجغرافي

• الفتح العربي بالمغرب الأقصى

• الحركات الثورية في المغرب الأقصى

• الصفرية

• الأدارسة

• المرابطون

• الموحدون

• بنو مرين

• بنو واطس

• السعديون

• العلويون

• الاستعمار الأوربي في المغرب الأقصى

• هزيمة الاستعمار واستقلال البلاد

يقع المغرب الأقصى في شمال غرب أفريقيا يحده شرقا بلاد الجزائر وغربا المحيط الأطلسي وشمالا مضيق جبل طارق والبحر الأبيض المتوسط من حدود الجزائر إلى طنجة، ثم ينحرف الساحل جنوبا في خط هلالى مع المحيط الأطلسي ثم يمتد من طنجة حتى حدود الصحراء في أقصى الجنوب.

ويمتد من داخل البلاد سلسلتان من الجبال سلسلة جبال الريف، وهى متوسطة الارتفاع وتمتد في شكل هلالى بين مدينة طنجة، ويطلق اسم الريف، على القسم الشرقى منها. وتبلغ هذه السلسلة أقصى ارتفاعها فوق سطح البر عن جبل «تدغين»، وسلسلة الريف امتداد لجبال جنوب أسبانيا وهى منفصلة عن سلسلة جبال أطلس.

ثم سلسلة جبل أطلس المعروفة، وهى أكثر ارتفاعا من سلسلة الريف، ويفصل بينهما «مرتازة»، ومجموعة جبال أطلس ثلاثة سلاسل وتمتد من سيرت إلى شاطئ المحيط الأطلسي مخترقة شمال أفريقيا كله. وهى:

١ - الشرق الكبير ويخترق المغرب من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى وهذا الجزء يمثل أقصى ارتفاعا فى السلسلة الجبلية للمغرب. وتغطى قمة الثلوج طوال العام.

٢ - الأطلس المتوسط: ويتجه محاذيا للنصف الأعلى من الأطلس الكبير حتى يقترب منه عند منتصفه عند منابع نهر الملوية، وهو شاهق الارتفاع.

٣ - الأطلس الصغير: ويفصل عن الأطلس الكبير عند جبل سروعة من

الشاطىء، وهو فاصل بين الأطلس الكبير والصحراء وهو شامق الإرتفاع، وتفصل سلاسل الأطلس الجبلية بين غرب البلاد وشرقها، ويصل ممر نازة بين الجهتين ولكنها تفصل الشمال عن الجنوب. بينما تربط بينهما الأودية والفجوات.

وتعد بلاد المغرب الأقصى أكثر البلاد بالمياه والأنهار إلا أن عدم وجود سدود لاختزان المياه يفقدها الكثير من المياه التي يتعذر الاحتفاظ بها.

أما الأنهار التي بالمغرب الأقصى فهي:

أنهار تصب في البحر الأبيض المتوسط ومنها نهر الملوية وينبع عند التقاء الأطلس الكبير والأطلس المتوسط وتغزر مياهه في الربيع، ويستخدم النهر للملاحة قرب المصب.

وأنهار تصب في المحيط الأطلسى. ويعد نهر «سبو» الذى ينبع من فاس ويصب في المحيط الأطلسى شمال مدينة سلا ونهر «أم الربيع» وينبع من جنوب «سبو».

وهناك أنهار تلحد جنوبا وتصب في جوف الصحراء وهى تنبع من سلسلة جبال أطلسى كذلك.

أما مناخ المغرب الأقصى فهو مناخ البحر الأبيض إلا أنه يختلف من مكان لآخر وذلك بسبب السلاسل الجبلية والسواحل الشمالية والغربية وكذلك الصحراء التى فى جنوب البلاد.

فهو عند شاطىء المحيط معتدل صيفا بارد شتاء شديد الرطوبة، والفرق

عال في درجة الحرارة بين الليل والنهار. كما تكثر الزوابع في الصيف، ويشتد برد في الشتاء، وعلى الرغم من كثرة الأمطار إلا أنها غير منتظمة.

وتكثر الأمطار في الغرب وتقل في اتجاه الداخل نحو الشرق. ويضعف كذلك تأثير المحيط الأطلسي على المناخ في الداخل.

بينما تتحكم غابات السنديان والأرز المنتشرة في تلك المناطق. وتأتي الرياح من الشمال والغرب محملة بالأمطار بينما يأتي من الجنوب والشرق الرياح الحارة. والجو عموما حار صيفا بارد شتاء.

السهول والوديان:

يتكون السهل الغربي من سهول متسعة تمتد من الرباط إلى مراكش وهي سهول «الشاوية» ودكالة وتادله وعبيده والحوز، وهي منطقة حافلة بالمروج والحقول والمزارع لخصوبتها الوفيرة وجودة الأرض.

أما السهل الشمالي، فيقع بين السهل الغربي وسلسلة جبال الريف، ويسير نهر سبو في الطريق ما بين فاس في الداخل والمهدية على ساحل المحيط، ويمتد غربا حتى يشمل ممر تازة وسهل الملوية، ثم يستمر غربا حتى الحدود الجزائرية، وتوجد بالسهل الشمالي بعض الهضاب.

ويوجد به إقليم وجده والملوية والغرب وسائس.

أما منطقة السوس فتقع في الجنوب الغربي من ساحل المحيط وهي منطقة صغيرة محصورة بين جبال أطلس العليا وأطلس الخلفية وساحل المحيط.

أما الوادى الذى يجرى فيه نهر الملوية فى منطقة شرق المغرب، فتمتد حتى الحدود الجزائرية. وتوجد منطقة درعة وتافيلالت عند جنوب السلاسل الأطلسية وهى ساحل عمرانى، وفى الجنوب منها صحراء قاحلة وتتخللها بعض الواحات.

السكان:

يتألف الشعب المغربى من عنصرين هما العرب والبربر، والبربر شعب عظيم عاش فى شمال أفريقيا منذ القدم، فالبربر هم العنصر الأصل، الذى عاشت قبائله وبطونه وعشائره فى المغرب وسواحله وسهوله وهضابه ووديانه من برقة إلى المحيط الأطلسى، وهم أفريقيون حاميون وتنقسم شعوبهم إلى قسمين البتر والبرانس وهما من أصل واحد، وترجع فكرة التقسيم إلى أساس اجتماعى فغالبية قبائل البتر تعيش حياة أقرب إلى البداوة على عكس معظم البرانس فهى قبائل عاشت حياة حضارية مستقرة.

وهذا هو الفرق بينهما.

وقد تفرعت قبائل كل قسم منها إلى قبائل عدة وخرجت من كل قبيلة بطون عديدة تداخلت بعضها ببعض واختلطت أنساب بعض القبائل بحيث تكون بترية أحيانا وأحيانا برانسية.

أما العنصر العربى فقد انتقل إلى هذه البلاد فى صدر الاسلام انتقالا محدودا... فلم تحدث هجرة حقيقية إلا عندما انتقل الفاطميون من المغرب إلى مصر وضعفت دعوتهم بالمغرب، فدفعوا بقبائل بنى هلال وسليم على الهجرة من مصر إلى المغرب، كما جاءت هجرة ثانية من الأندلس إلى

المغرب. كما حضرت جماعات عربية من البلاد الحجازية.

وجميع تلك الفئات العربية امتزجت مع العنصر البربري حتى تغير البربر تغيرا عظيما لاختلاطهم بالعرب حتى ليستحيل تمييزهم في أغلب الأحيان فهم لم يعودوا يذكرون شيئا عن أصلهم الحقيقي أو لغتهم أو عاداتهم فالجميع يتحدثون باللغة العربية، ويدينون بدين واحد هو الإسلام.

المدن الهامة:

الرباط:

تقع على ساحل المحيط الأطلسي. وهي تتميز بحضارة رفيعة، بناها يوسف بن عبد المؤمن في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، فجعلها رباطا لحشد الجيوش والأساطيل لغزو الأندلس واكمل بناءها يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن.

الدار البيضاء (آف):

تقع على ساحل المحيط الأطلسي، فتحها عقبة بن نافع عام ٦٢٢هـ / ٦٨١م واطلق عليها اسم الدار البيضاء في العهد التالية ويحيط بها زروع كثيرة ويزرع بها الحبوب، وتعمرها الجوامع والفنادق.

فاس:

تقع في منطقة جبلية بين منطقتي الأطلس والريف وتغمرها الغابات وبها اشجار البرتقال والتين وأكثر السكان في مدن الساحل صيادون وفلاحون، والجبال قليلة السكان، وشغلت دورا كبيرا في العصور الاسلامية

وتعتبر إحدى المراكز العلمية الإسلامية الكبيرة.

أنشأ بها أدریس الثانی جامعة القرویین عام ١٩٢هـ / ٨٧٠م وهی أقدم للجامعات الإسلامية. ودرس بها كثير من زعماء الحركة الوطنية بالمغرب الأقصى. حافظت على التراث الإسلامي لما جمع بها من نفائس الكتب والمخطوطات العلمية القيمة.

مراكش:

أسس يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين مراكش عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م في السهل الذي يقع شمالي أغمات وجعلها عاصمة للدولة وعمرها ببناء المسجد الجامع وأعقب ذلك البناء المخصص لإدارة شئون الحكيم وما إلى ذلك من مدارس وصناعات. ثم أتمها من بعده الخليفة عبد المومن الموحدي الذي بنى بها عدة مآثر من بينها مسجد الكتبية الذي بنى منارته الشهيرة الخليفة يعقوب المنصور الموحدي.

وقد لعبت مراكش دورا هاما في تاريخ المغرب العربي منذ عهد المرابطين ومن بعدهم الموحدين ثم السعديين. فقد صارت عاصمة المغرب الجنوبية وبلغت شهرة عالمية.

طنجة:

تقع طنجة في الشمال الغربي من منطقة الهبط وهى أهم مدنها، بين المحيط الأطلسي والبحر الأبيض في مواجهة الشاطئ الأسباني. وكانت طنجة مركزا للتجمع العسكري العربي المغربي منذ عهد طارق بن زياد حتى عهد الدولة المرينية.

تطوان:

وتقع على البحر المتوسط شمالاً لشرق في منطقة الهبط التي تكثر فيها المجارى النهرية المائية وهي أرض خصبة وافرة الانتاج. يعمر فيها السكان بالسهول والوديان تم بناؤها في عهد يوسف المرينى عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م ونزلها الأندلسيون في أيام هجرتهم من بلاد الأندلس فعمروها وأصلحوا مراققتها.

الحياة الاقتصادية:

الزراعة: تمتاز المغرب بجودة الطقس وغزارة الأمطار وكثرة الأنهار فلذلك أرضها جيدة وزراعتها ممتازة إلا أنها تفتقر إلى بناء خزانات وسدود للاستفادة من مياه الأمطار التي يتعذر التحكم فيها فتتسرب إلى البحر دون الاستفادة بها في الزراعة.

كما الزراعة تحتاج إلى تطويرها واستخدام الوسائل الحديثة في الري ويعمل غالبية السكان بالزراعة وتكثر أشجار الزيتون في مناطق طنجة وفاس ومكناس وتادله ومراكش.

كما تكثر أشجار اللوز في سفوح الجبال الشمالية بالمغرب. وتكثر أشجار النخيل وأشجار التين في تارودانت وتافيلالت ومراكش.

وتنتشر في بلاد المغرب اشجار البرتقال والليمون واليوسفى وأشجار الجوز والمشمش والبرقوق والتوت.

أما مناطق فاس وشمال الأطلسي ومراكش وسوس فتكثر فيها زراعة العنب ويشغل مساحات شاسعة في هذه المناطق.

الغابات:

تشغل الغابات مساحات شاسعة في بلاد المغرب ومن أشهر اشجارها السنديان والبلوط والصنوبر والعرعر والسرور والسندروس وتوجد في اقاليم كتامة والمعمورة والحرشة وويلماس وباب الأزهار وتستخدم منتجات الغابات محليا كما يصدر منها كميات كبيرة.

الثروة الحيوانية والسمكية:

تعد الماشية من المصادر الهامة لاقتصاد البلاد المغربية من البقر والغنم والماعز ويصدر المغرب كميات كبيرة من الأغنام.

الثروة السمكية:

تمتد شواطئ المغرب الأقصى مئات الكيلومترات ، فتطل شمالا على البحر الأبيض المتوسط وغربا المحيط الأطلسي . وتشتهر بتنوع أسماكها وخاصة مناطق الخلجان .

الثروة المعدنية:

تشكل المعادن قسما مهما من الصادرات المغربية . ويوجد بأرض المغرب الأقصى من المعادن الزنك والرصاص والحديد والمنجنيز والفحم والفوسفات . وتجرى عمليات التنقيب عن المعادن وخاصة الفوسفات الذي يتطور استخراجها بشكل مستمر ويصدر منه كميات وفيرة .

وفي جنوب مدينة وجده يوجد الفحم في منجم حرادة ويصدر منه لأوربا .

كما يصدر الحديد الذى يستخرج من مناجم خنيفرة والسوس وتيفلت
والسهل المغربى ومناطق الشرق إلى أوربا.

أما مناطق الأطلسى فيوجد معدن الزنك كما يوجد معدن المنجنيز
والكوبلت فى أبو عرفة وأبو عزاز وفى مراكش ويوجد فى المغرب من
الكوبلت قدر سدس مافى العالم.

كما يوجد فى بلاد المغرب القصدير والجرانيت وحجر الملح والرخام
والجبس والكبريت.

الصناعة:

عرف المغرب الأقصى الحرف اليدوية منذ القدم منها الحدادة والنجارة
والدباغة وصناعة السجاد والجلود والأوانى والأقمشة المختلفة والصناعات
الكيمائية.

التجارة:

ازدهرت التجارة فى البلاد المغربية مع أوربا وتركيا ومصر والسودان
والسنغال وغيرها من دول شمال أفريقيا، وتتكون الصادرات المغربية من
المنتجات الزراعية والحيوانية والمعدنية وأهمها الفوسفات والجلود
والصناعات اليدوية.

الفتح العربي للمغرب الأقصى:

قام عقبة بن نافع في ولايته الثانية في عام ٦٢هـ/٦٨١م بعمليات عسكرية كبيرة فبدأ بالمغرب الأوسط واستولى على ماكان بأيدي البيزنطيين من القلاع والحصون باقليم الزاب وسار إلى المغرب وأذعنت له قبيلة غمارة في شمال المغرب الأقصى بالريف والهبط وانقادت لسلطانه وأخضع ويلي في منطقة فاس.

وسار إلى قبيلة مصمودة في مناطق مراكش وواجه جزوله وخضعت له جميعها حتى صار في بلاد السوس وهي آخر معاقل البربر في بلاد المغرب الأقصى يرفع راية الاسلام، وفي ماسة التي على ساحل المحيط الأطلسي عمد إلى فرسه فضرب بأرجل فرسه في الماء وأعلن أنه قد بلغ أقصى مايسطيع من أرض الله ليرفع راية الاسلام ودعوة التوحيد المحمدية.

لذلك يعد عقبة بن نافع القائد الحقيقي الذي فتح بلاد المغرب الأقصى.

وفي عام ٦٩هـ/٦٨٨م تولى حكم المغرب الأقصى زهير بن قيس وتمكن خلال معاركه مع البربر من هزيمة كسيله ثم تولى حسان بن النعمان حكم المغرب في عام ٧١هـ/٦٩٠م وهو الذي دون دواوين الجند والخراج والرسائل وطارد الروم في عقر دار عاصمتهم قرطاجة وأنشأ مدينة تونس وجعلها قاعدة للأسطول.

كما بنى دار صناعة للأسطول الاسلامي. وحارب الكاهنة وهزمها

وقتل في المعركة. ثم استطاع بسياسته الرشيدة مع البربر أن يستميلهم إلى الاسلام وينتظموا في صفوف جيش المسلمين، وساوى بين العرب والبربر في المعاملة فانجذبت قلوب البربر إلى الاسلام، ونتج عن تلك السياسة انتشار الاسلام بين أفراد شعب المغرب الأقصى. ولما تولى موسى بن نصير حكم بلاد أفريقيا والمغرب في عام ٨٦هـ / ٧٠٥م بعث بالحملة العسكرية إلى مختلف أنحاء المغرب ثم بعث من يعلمون الناس مبادئ الاسلام، واتجه بعد ذلك شمالا إلى طنجة، كما اتجه جنوبا إلى بلاد السوس، وأقام النظم الإدارية في مختلف الأنحاء فجعل ولايات برقة وتونس والقيروان في شرق المغرب الأوسط وجعل تلمسان عاصمة المغرب الأوسط في الناحية الغربية منه.

أما في بلاد المغرب الأقصى فجعل سلجاسة عاصمة لأرض السوس. وجعل من مدينة طنجة عاصمة للأقليم الشمالي للمغرب الأقصى.

وتولى طارق بن زياد حكم طنجة بأمر من موسى بن نصير ثم جعله قائدا للحملة العسكرية لفتح الأندلس وقد شكلت جيوش طارق غالبية من الشعب المغربي وبذلك صار العرب والمغاربة صفا واحدا في الجهاد لرفع راية الإسلام في بلاد المغرب وفي بلاد الأندلس.

لقد نجح موسى في دفع الدعوة إلى أنحاء البلاد يعلمون الناس الإسلام، كما نجح موسى في تكوين جيش ضم العرب والبربر المغاربة جنبا إلى جنب وعبر به الأندلس وهكذا دفع موسى براية الإسلام من المغرب إلى آفاق جديدة في بلاد جنوب أوربا في أسبانيا، وانطلق يبسط سلطان المسلمين في قرطبة وطليطلة حتى صارت قلاع للإسلام ينتشر نور

الإسلام في ربوعها.

لقد كان لسياسة الولاة أمثال حسان بن النعمان وموسى بن نصير
أثارها في تثبيت أقدام المسلمين في بلاد المغرب.

وفي عام ٩٦هـ / ٧١٤م تم عزل موسى بن نصير من منصبه في حكم
بلاد أفريقيا والمغرب في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك
(٩٦-٩٩هـ / ٧١٥-٧١٧م) وتولى مكانه محمد بن يزيد الذي قام بنشاط
عسكري فأرسل فرق الاستطلاع والبعوث إلى نواحي متفرقة من بلاد
المغرب أحرزت نصرا واضحا واستولت على كثير من الغنائم وبقي محمد
بن يزيد في ولايته حتى وفاة سليمان بن عبد الملك ثم عزل من منصبه
بعد عامين من توليته.

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩٠-١٠١هـ / ٧١٧-٧٢٠م)
أسند مقاليد الأمور في أفريقيا والمغرب إلى اسماعيل بن عبد الله في عام
١٠٠هـ / ٩٨٩م وقد عرف بالاستقامة وحسن السيرة ورافقه في رحلته إلى
بلاد المغرب مجموعة من التابعين ليعاونوه في نشر الاسلام وتعليم الناس
أصول الدين وفي عهد اسماعيل بن عبد الله أقبل البربر على الإسلام
واعتناقهم له لحسن تدبيره للأمور في سياسة البلاد.

لقد كان للدور الإيجابي الذي قام به اسماعيل بن عبد الله أن تملكت
قلوب الأهالي تعاليم الاسلام وعرفوا الحلال والحرام وأدركوا تعاليم الاسلام
في تحريم الخمر واستجابوا للدعوة الى تحريم شربها بفضل جهود هذا الوالي
وأعوانه من الدعاة المخلصين.

ثم توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز في عام ١٠١هـ / ٧٢٠م وتولى خلافة المسلمين يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ / ٧٢٠-٧٢٤م) وقد ترتب على ذلك تغيير عام في سياسة الدولة فلم يكن يزيد بن عبد الملك يقر بسياسة التسامح واللين التي عرف بها عمر بن عبد العزيز. وتم عزل الولاة في الأمصار ومنهم اسماعيل بن عبد الله.

ثم أعقب هؤلاء الولاة حكام عرفوا بالشدة والقسوة في معالجة الأمور، وقد نتجت عن هذه السياسة السخط والتذمر في صفوف كثير من عناصر المجتمع المغربي ترتب عليها الخروج عن طاعة الحكام وبلغت إلى أقصى مداها فدبرت المؤامرات ضد الحكام للتخلص منهم بالقتل.

لقد اشتعلت نيران الثورة وأظهرت شعوب المغرب العصيان فقاموا بالثورات المدمرة، ودخلوا في صراع مسلح مع حكامهم العرب ظل فترة طويلة حتى انفصل المغرب الأقصى عن سلطان الخليفة الأموي في دمشق فمهد ذلك لقيام دولة الأدارسة. وكذلك قيام ثورات أخرى في مناطق مختلفة. وقد أشعلت تلك الثورات زيادة الضرائب والاجحاف بحقوق المواطنين بشكل تعذر عليهم معه السكوت عليه. كان الولاة يجمعون المال بغير وجه حق فاشتعلت الثورات التي أوجدت للخوارج أرضا خصبة خاصة وأن أرض المغرب بعيدة عن مقر الخلافة.

وهكذا ظهرت الثورة في طنجة ونتج عنها انفصال المغرب الأقصى عن الخلافة الأموية.

ثورة الصفرية

الصفرية جماعة من ممثلى المعارضة الاسلامية . فقد قامت الدولة الأموية والمعارضة تحيط بها من كل جانب . ولم تكن المعارضة حزبا واحدا وإنما كانت عناصر وأحزابا كثيرة . ومن أحزاب المعارضة الحزب الشيعى وهم الذين تشيعوا لعلى بن أبى طالب ورأوا أن الإمامة حق لعلى ولأولاده من بعده . وقد حارب الأمويون الشيعة واضطهدوهم وكانت لهذه السياسة آثارها السلبية فقوى الحزب الشيعى وكثر أتباعه وتحول إلى العمل فى السر .

ثم حزب الخوارج الذى رفض الوراثة كأساس للحكم بل الاختيار هو الأساس لنظام الحكم وقد خرج هؤلاء الخوارج على على حين قبل التحكيم بينه وبين معاوية كما خرجوا على بنى أمية لأنهم جعلوا الخلافة ملكا وراثيا ، وكثرت ثورات الخوارج واستنفذت الدولة الأموية جزءا كبيرا من قواها وجهودها فى سبيل القضاء على ثورات هؤلاء الخوارج .

كما أن العصبية العربية التى أضعف الاسلام شوكتها إلا أنها ظلت كامنة فى النفوس ثم ظهرت فى العصر الأموى فكان عرب الشمال العدنانية المضرية فى ناحية وعرب الجنوب اليمنية القحطانية فى الناحية الأخرى . هذا فضلا عن أن عرب الشمال أنفسهم ينقسمون بدورهم إلى قيسية وربيعية وكان معظم اليمنيين فى الشام فى عهد بنى أمية وكانوا مناصرين لبنى أمية .

وكانت القيسية فى جانب المعارضة للأمويين غالبا وكان الولاة يميلون إلى هؤلاء مرة وإلى أولئك مرة أخرى مما أشعل نار العصبية بين القبائل

العربية في العاصمة وفي الأمصار البعيدة في المشرق وفي المغرب. وظهر ذلك جليا في أخريات الدولة الأموية وكثيرا ما أشعلت الحروب بين القبائل.

كذلك حدث في بلاد المغرب حين وجد أهل البلاد من البربر الذين أسلموا أن العرب لم يحسنوا معاملتهم وخرجوا عن تعاليم الإسلام في سبيل جمع الأموال بغير حق ظهرت القومية البربرية، وامتلات قلوب البربر بالحق على الحكام العرب، فلبأوا إلى أحزاب المعارضة وكان منها الصفريّة.

لقد عملت جماعة الصفريّة على بث عقيدتهم في نفوس البربر التي كانت ممهدة سياسيا واقتصاديا لقبول دعوة الخوارج، فأخذت غالبية بطون زناته بدعوة الصفريّة، وتحول إليهم بنو دمر وبنو واسين كما أخذت بعض بطون مغراوه وبنو يفرن الذين أخذوا مبدأ الصفريّة بقوة وتمكنت من نفوسهم وقبيلتها غالبية زناته وصاروا صفريّة.

لقد كان خروج البربر على الولاة الذين خالفوا تعاليم الاسلام، ولم يسقطوا الجزية عن أسلم وفي عام ١٢٢هـ / ٧٤٠م ثارت زناته وتزعّمهم ميسرة المطغرى واتجهوا إلى طنجة واستولوا على مقاليد الحكم فيها وأعلنوا ميسرة خليفة ولقبوه بأمير المؤمنين ثم اتجهوا بعد ذلك إلى بلاد السوس ثم دارت المعارك بين جيوش الدولة الأموية وبين الزناتيين. وبعد معارك طاحنة قتل خلالها ميسرة وتولى مكانه خالد بن حمود الزناتى الصفري وفى عام ١٢٣هـ / ٧٤٠م وقع القتال بين جيوش الأمويين وخالد الزناتى انتصرت فيها جيوش خالد الزناتى على العرب وبلغ ذلك الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٣م) فأقسم ليغضبن غضبة

عربية وليبعثن لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عنده . ووقع القتال بين العرب
وخالد بن الزناتى عند وادى نهر سبو فى موضع يقال له بقدوره وانتهت
المعركة بانتصار خالـد الزناتى وهزيمة العرب .

وكان من أسباب هزيمة العرب الخلف الذى دب بين الجند الشامى
وعرب أفريقيا من اليمانيين وهو الصراع القديم بين قيس ويمن وكان من
أسباب ضعف الدولة الأموية فضلا عن براعة خالـد الزناتى الحربية فى
قتاله مع العرب .

لقد خرج المغرب الأقصى من سلطان الخلافة وصار الحكم لزناته .

ثم تولى حكم المغرب كلثوم بن عياض القشيرى الذى اتجه بجيش
كبير إلى طنجة لمحاربة خالـد الزناتى فى طنجة ودارت معركة فى جنوبها
انتصر فيها خالـد الزناتى ثم امتد نفوذ الصفرية من المغرب الأقصى إلى
المعربين الأدنى والأوسط . وفى عام ١٢٤ هـ / ٧٤١ م تولى حنظلة حكم
المغرب وواجه حنظلة جيوش الصفرية وقد بلغه خبر خططهم الحربية لغزو
القيروان فاستعد لملاقاة جيوشهم ودبر ضدهم خطته لهزيمتهم .

فقد عمد حنظلة إلى ضم أهالى القيروان والفقهاء إلى صفه وقدم لهم
السلاح ، وزادت حماسة الأهالى للقتال حين انضم إليهم النساء لتشجيعهم
للدفاع عن المدينة وانتهى الموقف بهزيمة صفرية المغرب الأوسط .

أما أهالى المغرب الأقصى ، فقد انتقلت زعامتهم إلى أبى قرّة المغبلى ،
الذى شارك فى القتال فى القيروان حين هاجمت قبيلة ورفجومة الصفرية
القيروان فى عام ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م واستولت عليه واستحلوا المحارم بها

فعارضتها زناته طرابلس وهوارة وتزعم أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري
إمام الأباضية وزحفوا معا إلى القيروان في عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م وهزموا
ورفجومة ونفزه وولى أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم على مدينة
القيروان وعاد إلى طرابلس مع بطون زناته.

ثم يهزم والى القيروان العباسي الجديد محمد بن الأشعث أبا الخطاب
المعافري في معركة فاصلة ، فينسحب عبد الرحمن بن رستم من القيروان
إلى الزاب ويؤسس بها دولته الرستمية الأباضية في تاهرت.

أما أبو قرّة فقد انسحب من المعركة ليكون إمارة صفرية مستقلة في
تلمسان، ثم يأتي أحد زعماء الصفرية من اتباع ميسرة الصفري وهو أبو
القاسم سمكو بن واسول فينشئ للصفرية دولة في سجلماسة بدلا من طنجة
وذلك في عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م.

بنو مدرار:

بعد فشل حملة الصفرية العسكرية على القيروان أجمعوا على أن يجعلوا
من سجلماسة عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م مقرا لهم لبعدها في أقصى الجنوب
الشرقي من المغرب الأقصى على نهر زيز، ويصعب الوصول إليها لوعورة
مسالكها، واختاروا عيسى بن يزيد إماما لدولتهم بعد مارشحه أبو القاسم
سمكو ودعا قومه لطاعته وبإيعته الصفرية فقام بأمر سجلماسة وشق القنوات
واهتم بالزراعة وبالنخيل ونمت الدولة وكثرت خيراتها وخاصة بعد اتساع
تجارتهم مع السودان.

وفي عام ١٥٥ هـ / ٧٧١ م قام المكناسيون بتنحية عيسى بن يزيد وبإيعوا

أبو القاسم سمكو بن واسول ولقبه مدرار الذى ظ فى الحكم حتى عام ١٦٧هـ / ٧٨٣ م وتوراثه أبناءه فلقبت الدولة باسم بنى مدرار، وجعل من مبتدأ الدولة عدم الثورة على الخلافة، فإن الصفرية تعد فى الحقيقة من السنة (١) ولذلك فقد كانوا حلفاء طبيعيين للخلافة.

وفى عام ١٦٧هـ / ٧٨٣ م تولى إلياس بن سمكو الإمامة وظل بها حتى عام ١٩٤هـ / ٩٠٨ م فتولى مكانه اليسع بن أبى القاسم سمكو بعد خلعته من الإمامة وشيد اليسع سور سجلماصة واختط القصور والدور والأسواق فأكمل بناء سجلماصة وقويت الدولة فى عهده. واتسع العمران، وشقت الترع وغرست الأشجار المثمرة، وكثر العمران بها وجذبت بذلك جماعات الصفرية من مختلف الأنحاء للإقامة بها.

وفى عام ٢٠٨هـ / ٨٢٣ م تولى ابنه مدرار بن اليسع إمامة الصفرية بعد وفاة أبيه الذى صاهر بابنه مدرار للحاكم الرستمى عبد الوهاب فى إبنته أروى فتوثقت العلاقة بين الدولتين الصفرية والرستمى فى الجزائر ثم أنجب مدرار ولدان يدعى كل منهما مأمونا أحدهما من زوجته الرستمى والآخر من زوجته بقية الذى عرف بميمون بن بقية.

ولما كان مدرار المنتصر يفضل ابنه من أروى الرستمى عهد إليه بولاية العهد مما تسبب فى صراع فى أسرة بنى مدرار دام ثلاث سنوات فاضطر مدرار إلى خلع نفسه من الإمامة وعهد إلى ابن الرستمى بالإمامة ونفى ابن بقية من سجلماصة فأغضب بذلك شيوخ الصفرية الذين رفضوا ازدياد نفوذ الأباضية فى بلادهم ، كما أن ابن الرستمى خلع نفسه من

(١) دكتور جمال الدين الشيال، تاريخ الدولة العباسية ، ص ٧٦ ط. دار الكتب الجامعية ١٩٦٨.

الإمامة، فأعادت الصفورية مدرارا إلى إمامتهم. ولما عاد مدرار المنتصر إلى إعادة ابن الرستمية إلى الحكم قاموا بتولية ميمون ابن بقية في عام ٢٢٩هـ / ٨٤٣ م ولقبوه بالأمير وبقي في حكم البلاد حتى وفاته في عام ٢٦٣هـ / ٨٧٦ م.

ثم انتهى أمر الدولة الصفورية المدرارية بعد ظهور الفاطميين ودخولهم سجلماسة في عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩ م .

الأدارة:

الدولة الادريسية (١٧٢-٣٦٣هـ / ٧٨٨-٩٧٤م) قام العلويون في عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م بثورة كبرى في المدينة يطالبون بالخلافة لأنفسهم وكان من بين الثائرين إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي .

ولما أخمدت الثورة وقتل معظم القائمين بها فر إدريس إلى مصر ثم انتقل منها إلى المغرب الأقصى، ونزل إدريس ومعه مولاة راشد في مدينة وليل بجبل نزهنون في عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م وبايعته قبيلة أوربه وزعيمها اسحق بن محمد. ثم انضمت إليه قبائل زواغة ولواته وغماره ونفزه ومكناسه، وهكذا التقى الناس حول راشد الذي ظهر بزي التجار وادعى أنه السيد إدريس خادمه، إضفاء الشخصية إدريس وقام راشد يدعو لأمير علوي يرفع راية التوحيد الاسلامية ليخلص الناس من الظلم ويعيدهم إلى الطريق القويم.

بدأ إدريس يدعو نفسه بين القبائل في وليل الذين نظروا إليه باعتباره من آل البيت النبوي يهديهم إلى طريق الحق ويقم لهم دولة تحميهم وتكون

سندا قويا لهم . ثم اسندت شيوخ القبائل إلى إدريس حكم وليلى الذى سعى إلى مد سلطانه حتى أنه لم يعض غير قليل إلا وقد اتسع نفوذه إلى أماكن كثيرة فى المغرب الأقصى .

ولما وصلت أخبار إدريس إلى الخليفة العباسى الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م) وأدرك أن بعد المسافة بينه وبينهم قد تكون عائقا للوصول إلى تحقيق أغراضه فى القضاء عليه لجأ إلى تدبير خطة للتخلص منه ، فبعث إليه من يدس له السم وتوفى إدريس فى عام ١٧٥هـ / ٧٩١م بعد حكم دام ثلاث سنوات . واستطاع راشد مولى إدريس أن يعمل على استقرار الأوضاع فى الدولة الإدريسية ، وعقد إتفاقا مع شيوخ القبائل على رعاية زوجة إدريس التى كانت حاملا حتى تلد ، فلما أنجبت ولدا لإدريس اسمه باسم أبيه إدريس ، وصار راشد وصيا على إدريس الثانى حتى بلغ العاشرة من عمره . ثم أسند إليه حكم الدولة فى عام ١٨٦هـ / ٨٠٢م .

قام راشد برعاية إدريس فتعلم القرآن وحفظه ودرس الحديث وعلوم اللغة وسير الملوك وأخبارهم وأيام الناس ودرب على ركوب الخيل وجعله فى خير حال .

ولما أدرك ابراهيم بن الأغلب ان راشد هو الموجه الحقيقى الذى يعمل على تقوية دولة الأدارسة وتنميتها عمد إلى التخلص منه ، ونجح الأغالبة فى خطتهم إلا أن الأدارسة سرعان ماتداركوا الموقف فولوا أبو خالد يزيد بن الياس العبدى أمور الدولة فقام بمهمته خير قيام حتى قويت الدولة الإدريسية . بعكس ماكان يهدف إليه الأغالبة ، وقد ساعد استقرار الدولة

ونموها الاقتصادي على جذب جماعات من العرب . ورحب إدريس بهم وقربهم إليه وأحسن إليهم حتى صاروا بطانة لإدريس .

ولما قوى شأن إدريس الثاني إختار مصعب بن عيسى الأزدي وزيرا له ، كما تخلص إدريس من اسحق بن محمد زعيم قبيلة أوريه لما علم بإتصاله بأعدائه الأغالبة .

ثم قام ببناء مدينة في موضع قريب من عاصمة دولته وليل ، وكانت مدينة فاس التي شرع في بنائها في عام ١٩٢هـ / ٨٠٧م في موقع يقع بين جبلين على ضفتي نهر فاس وقد سمي هذا الجزء من مدينة فاس باسم العدو الأندلسية . وذلك بعد هجرة الأندلسيين ثوار الحى الربض في عهد الحكم بن هشام الأموي الذين نزلوا بفاس فسميت باسمهم .

تم شرع إدريس في بناء الشطر الثاني من مدينة فاس في العام التالي وسمى بعدوة القرويين (المغاربية) وحول إليها ادارة الدولة وجعلها مقرا له وصارت مدينة فاس تشمل العدوتين .

ثم قام إدريس بعد ذلك بغزو قبيلة مصموده التي خضعت لسلطانه واستولى على أغمات في عام ١٩٧هـ / ٨١٢م ثم اتجه إلى الصفرية في تلمسان ودخلها صلحا وقام بإدارة المدينة وأصلح من أحوالها . ثم امتد سلطان الدولة الإدريسية غرب الجزائر إلى نهر شلف ولم يواجه الأدارسة مقاومة من أحد .

ويعد بحق إدريس الثاني مؤسس دولة الأدارسة فقد تغلب على خطر الدولة الأغالبية ، وبسط سلطانه على البربر ثم مد سلطان دولة الأدارسة

عبر جبال أطلس الأعلى فى جنوب مراكش حتى درعه فضمن لدولته
للوصول إلى موانئ المحيط الأطلسى. كما سيطر على مضيق جبل طارق
وسبته.

كما أمدت الدولة الإدريسية فى عهده إدريس الثانى سلطانها عبر جبال
منيعه إلى الصحارى الواسعة فى الجنوب. وعمل على نشر الاسلام بين
القبائل البدائية المحتمية بتلك الجبال.

وفى عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م توفى إدريس الثانى وخلفه من بعده أبناؤه
الذين اقتسموا البلاد بينهم ففرقوا وضاعت وحدة الدولة وصارت البلاد إلى
مستوى من الضعف فدخلتها جيوش بنى أمية الأندلسية والشيعة الفاطميين
حتى صارت جزء من الدولة الفاطمية فى شمال أفريقيا. ثم خرجت من
قبضة الفاطميين إلى الأمويين الأندلسيين وظل الحال كذلك حتى انتهى
سلطان دولة الأدارسة فى بلاد المغرب الأقصى فى الربع الأخير من القرن
الرابع الهجرى العاشر الميلادى.

المرابطون

المرابطون هم صنهاجة الجنوب المثلثون ، اتخذوا اللثام على وجوههم
وصار شعارا لهم ، عاشوا فى صحراء المغرب الأقصى والمناطق المدارية
حتى السنغال إلى بلاد السودان.

يعيشون على الأنعام يركبونها فى تنقلاتهم ويتغذون من ألبانها
ولحومها.

ومن أهم قبائل صنهاجة اللثام كداله والمتونه ومسوفه دخلوا الاسلام

فى القرنين الثانى والثالث الهجرى الثامن الميلادى والتاسع أيضا، وحملوا
رايته ونشروا دعوة التوحيد بين القبائل فى الجنوب حتى بلاد السودان.

وفى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر
الميلادى ظهر من بين صفوفهم الأمير يحيى بن ابراهيم الجدالى الذى
عرف بالتقوى والصلاح وبعد النظر ورجاحة العقل مما يؤهله لأن يحمل
رسالة الإصلاح بين القبائل.

وقد دفعه طموحه الدينى لأن يعمل على توحيد صفوف القبائل
الصنهاجية ويدفعها إلى المجاهدة والنضال بين القبائل المغربية فى جميع
الأنحاء.

بدأ يحيى بن ابراهيم رحلة البحث عن أصول الدين وفى دعوته اتجه
إلى القيروان فى عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م وتقابل مع آل عمران الفاسى وتلقى
منه العلم ثم طب منه أن يرشح من تلاميذه فقيها يصحبه إلى بلاده ليعمل
على نشر الدين بين صنهاجة اللثام ويهديهم إلى طريق الإصلاح.

ووجه ابن عمران الأمير يحيى إلى أحد تلامذته وهو وجاج بن زولو
من فقهاء المغرب الأقصى ليختار أحد تلاميذه ليرافق الأمير يحيى إلى
بلاده ليعلم الناس الدين الصحيح.

وتقابل الأمير يحيى مع الفقيه المالكى وجاج فى سجلماسة واختار
وجاج الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى الصنهاجى الأصل ليرافق الأمير
يحيى الجدالى فى رحلة العودة .

عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير على الصنهاجى اللثامى سافر إلى بلاد الأندلس فى عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م فى عهد ملوك الطوائف وتلقى العلم من أئمة العصر وأعلام الفكر ثم عاد إلى المغرب الأقصى وقابل فقيه السوس وجاج اللمطى العالم الزاهد ثم رحل عبد الله بن ياسين إلى لمتونه قبائل صنهاجة اللثام فأعجبوا به والتفوا حوله ثم رأوا أنه يحرض عبيدهم عليهم بدعوته إلى المساواة بين البشر، ووجدوا أن وجودهم فى خطر بسبب دعوة عبد الله بن ياسين لتحرير العبيد انفضوا من حوله، بل أكثر من هذا عزلوه وأبعدوه عن ديارهم.

ولما لم يجد استجابة من سامعيه وانصرفاهم عنه عمد إلى اللجوء إلى جزيرة فى مصب السنغال فى رباط يتعبد فيه بتشجيع من يحيى أمير جداله فسمع به الناس والتفوا حوله وكثر عددهم أولئك الذين يملأ الإيمان قلوبهم وصاروا قوة يعتد بها الفقيه بوجودهم حوله وقد صحبه الأمير يحيى فى رباطه حتى توفى فى عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م وبقي عبد الله فى رباطه حتى بلغ عدد مريديه ألف فاجتمع بهم وأمرهم بالجهاد فى سبيل الله قائلاً لهم : «اخرجوا فأنتم المرابطون».

وهؤلاء المرابطون الماثمون صاروا جيشاً يدافع عن الحق ويحمل الناس على الاستقامة واتباع الحق.

دولة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

خرج عبد الله بن ياسين هو وعمر اللمتونى الذى خلف إبراهيم الجدالى - وعارض جداله تعصبا فلم يأبه عبد الله للمعارضة واتجه وجماعة من المرابطين إلى غانة جنوباً وأستولوا على أودغشت ودخلت غانة فى الاسلام.

ثم اتجهوا إلى السودان وتوفي يحيى بن عمر اللمتونى وخلفه أخوه أبو بكر عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م وخضعت جداله لعبد الله كما خضعت لمتونه من قبل وصارت غانه وجداله وامتونه فى طاعة المرابطين.

أصلح عبد الله أحوال هذه البلاد وقضى على المنكر وألغى الضرائب ثم اتجهوا إلى الشمال واستولوا على درعة وسجلماسة واقليمها.

ثم بدأ المرابطون يتجهون إلى بقية القبائل الملتمة لتوحيدها فى سبيل الجهاد، فانضمت إليهم مسوفة ولمطه وجزوله.

وفى عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م تمكن المرابطون يقودهم أبو بكر اللمتونى وعبد الله بن ياسين من فتح مدينة ماسة على المحيط من بلاد السوس. وقضوا على دعوة الرافضة. ثم اتجهوا الى الشمال واستولوا على أغمات ثم اتجهوا إلى برغواطه فى ساحل المحيط فى سلا باقليم فاس وانفه وآزمور فى تامسنه وآفى فى اقليم وكالة، وحاربوا الصفرية وهزمهم واستشهد عبد الله بن ياسين فى عام ٤٥١هـ/١٠٥٩م.

حقق الزعيم المرابطى أهدافه بعد الانتصارات التى تمت وانتشرت فى جميع الأنحاء فتوحات المرابطين. وتمت حركة مقاومة الفساد وصلحت أحوال البلاد والعباد وكثرت جموع الملتمين الذين انضموا لجموع المرابطين فقوى المرابطون المجاهدون واستطاعوا أن يواصلوا الحملة إلى أبعد مايسطيعون.

لقد تمكن المرابطون من إخضاع غانة وجداله وامتونه فارتفع بذلك شأن المرابطين أولئك الذين جاهدوا لإحياء الدين الحق ونشر الفضيلة، وواد

الفساد ورفع راية العدل في جميع أنحاء المغرب .

لقد تحولت جموع تلك القبائل البدوية من التفرق والتخلف إلى جنود منظمة متحدة تدافع عن الاسلام وتبذل في سبيل ذلك أرواحها .

لقد ألغى عبد الله بن ياسين الضرائب غيرالعادلة التي تنافى ماجاء في الكتاب والسنة وحل محلها الزكاة والأخماس والأعشار، طالب الأغنياء بمراعاة الفقراء وخصصت لبيت المال عمالا يسهررون على المراقبة والمحاسبة حرصا على صيانة أموال المسلمين ونشر العدل ورفع الظلم في أنحاء المغرب، وهو يواصل في نفس الوقت الاشتغال ببث الدعوة بين أتباعه حتى ظهر من تلاميذه الذين عرفوا بإنكار الذات ولم يحفلوا بالمآرب الفردية فظهرت نفوسهم من أدناس الأنانية وحب الذات، ووطدوا أنفسهم على الإيثار والعمل لخير المجتمع، منهم امتاد بن نصير اللمتوني فقيه الصحراء وميمون بن ياسين الصنهاجي .

بعد استشهاد عبد الله بن ياسين في بلاد السوس وهو يقاوم الجماعات الخارجة على الجماعة واصل أبو بكر الجهاد ضد تلك الجماعات حتى قضى عليهم .

ولما بلغه أن خلافا وقع بين قبيلة لمتونه ومسوفه بالصحراء أسرع إليهم في عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م لإصلاح أحوالهم وندب ابن عمه يوسف بن تاشفين ، ليحل محله بالمغرب الأقصى، وجاهد أبو بكر في بلاد السودان حتى استشهد في عام ٤٨٠هـ / ١٠٧٨م وتابعه خلفاؤه من بعده في الجهاد في الجنوب .

أما في الشمال فقد تولى قيادة الشمال يوسف بن تاشفين ذلك البطل الشجاع المجاهد في سبيل الله الذي أسس مدينة مراكش عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م في السهل الذي يقع شمالي أغمات وجعلها عاصمة للدولة، وعمرها ببناء المسجد الجامع وأعقب ذلك البناء المخصص لإدارة شئون الحكم. وما إلى ذلك من مدارس وحمامات.

ثم بدأ ابن تاشفين يزيد من عدد جيشه حتى بلغ عدد الجيش المرابطي مائة ألف مقاتل من صنهاجة وفي عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م استولى على غمارة مروراً بمنطقة الريف إلى طنجة ثم أعاد فتح فاس عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م للمرة الثانية. ثم توالى فتوحات المرابطين في بلاد المغرب الأقصى ثم استولى على طنجة عام ٤٧٠هـ/١٠٧٧م واستولى على تلمسان في عام ٤٧٢هـ/١٠٧٩م.

ثم اتجه المرابطون إلى بلاد المغرب الأوسط واستولوا على الجزء الغربى من بلاد الجزائر، كما استولوا على ميناء سبتة بالمغرب الأقصى في عام ٤٧٧هـ/١٠٨٤م. ومنح يوسف بن تاشفين نفسه لقب أمير المسلمين، وأعلن تبعيته للخليفة العباسي في بغداد وطبع اسمه على السكة في عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م خلفاً للأمير أبى بكر.

كما عمل يوسف بن تاشفين على اصلاح الأحوال الاقتصادية ورفع الضرائب وعين عمالا على البلاد من ذوى السمعة الطيبة الذين عملوا على نشر الأمن والعدالة في البلاد وعين لكل حاكم فقيها برتبة مستشار حتى لا يحيد أحد عن الشريعة الإسلامية في احكامه.

وبعد أن تم للمرابطين سيادتهم على الصحراء في جنوب المغرب

الأقصى وبعد أن اتجهوا إلى الشمال وتم لهم النصر على الزناتيين وبسطوا سلطانهم عليهم وأصبح المرابطون سادة المغرب بعد صراع دام عشرون عاما.

وبينما كان أمر المغرب يقوى كانت الأندلس تعاني من مرارة الخلافات الداخلية مما أضعفها أمام الأسبان في عهد ملوك الطوائف الذين استنجدوا بجيوش وأساطيل يوسف بن تاشفين الذي زحف عبر البحر إلى الأندلس والتحم مع الأسبان في حروب وهزمهم في معركة الزلاقة الشهيرة التي غيرت وجه تاريخ الكفاح العربي في أسبانيا. ودانت الأندلس كلها للمغرب وأصبح المرابطون الدرع القوي الذي أخرج زحف الأسبان وزحزحه نحو الشمال.

وتولى الأمر بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين ثم في مراحل تالية تزعرع ملك المرابطين فعاد الأسبان إلى التقدم في أرض الأندلس مرة أخرى ونبتت في المغرب حركة أخرى هي حركة الموحدين.

الموحدون: ٥٤٢-٦٦٨هـ / ١١٣٠-١٢٧٠م

قامت دولة الموحدين لتحكم البلاد المغربية والأندلس بعد ما غاب سلطان دولة المرابطين وانزوى.

أقام الدولة الموحدية أبو عبد الله محمد بن تومرت من هرغة إحدى بطون مصموده بالمغرب الأقصى في السفح الجنوبي لجبال أطلس وفي السهول وتعرف بجبال درن ولمصموده بطون أهمها هرغة وهنتانه وتينمال ودكاله وهيلانه ويشكلون غالبية المغرب الأقصى.

ولد ابن تومرت عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م لأسرة تعيش في قرية من قرى
هرغة على سفح جبل اجليز. قضى حياته في حفظ القرآن، وحضر حلقات
الدرس في بلده ثم في مراكش وفي نحو العشرين من عمره رحل إلى
الأندلس عام ٥٠٠هـ/١١٠٧م ونزل في قرطبة ثم اتجه إلى المشرق ونزل
الاسكندرية وتعلم على الطرطوشي كما تعلم على غيره من الأندلسيين
والمغاربة وكان منهج الطرطوشي وهو الورع والتقوى والتمسك الشديد
بأهداب الدين ووسيلته هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عنف

وصرامة

وقد أخذ تلاميذه بهذا المنهج وهذه الوسيلة وكان أثره فيهم قويا
وواضحا. ونادى بن تومرت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأخرج
من المدينة وركب البحر متجها إلى الغرب. وفي هذه الرحلة كسر جرات
الخمير التي على السفينة، وعندما ارتفع الاذان للصلاة لم يجد من يهتم
بالتوجه لأداء الصلاة فدعاهم إلى الصلاة وهم ينظرون إليه ويهزون
أكتافهم ولما هبت عاصفة بحرية وارتبك ركاب البحر قام ابن تومرت
يدعو، فهدأت فكان الله قد استجاب لهذا الرجل الصالح الدعاء. وتمت
الرحلة البحرية بسلام.

وابتدأ ابن تومرت وكأنه في نظر من حوله من الركاب وليا صالحا
مستجاب الدعوة. فكان إذا تكلم أصغوا إليه وصار ملء العيون والأسماع.
ونزل في طريقه بالمهدية، وهناك أعاد الكرة فكسر مارآه من آلات اللهو
وأواني الخمر، ثم لما اتجه غربا إلى بلاد المغرب وكان قد ظهر معجبون
التفوا حوله وظلوا برفقته وقد اطمأنوا إليه.

ومن هؤلاء الحاج يوسف الدكالى والحاج عبد الرحمن أبو بكر الصنهاجى ويكنى بالبيذق بمعنى الجندى فى مباراة الرياضة الذهنية، وقد قام البيذق بتسجيل تحركات ابن تومرت الذى فيما كتبه عن استاذة أن الطلبة المغاربة اجتمعوا عند ابن تومرت ليستمعوا إلى مايلقى من دروس وعظات، وقد استعان فى عظاته بأسلوب الترغيب والترهيب الذى جذب إليه الكثير من الشباب.

ولما انصرف ابن تومرت من تونس متجها إلى قسنطينة ثم إلى بجاية عاصمة الدولة الحمادية، وتقابل مدينتى تونس ومراكش فضلا عن مرونة الحكام فى معاملة الأهالى بالرفق فى حدود الشريعة المحمدية.

وفى مسجد الريحانة كان مقام ابن تومرت . ثم اخذ يعدو فى أسواق المدينة يدعو الناس إلى اتباع السنة وعدم الخروج عنها. ثم اتجه إلى ملاله واستقر فى زاوية بها واشتغل بالتدريس والعبادة وينطلق أحيانا إلى الطريق متجها إلى شجرة خروب، يتأمل كيف يمكنه أن يهدى الطالبين من أمة محمد إلى الرشاد وقد كثر عدد المارقين، غير الملتزمين.

وكان كأنه يقرأ الغيب وماتخبئ له الأيام من مستقبل باهر. ثم ظهرت شخصية عبد المؤمن الخليفة الموحدى المنتظر، تلقى عبد المؤمن تعليمه فى تجرا ثم ذهب إلى جامع تلمسان ليكمل تعليمه ثم عقد العزم على الرحيل إلى المشرق ليواصل تعليمه هناك، ومات أبوه وتزوجت أمه ورافقه عمه للاتجاه إلى بجاية فى الاتجاه إلى المشرق.

سار عبد المؤمن برفقه عمه إلى هدفه الذى حددده لنفسه. ونزلا فى بلاد متيجة لأيام ثم واصلوا الرحلة إلى بجاية فى مسجد الريحانة، ثم

انحرف عن قصده واتجه إلى ملأله رغبة منه في سماع أخبار الفقيه السوسى عالم المشرق والمغرب، كما أطلق على ابن تومرت. فعبد المؤمن سمع وهو بالمسجد مناجاه لبعض المصلين يتكلمون عن الفقيه، فأراد أن يستمع إليه. وهذا مادفعه إلى أن يغير من خط سيره الذى كان قد عقد العزم على السير فيه. وقد سار عبد المؤمن وحده، ثم تقابل التلميذ والأستاذ، عبد المؤمن وابن تومرت. وطلب ابن تومرت من عبد المؤمن أن يبقى بالمغرب ولا يبرحه إلى المشرق قائلا له: «العلم الذى تريده بالمشرق قد وجدته بالمغرب».

ثم طلب منه أن يقيم معه الليل فى ملأله. فلما كان منتصف الليل أطلع ابن تومرت عبد المؤمن بأن أمر الدين يقوم بعبد المؤمن، سراج الموحدين، وأعطاه كتابا وتنبا له ولا تباعه بالخير والبركة. والويل لمن خالفوك ونصحه بكثرة الذكر فينال العصمة والأمان.

وهكذا كشف ابن تومرت لعبد المؤمن عن الدور الذى سيقوم به وبقي عبد المؤمن شهورا كثيرة فى ملأله.

وأخيرا أصدر ابن تومرت تعليماته بالرحيل فانطلقت الطاقة الموحدية إلى طريقها المرسوم.

وفى عام ٥١٥هـ / ١١٢١م بلغ أتباع ابن تومرت أعداد كبيرة بايعته أنه المهدى. وأخذ ابن تومرت ينظم أتباعه فى طبقات. فأول طبقة أهل عشرة ثم صحابته ويليهم أهل خمسين. وسمى حفظة المذهب وفقهاء الطلبة أى الدعاة. وسمى أهل دعوته «الموحدين».

وفي عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م توفي المهدي ثم أعلن أتباعه موته بعد البيعة لعبد المؤمن من كافة المرحدين في مدينة تينمال عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م باسم خليفة ابن تومرت.

ولم يلبث أن أبعد في الغزوات في منطقة تادله واستولى عام ٥٢٦هـ/١١٣١م على درعه وتسابق الناس في المغرب إلى دعوته.

عبد المؤمن علي (٥٢٤-٥٥٩هـ/١١٣٠-١١٦٣م)

تولى عبد المؤمن بن علي خلافة الدولة الموحدية وقضى على الدولة المرابطية، وعمل على بسط سلطان المرحدين على بلاد المغرب. واستولى المرحدون على تلمسان في عام ٥٤١هـ/١١٤٦م.

وتتابعت سقوط المدن وكذا العاصمة مراكش. أما في بلاد الأندلس فقد ظهر عصر الطوائف الثاني.

وفي عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م استولى ريموند صاحب برشولونه على طرطوسه وعلى لارده وإفراغ وقارم أهل بلنسية ومرسية المرحدون إلى عام ٥٦٨هـ/١١٧٢م ثم اذعنوا للمرحدين.

وخضعت للمرحدين أشبيله وغرناطة واسترد المرحدون المرية من الفونسو. وتوفي الفونسو حزينا بعدها.

وفي ظروف مرآتية حين ظهر الصراع بين القبائل العربية الهلالية ودولتي بني زيري في القيروان والقلعة مما أضعف الدولة وصار نفوذها إسميا. هاجم النورمانديون بعض ثغور أفريقيا من صفاقس وسوسة إلى المهدية واستقل بعض شيوخ القبائل ببعض النواحي.

ثم هاجمت جيوش الموحدين المغرب الأوسط بقيادة عبد المومن بن على فى عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م فقابل عرب الأثبج وجشم وأعلنوا ولاءهم فعقد لأبى الخليل بن كسلان شيخ الأثبج ولحباش بن مشيفر شيخ عرب جشم واستولى على بجاية ثم اتجه إلى أفريقيا.

وفى أفريقيا تحالفت صنهاجة مع جيرانهم وقاموا بالهجوم على مدينة باجة واستولوا عليها. فبعث إليهم عبد المؤمن بجيش يقوده عبد الله بن عبد المؤمن بلغ ثلاثين ألف مقاتل وفى عام ٥٤٧هـ / ١١٥٢م تقابل الموحدون والعرب فى ناحية سطيف وظلت الحرب أربعة أيام انتهت بهزيمة العرب وسقوط أهوالهم وأولادهم ونسائهم غنيمة للموحدين.

وبعث عبد المؤمن بنساء العرب وأولادهم إلى مراكش فى الحفظ والأمان وفى رعاية الموحدين وعنايتهم، فاجتمع أمراء العرب واتجهوا إلى عبد المؤمن بمراكش فرحب بهم وأعاد عبد المؤمن نساءهم وأولادهم ليضمهم إلى صفه ورجعوا جميعا لبلادهم سالمين.

وفى عام ٥٣٣هـ / ١١٣٨م هاجم الموحدون المهدية ثم عملوا على تصفية الإمارات العربية التى خرجت على بنى زيرى واستولوا عليها جميعا. وخضعت لهم كل أفريقيا واستولوا من النورمان على كل ماكان بأيديهم من مدن الساحل فى طرابلس بأفريقيا.

وأصبح سلطان الموحدين يمتد من برقة حتى تلمسان فى المغرب الأقصى. ولما حاول عبد المؤمن ضم العرب الهلالية لم يجد منهم الحماس فأخرج منهم ألفا من كل قبيلة ونقلهم إلى المغرب لإضعاف شوكتهم فى أفريقيا وللإستعانة بهم فى حروبه ضد الفرنج فى بلاد الأندلس.

وهكذا استطاع عبد المؤمن أن يوطد عرشه بالمغرب بعد أن هزم
الخارجين عليه وصارت دولة الموحدين من الشرق إلى ما وراء القيروان.
وبلغ إتساع دولة الموحدين إلى أبعد مدى. فصارت تحدها من الجنوب
الصحراء الكبرى ومن الغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق صحراء لوبية
ومن الشمال البحر المتوسط والبلاد الأندلسية. كما بعث عبد المؤمن بولده
أبى يعقوب يوسف إلى الأندلس.

وبدأ عبد المؤمن فى تنظيم دولة الموحدين فألغى النظم الحزبية
المرابطية العسكرية لصرامتها الشديدة وأطلق حرية الفكر للعلماء. وجعل
مراكش عاصمة الدولة وأقام بها المساجد والمدارس وأغدق عليها حتى
صارت مراكز للعلوم والمعارف ونظم الإدارة وعلوم الدين.

واهتم عبد المؤمن بقاء الطلبة وتابعهم بنفسه فيما يلقوه وشجعهم
ورغبهم فى حبهم للناس.

وكذلك اهتم بنشاطهم الحربى فى المبارزة والفروسية والسياسة وكان
يديرهم فى بحيرة بجوار قصره وتابعهم على أساليب القتال فى البحر
وشؤنه وأثار فيهم الحماس بتقديم الجوائز للمتفوقين منهم.

وأسند عبد المؤمن إلى هؤلاء مناصب الدولة الهامة وأنشأ لهم نظاما
جديدا حاز عنده الثقة وتوطد بهم سلطان الموحدين. وجعله ملكا وراثيا
لأسرته وجمع الولاة ومشايخ القبائل من جميع الأنحاء وعقد معهم مجلسا
فى عام ٥٤٩هـ / ١١٥١م أسند ولاية العهد لولده الأكبر محمد وذكر اسمه
فى خطبة الجمعة. ثم عين بقية أولاده على بعض الولايات وجعلها وراثية
فى عقبهم وعين مع كل واحد حاكما واثنين من الكتبة.

أما ولده أبو يعقوب يوسف فعين معه أبا زيد بن بكيت واختار أبا حفص لولاية سبته وطنجة وبعض ثغور الأندلس وأبا محمد عبد الله لولاية بجاية وأبا الحسن لولاية فاس وأبا يعقوب يوسف لولاية الأندلس وأشبيلية وما إليها من المناطق.

هذا وقد احتفظ عبد المؤمن لنفسه بالقيادة العليا ليحول بين الطغاة والمستبدين من التفرد بالشعب ومع ذلك فقد وقعت المخالفات من بعض الحكام ولم يكن بوسع عبد المؤمن التصرف فيها حيث كانت تصله أخبارها بعد وقوعها ولكنه كان يوقع العقاب على من أساء التصرف من الحكام.

واتبع عبد المؤمن سياسة الرفق وحرية الرأي وسمح بتداول الكتب التي سبق حظر كتابتها أو نشرها وحتى الكتب المعارضة سمح بتداولها والرد عليها في نفس الوقت.

كما اهتم عبد المؤمن بتنظيم شئون الحرب والجهاد في حروبه مع النورمان، وحين استيلائه على تونس والمهدية وطردهم منها.

بلغ عدد الجيش الموحدى فى إحدى معاركه ضد النورمان ستين ألف من المشاه فضلا عن الفرسان وقسم الجيش إلى أربعة أقسام يفصل بعضها عن بعض أثناء السير مسيرة يوم.

ويبدأ الجيش سيره بعد صلاة الصبح قبل شروق الشمس وحتى الظهر، ويبدأ السير بعد ثلاث قرعات من طبل ضخ من خشب رنان يسمع من مسيرة يوم.

وكل قبيلة تحت علمها الخاص. ثم يتوقف الجيش استعدادا للسير فى

اليوم التالي، وذلك لتنظيم تموين الجيش وإمكان التصرف والسيطرة على الجنود ويحمل العتاد من خيام وخلافة على ظهر الجمال والدواب ويقود للرعاة قطعان من الثيران والأغنام لحاجة الجند إلى الطعام.

ويحيط بعبد المؤمن من بعض الولاة والشيخ والقادة وهم فوق ظهور جيادهم ومسلحون وجماعات الموسيقى العسكرية والولاة القضاة والوزراء والكتاب ثم يأتي الجند. ولكن مكانه ولا يجوز لأحد مغادرة مكانه بالمعسكر دون إذن من القائد، ثم توزع الأقوات بالتساوي بين الجميع.

واهتم عبد المؤمن بالمشاة المدربة المسلحة أكثر من الفرسان إذ أن قوات المشاة هي التي تحسم المعركة عادة.

كما اهتم عبد المؤمن بجمع الضرائب من المدن فجمع المعلومات من سكان كل مدينة، وثرواتها وغلاتها لإمكان تحديد مايقرب عليها من ضرائب.

فالتغور تقدم البحارة والسفن والصحراوية تقدم الفرسان والخيول والحمير والجمال، ويقدم البعض الآخر الجند المشاة وأنواع الأسلحة. ومن توقع عليه عقوبة لسبب ما يفرض عليه ضعف ما هو مطلوب منه عادة.

كما أنشأ عبد المؤمن مصانع السلاح فصنع القسي والنشاب والخوذات والدروع والسهام وغيرها من أنواع الأسلحة الأخرى وخصص المخازن لحفظ السلاح لحين الحاجة إليه.

وفي عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م انتهى عبد المؤمن من تطهير جميع الأراضي الأفريقية. ثم أعد نفسه للاتجاه للجهاد ضد الأعداء في بلاد

الأندلس.

وفى عام ٥٥٨هـ/١١٦٣م توفى عبد المؤمن وهو فى الثالثة والستين .
وقد حكم ثلاثة وثلاثين سنة . وأخفى خبر وفاته حتى دخل يوسف بن عبد
المؤمن إلى المغرب قادما من أشبيلية .

ازدهرت العلوم والفنون فى عهد عبد المؤمن الذى اشتهر بغزارة علمه
فضلا عن شجاعته وبعد نظره وكان حاضرا البديهة يتحمل المشاق والشدائد
بروح عالية ويميل إلى الزهد والتقشف، غايته الجهاد ضد أعداء الإسلام
وخلف امبراطورية تمتد من المحيط إلى غرب حدود مصر، ومن الصحراء
الكبرى إلى بلاد الأندلس .

فتح عبد المؤمن جميع تلك البلاد خلال عشرين عاما بعد استيلائه
على مراكش . وبلغت دولة الموحدين أوج عظمتها فى عهد يعقوب المنصور
عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م فقد توغلت جيوشه فى أفريقيا وفى أسبانيا وخاصة
معركة الأرك فى الأندلس وهى معركة شبيهة بمعركة الزلاقة وباستتباب
الأمن والنظام اللذين أقرهما الموحدون اتسمت الحضارة الأندلسية بمظهر
جليل فازدهرت الصناعة وشهدت القصور ألوانا غاية فى الجمال المعماري
وجمال النقش والزخرفة وراجت التجارة . إلا أن إتساع رقعة دولة الموحدين
وضعف الرقابة على حكام المقاطعات اللائبين ساعد على تمكن تلك
المقاطعات من الانفصال عن الدولة فانسحبت أفريقيا (تونس) .

ثم فقدت الأندلس قوتها بعد معركة العقاب عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م وبدأ
العد التنازلى لدولة الموحدين فدخلت فى دور التفكك والضعف حتى
سقطت فاس فى يد بنى مرين .

وفي عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م احتل بنو مرين مراكش عاصمة الدولة الموحدية فانهارت دولة الموحدين وظهرت الدولة المرينية.

دولة بني مرين (٦٦٨-٨٧٦هـ/١٢٧٠-١٤٧٢م)

كان بنو مرين من القبائل الزناتية التي لم تشأ الخضوع لنفوذ الموحدين على عكس أبناء عموماتهم بني عبد الواد. ولهذا أثروا الهجرة إلى الصحراء جنوبا على الدخول في طاعة الموحدين. وكانت حياة الصحراء توافقهم لأنهم من البدو الرحل. وكانوا يرحلون في فصل الربيع إلى شمال المغرب الأقصى لرعى إبلهم ومواشيهم فيقضون شهورا من السنة نازلين بين فجيج وملوية. حتى إذا اقترب فصل الشتاء رجعوا إلى بلادهم (من زاب أفريقيا إلى سجلماسة).

وفي عهد الخليفة الموحدي المستنصر دخل عبد الحق أمير بني مرين بجموعه في وادي تازا وشرقي وادي سبو واشتبك معه الموحدون وفي عام ٦١٣هـ/١٢١٦م فهزمهم عبد الحق وتوفي عبد الحق فخلفه ابنه عثمان الذي تمكن من إخضاع بني رياح الهلالية وتوفي فخلفه أخوه محمد وحاربه الموحدون في مكناسة فهزمهم وتوفي عام ٦٤٣هـ/١٢٤٩م وخلفه أبو يحيى بن عبد الحق وهو الذي استطاع تأسيس دولة بني مرين في المغرب الأقصى. فهو الذي حارب الموحدين وغزا مكناسة ثم اتجه إلى فاس ودخلها سلما، وحارب بني عبد الواد وهزمهم في عهد يغمراسن زعيمهم وانتصر عليهم المرينيون. ثم اسرع أبو يحيى إلى فاس لنقضهم عهدهم مع بني مرين، ولكنهم طلبوا الصلح عنهم فقبل ذلك منهم ثم اتجه أبو يحيى إلى سلا والتقى مع الموحدين فيها وحقق النصر عليهم.

ثم واجه جيوش بنى عبد الواد وهو متجه إلى درعة فهزمهم وأخضع درعه لسلطان المرينيين.

وفى عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م توفى أبو يحيى بن عبد الحق ثم تولى قيادة المرينيين يعقوب بن عبد الحق الذى فى عهده بسطت الدولة المرينية سلطانها على المغرب الأقصى فى عام ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م وهو الذى دفعه إيمانه تلبية نداء الأندلس إلى الجهاد ضد أعداء الإسلام بالأندلس إلى تجهيز جيش من ثلاثة آلاف مقاتل فضلا عن كتائب المجاهدين من بنى مرين والمتطوعين من أهل المغرب وتمكن المسلمون فى غرناطة بقيادة ابن الأحمر بفضل نجدة بنى مرين لهم من مواجهة النصارى وصدّهم عن أراضيها.

وازدادت الدولة المرينية قوة بعد ما صار لها اسطولا كبيرا فى دار الصناعة بمدينة سلا فى عهد السلطان أبى الحسن على.

استرد السلطان أبو الحسن على (٧٣١-٧٤٩هـ / ١٣٢١-١٣٤٨م) استرد جبل طارق من الأسبان بعد استيلائهم عليه فى عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ثم أعاد فتح الجزائر وتونس عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م وقد أسس المرينيون مدينة فاس الجديدة وتطوان.

وأنشأوا المدارس والمعاهد العلمية فى جميع أنحاء المغرب وعادت بذلك البلاد التى ضاعت من المغرب إيان حكم الموحدين وحظيت المغرب بروح علمية وأدبية فى العهد المرينى.

لقد ظهر فى عهد أبى الحسن أزهى عهود بنى مرين ذلك السلطان

القدير الذى تمكن من بسط سلطانه على جميع المغرب الأقصى، مع نمو وازدهار العمران، حتى فاق حكام عصره وحظى بمكانة مرموقة.

وعرف عن أبى الحسن حبه لسمع القرآن وكان يحفظ أجزاء كثيرة منه. وقرب العلماء وبالع في اكرامهم واهتم بأحوال الرعية واستمع إلى شكاواهم وعمل على اصلاح الأحوال وعلى الاجتماع بزعماء القبائل من عرب وبربر ومعاونتهم فى حل مشاكلهم.

ثم اشتعلت الحروب بين بنى مرين وبنى عبد الواد، وتفقد الدولة المرينية المغرب الأوسط ويقود إلى حدودها الأولى. وبذلك تمكن الأسبان من اكتساح الأندلس باستثناء غرناطة قلعة الصمود. كما احتل البرتغاليون معظم موانئ المغرب تباعا.

وتبلغ الدولة المرينية غاية الضعف فيتولى الأمر الوطاسيون بنو واطس (٩٥٧-٨٧٥ هـ / ١٤٧٠-١٥٥٠ م) وهم فرع من بنى مرين بدأ ظهور بنى واطس حين قام أبو زكريا يحيى الواطسى حاكم إقليم سالى بالولاية على الطفل المرىنى عبد الخالق أبى سعيد عثمان المرىنى. ففى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٧ م ظهر الخطر البرتغالى عندما هاجم البرتغاليون طنجة فقام أبو زكريا الواطسى بالدفاع عن المدينة حتى انسحب البرتغاليون منهزمين.

ثم قام الخلاف بين بنى واطس والقبائل فى المناطق الصحراوية ثم تمكن الوطاسيون بقيادة محمد الشيخ من بسط سلطانهم على مراكش الشرقية وجعلوا مدينة فاس عاصمتهم.

وفى ظل تلك الظروف المضطربة تمكن البرتغاليون من النزول إلى

طنجة واحتلالها دون مقاومة فى عام ٨٧٦هـ / ١٤٧١م ولم يستطع
الوطاسيون فى عهد محمد البرتغالى وأبو العباس أحمد من مقاومة
البرتغاليين الذين استولوا على كل الساحل المراكشى حتى مضيق جبل
طارق. ثم عاد الصراع بين الوطاسيين وبين قبائل بنى سعد فى الجنوب
وقد تمكن السعديون بزعماء الشريف محمد المهدي من الاستيلاء على
فاس واسقاط أسرة بنى واطس فى عام ٩٤٨هـ / ١٥٤١م.

السعديون (٩٦١-١٠٦٦هـ / ١٥٥٣-١٦٥٥م)

بعد أن استقر على كل إقليم مراكش، شرعوا فى مقاومة الأتراك الذين
كانوا ينزلون فى بلاد أفريقيا والمغرب واستولوا على تلمسان فى غرب
الجزائر. ولكى يتمكن الشريف محمد المهدي من تمويل جيشه لجأ إلى
سكان الجبال يجمع منهم الخراج، كما فعل مع سكان السهول. فانتهزت
المعارضة الفرصة وهم من بقايا المرابطين ومن أنصار بنى واطس
والأتراك وثاروا فى وجه السعديين.

وهنا أضطر السعديون إلى مواجهة تلك الثورة باستخدام أشد قوة لهم
فقاموا بطرد المرابطين من الزوايا التى يقيمون فيها وقتلوا كل من
عارضهم. ثم انتقل السعديون من فاس إلى مراكش وجعلوها عاصمة للدولة
السعدية.

اتجه السعديون فى سياستهم إلى محاربة من يعاديه حتى ولو كانوا
من المرابطين أو الأتراك وعملوا على التحالف مع الأسبان لكى يتمكنوا من
مواجهة التحالف الداخلى الذى تزعمه الأتراك العثمانيون فحاصر محمد
المهدي فاس واستولى عليها فى عام ٩٥٢هـ / ١٥٣٩م وطرد منها بوحسون

الوطاسى الذى مكنه العثمانيون منها . وبذلك صار المغرب الأقصى تحت سلطان السعديين .

وتولى بعد محمد المهدى ابنه عبد الله الغالب ٩٦٥-٩٨١هـ / ١٥٥٧-١٥٧٣ م وتابع عبد الله سياسة أبيه فى القضاء على الخطر العثمانى ، فعمل على التحالف مع الفرنسيين فى مواجهة أعدائه فى الداخل ، وأنشأ مدرسة ومسجدا بالإضافة إلى كثير من الإنشاءات التى أقامها فى عاصمة ملكه .

وفى عام ٩٨١هـ / ١٥٤٧ م مات الغالب وخلفه ابنه محمد المتوكل (٩٨١-٩٨٣هـ / ١٥٧٣-١٥٧٥ م عندما تولى محمد المتوكل الحكم ، وظهر منافسان له هما عماء عبد الملك وأحمد وقد عاشا فى ظل الحكم العثمانى فى الجزائر وعملا على مناهضة ابن أخيهما محمد المتوكل ومنافسته فى الحكم ، ونجح عبد الملك بن المهدى فى إبعاد السلطان محمد المتوكل عن الحكم بمساعدة العثمانيين ، كما عقد حلفا مع الأسبان وانسحب محمد المتوكل متجها إلى البرتغال .

عمل عبد الملك السلطان الجديد للمغرب على تجديد بلاده بمعونة العثمانيين الذين أعجب بهم عبد الملك وقد بايع شعب المغرب عبد الملك الذى تلقب بالمعتصم (٩٨٤-٩٨٦هـ / ١٥٧٥-١٥٧٧ م) .

لجأ المتوكل إلى البرتغاليين لنصرته على عمه عبد الملك واسترداد ملكه والتقى الجيش البرتغالى مع الجيش المغربى فى عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨ وكان الجيش المغربى مكونا من فرق منتخبة أرسلها إليه حكام الولايات المختلفة بدافع الحماس الدينى فكانت النتيجة انتصار المغاربة على

البرتغاليين انتصارا ساحقا وقتل المتوكل فى المعركة كما مات السلطان عبد الملك خلال المعركة بسبب مرض ألم به . وتولى السلطان أحمد بن الغالب حكم البلاد ولقب بالمنصور .

السلطان أحمد بن الغالب (المنصور) (٩٨٦-١٠١٢هـ / ١٥٧٨-١٦٠٣م) .

اهتم المنصور بالتجارة واحتكر الصناعة وجمع الضرائب وقضى على التهريب وعرف بالحزم والنزاهة فى إدارة البلاد، فقضى على الثورات التى قامت بها جماعات المعارضة المتصفة بالشدة مع شعبه ولقنها لحكام القبائل فنظم حكومة مراكش التى عرفت بالمخزن وهى مكونة من اتحاد القبائل البربرية يديرها جهاز مركزى هو حكومة المخزن عن طريق الجيش ورجال الحكم وهى التى تفرض الضرائب وتقسم الأراضى .

فالإدارة الحكومية تتكون من إدارة مراكش (المخزن) وهى المشرفة على الأراضى التى تسكنها القبائل وتحصل منها الضرائب ثم مراكش المستقلة (السبا) وهى التى يعادل نفوذها نفوذ السلطان نفسه .

كما أنشأ السلطان الديوان ويضم رجال الدولة ومن يختارهم من نوى النفوذ ويجتمع مرة فى الأسبوع للنظر فى شئون الدولة ومصالحها .

كما أعاد تنظيم الجيش وأخذ من الأتراك نظامهم الحربى ، وضم إليه أعدادا من الأسرى من مختلف الجنسيات من الأندلسيين والزنوج ومن الأتراك اللاجئين ومن مسيحيي أوربا على أنه خصص من يقوم بتدريبهم بما يتفق مع النظام المغربى والنظام التركى .

أرسل المنصور جيشا ضخما فى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس

عشر الميلادى إلى السودان والذي تمكن من الوصول إلى النيجر واحتلالها وجمع المنصور من وراء ذلك ثروات طائلة من الذهب والعبيد.

وتبادل المنصور التجارة مع الانجليز فقدم لهم الذهب والسكر والكبريت مقابل الأقمشة التي كانوا يرسلونها له.

تنافست كل من انجلترا واسبانيا على مصادقة المنصور فتشكلت شركة البربر التجارية في لندن ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م لعقد معاهدة بين مراكش والقسطنطينية من ناحية وانجلترا من ناحية أخرى لولا أن المنصور كان متخوفا من العثمانيين فلم تتم تلك المشاركة.

وعملت أسبانيا على صداقة السلطان المنصور فتنازلت له عن مدينة أرزيلا في عام ٦٩٨هـ / ١٥٨٩م.

لقد ازدهرت الحياة في عهد المنصور في بلاد المغرب ونمي العمران في البلاد وفي عام ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م توفي المنصور وبسبب ما قام من صراع بين أولاد المنصور الثلاثة على السلطة انهار نفوذ مراكش، فقد قام مولاي فارس والشيخ الملقب بالمأمون بنافسان أخاهما زيدان في مراكش وقتل فارس في عام ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م وقتل زيدان أخاه المأمون في عام ١٠٢٢هـ / ١٦١٣م بسبب تنازله عن لارش للأسبان.

وبقى زيدان يسيطر نفوذه على مراكش دون فاس التي بقيت مستقلة عن سلطانه، ولم يحسن زيدان في سياسته في الدولة حين انفق أموال الدولة بإسراف في بناء المساجد. وأهمل ماعدا ذلك فضعفت قوة الدولة . ولما مات السلطان زيدان عام ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م تنازع أولاده عبد الملك

والوليد ومحمد شيخ. وفي عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م تولى محمد شيخ ووفاته انتهت الدولة السعدية وزاد نفوذ الطرق الصوفية التي آلت إليها السلطة في حفظ البلاد.

العلويون (١٠٦٥-١٢٤٦هـ/ ١٦٥٤-١٨٣٠م)

عاشت الأسرة العلوية في منطقة سجلماسة ونالوا مركزا طيبا بين أفراد تلك المنطقة لقربانهم لآل البيت النبوي ولما اتصفوا به من سمعة حسنة في معاملتهم ونزاهتهم. حتى أن الرشيد مؤسس الأسرة العلوية عرف بلقب مولاي الذي ناداه به الأهالي حبا وكرامة لشخصه ولنسبه الشريف.

كان الشيخ بوحسون شيخ زاوية خليج يبسط نفوذه على منطقة امتدت من سوس إلى تافيلت دون معارضة، ثم بدأ بوحسون يوسع نفوذه في مناطق الصحراء الجنوبية فاستولى على سجلماسة ودرعه، وبدأ الصراع بين العلويين وبوحسون أدت إلى انتصار العلويين وبسط سلطانهم على سجلماسة ودرعة وإقليم السوس. ثم بدأ العلويون يوسعون منطقة نفوذهم حتى اتجهوا إلى مراكش وتمكنوا من النزول على ساحلها الشمالي. وفي عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م حارب مولاي الشريف قوات الشيخ ارارس ودخل فاس وأعلن نفسه سلطانا وأصبح العلويون يسيطرون على منطقة أنجاد وتازا وتافيلت، والريف وفاس. ثم استمر العلويون في توسيع رقعة نفوذهم فبعثوا بالحملات الحربية إلى الغرب لإخضاع إقليم طنجة ثم دخلوا مراكش عام ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م وأقام الشريف الرشيد القناطر والحصون على نهر سبو ويبعد أربعة كيلومترات من فاس، وأقام الحصون في مراكش الشرقية، وبنى مدرسة.

وفى عام ١٠٨٢هـ / ١٦٧٢م توفى الشريف الرشيد بعد جهوده فى توحيد المغرب الأقصى. وخلفه أخوه اسماعيل (١٠٨٢-١١٣٩هـ / ١٦٧٢-١٧٢٧م) اهتم السلطان اسماعيل بالتعمير فأقام المنشآت فى مراكش وبلغ به حب الاقتناء وجمع الأموال إلى مصادرة الأموال من ذوى الثراء فى البلاد.

عمل على توطيد سلطانه فواجه المؤامرات التى دبرت ضده بشجاعة وثبات واستطاع أن يتغلب على معارضيه من أفراد أسرته ومن أخيه هارون فى تافيلت وابن أخيه أحمد بن محرز فى مراكش والسوس فضلا عن المؤامرات التى دبرتها ضده الدولة العثمانية.

وقامت الثورات فى ولايات الغرب حيث قام المرابطون يؤيدهم العثمانيون فى وىلا وامتدت الثورات إلى تافيلت، وحرصوا القبائل العربية فى شبانه.

وظل السلطان اسماعيل يجاهد ضد المؤامرات والثورات حتى تمكن من التغلب عليها جميعا. لم يثنه عن ذلك مضى الشهور والسنين فى طريق الكفاح حتى استقرت أحوال البلاد واستتب الأمن فى ربوعها ثم شرع السلطان اسماعيل بعد ذلك فى تكوين جيش منظم وجعل غالبية جنده من السودان وقام بتدريبهم وضم إليهم أسرى المسحيين والقرصان والمتطوعين من الشباب الأندلسي.

وقد شكلت الغالبية من هذا الجيش من جماعات من الأطفال الصبيان دون سن المعاش، ويبحث بهم إلى مشترى الرمل (من مكناس وسالى) ويتم تعليمهم حرفة فى عدة سلوات قبل أن يبدأ تدريبهم الحربي. وخصصت

أعمال التدبير المنزلى للبنات ومنهن من يتعلمن الموسيقى ويتم تزويج الفتيان فى سن الخامسة عشر.

أما جهة التمويل لهذا الجيش من الأطفال فهم جماعة المتعهدين يجلبونهم من منطقة حوض النيجر وجنوب الصحراء من مركز تواجدهم فى تمبكو ويودعون فى مشترى الرمل.

أما نسل هذه الجماعات من شباب مشترى الرمل فهو مصدر الجيش النظامى.

بلغ عدد الجيش النظامى فى عهد السلطان اسماعيل مائة وخمسين ألف جندى نصفهم من مشترى الرمل ومن مكناس خمسة وعشرون ألف جندى غير من فى القصبه وشكلت جماعات وجنود مكناس الحرس الخاص للسلطان وهو يشرف ويدير سياسة الدولة. ثم تحول بمضى الوقت إلى مجرد حرس خاص للسلطان بغير نفوذ.

وقد تمكن السلطان اسماعيل بهذا الجيش من حراسة الشواطئ خاصة فى ناحية المحيط حيث كان قادة هؤلاء الجند من ذوى الصرامة فى القيادة بحيث يسيطرون نفوذهم على الجند ويطيعيونهم طاعة مطلقة تمكنهم من التغلب على قراصنة البحار بغير مهادنة أو ضعف.

وهكذا استطاع السلطان اسماعيل استرداد البلاد التى وقعت فى يد الأسبان وغيرهم من البرتغاليين.

واستولى على المعمورة فى عام ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م ثم استولى على طنجة ونقل إليها سكان منطقة الريف ثم استولى على لارش فى عام

١١٠١هـ/١٦٨٩ وأرزيلا في عام ١١٠٣هـ/١٦٩١م وبذلك بسط المغرب نفوذه على الشاطئ الأطلسي.

ثم عمد السلطان اسماعيل إلى موانئ البحر المتوسط وتمكن من الاستيلاء على مليله.

ولم يتمكن السلطان اسماعيل من مواجهة العثمانيين في المغرب الأوسط (الجزائر) لقوة المدفعية العثمانية فاضطر إلى مهادنة العثمانيين وتثبيت الحدود معهم.

ثم شرع اسماعيل في مواصلة الجهاد وبسط نفوذ الدولة المغربية إلا أن للظروف الداخلية أجبرته على التوقف.

وعلى الرغم من النشاط التجاري الكبير في البلاد المغربية فإن السلطان اسماعيل طالما شارك رجال البحر من القراصنة في غنائمهم بنسبة تصل إلى العشر وأحيانا الخمس.

وعاشت مدينة فاس كمصدر لتجارة المغرب بأنواعها من جلود وأصباغ وأقمشة، والموسيلين للغطاء والزيوت العطرية وأنواع الأسلحة وأدوات القتال.

كما كان لمراكش دور هام في الحركة التجارية وكذلك تارونت وعليج، وكانت مكناس أنشط في تجارة الشمع والنحاس وقد فضلها السلطان اسماعيل على غيرها من المدن.

كما كانت تافالت تستورد كثيرا مما يحتاجه العرب، وغيرهم من السكان بمقايضهم بثير الذهب والعاج وريث، النعام والبلاح حيث حركة

القوافل النشطة عبر تلك المدينة إلى السودان.

كما شارك الرحالة والقناصل في الأعمال التجارية خاصة مع القراصنة من رجال البحر. وقد كانت المنافسة التجارية بين إنجلترا وفرنسا ثم تغلبت إنجلترا على فرنسا في عام ١١٢٢هـ/١٧١٠م وأخذ الانجليز مكان الصدارة.

اهتم السلطان اسماعيل ببناء القصبات وخاصة في مراكش، وتحتوى القصبه عادة على أراض زراعه ومخازن ومسجد ومساكن وحراسه وتحاط بالأسوار والأبراج للمراقبة وقد ساعدت تلك الأبنية على الاستقرار والأمن في ربوع البلاد. فضلا عن خضوع المرابطين والعثمانيين للنظام الذى فرضه السلطان.

وتوفى السلطان اسماعيل عام ١١٤٠هـ/١٧٢٧م وقد اعتقب وفاة السلطان انهيار نظام الدولة الذى خطته السلطان حيث برز المرابطون والعثمانيون ورؤساد القبائل وعمل الجميع على استرداد حريتهم فى العمل فاضطربت أحوال البلاد.

ثم ظهر أحد أحفاد السلطان اسماعيل وهو محمد بن عبد الله الذى ساهم فى ولاية أبيه فى تنظيم الجيش ونشر الأمن وكان قد أظهر كفاءة إبان حكمه لمنطقة مراكش وأسفى فى دكالة. أظهر محمد بن عبد الله ١١٧١هـ/١٧٥٧م نشاطا جين قام بتشيد الأبراج والحصون حول المدن المغربية والعتاد الحربي، وزاد من عدد سفن الاسطول وخصص فترات لتدريب الجنود على القبائل وحارب البرتغاليين واسترد ميناء المعمورة شمالى سلا فى عام ١١٨٢هـ/١٧٦٩م وعمل على توثيق صلاته بالدولة

العثمانية، وفي عهده اتسعت التجارة الفرنسية اتساعا كبيرا، ومد كثير من الأجانب إلى البلاد والإقامة في الموانئ وفي عام ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م توفي السلطان محمد بن عبد الله وخلفه ابنه يزيد في عام (١٠٢٤-١٠٢٦هـ/١٧٨٩-١٧٩٢م) وكان عهده مليئا بالاضطرابات وخلفه أخوه سليمان (١٠٢٦-١٢٣٨هـ/١٧٩٢-١٨٢٢م) ودخل في حروب في المناطق الشمالية وفي الجنوب للاستيلاء على مراكش التي استولى عليها عام ١٢٠١هـ/١٧٩٥ وسيطر على الجنوب على مدى عشرين عاما. إلا أن ثورات البربر في أطلس الوسطى والصراع الداخلي دفع بالبلاد إلى التحول من الهجوم إلى الدفاع عن استقلال البلاد أمام الأطماع الخارجية.

وتولى بعده ابنه عبد الرحمن (١٢٣٨-١٢٧٦هـ/١٨٢٢-١٨٥٩م) وحاول استعادة مكانة اذولة الى ماكانت عليه من قبل إلا أنه تعذر عليه ذلك لقوة الأساطيل الأوربية حتى أن فرنسا استولت على مراكش عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م فتحول مجرى الأحداث إلى غير صالح البلاد، وانتهى الأمر إلى أن فقدت البلاد استقلالها.

المغامرات الاستعمارية ضد المغرب

ظهرت المطامع الأوربية وخاصة الفرنسية في شمال أفريقيا وبصفة خاصة المغرب الأقصى أوائل القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، ويرجع ذلك الموقع الاستراتيجي حيث يسيطر المغرب الأقصى على مدخل البحر المتوسط بموانئه ومدنه الساحلية مثل طنجة وسبتة ومليلة.

كما توجد غرب المغرب الأقصى على ساحل الأطلسي موانئه الهامة

مثل القنيطرة والدار البيضاء وأجاديير الأمر الذي دفع الدول الأوربية إلى التنافس في الدخول إليها بوسيلة ما ، إلا أن يقظة الشعب المغربي جعلته يقاوم محاولات تلك الدول الطامعة وظل يحافظ على استقلاله على مدى قرون من الزمان.

لقد قاوم المحاولات الأوربية الاستعمارية وفي سبيل ذلك حشد الجيوش لمقاومة التحركات العدائية من الأسبان والبرتغال وصدّهم ودمرهم في معارك الدار البيضاء وساحل السّوس وفي أجاديير وفي معركة وادي المخازن في عهد الدولة السعدية في عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م حيث الحق هزيمة ساحقة بالبرتغاليين.

كما تمكن الجيش المغربي في عهد الدولة العلوية استعادة الجديدة والمهدية من البرتغال والعرائش وأحيلا من الأسبان كما استرد طنجة من الانجليز.

وعلى الرغم من احتفاظ المغرب الأقصى باستقلاله حتى بعد ظهور العثمانيين في الشمال الأفريقي إلا أن تحول الدولة العثمانية من القوة إلى الضعف أدى إلى ظهور أطماع الدول الأوربية في الدولة العثمانية وتدبير المؤامرات لاحتلال الشمال الأفريقي.

احتلت فرنسا الجزائر عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م فدخلت مراكش حرب مع فرنسا حتى عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م وساندت الأمير عبد القادر، واحتلت فرنسا تونس عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م. وانطلقت الدول الأوربية في مغامرات استعمارية عقب مؤتمر فيينا عام ١٢٣١هـ / ١٨١٥م وقام سباق بينها لاحتلال بقية الأقطار العربية وهنا أدرك المغرب أن عليه مواجهة تلك

الأخطار فأتجه إلى مدينة تلمسان فدخلها ليمنع الفرنسيين من احتلالها وامتد الأمير عبد القادر الجزائري بالسلاح لمحاربة فرنسا وواجهت فرنسا الموقف بهجوم مماثل على بلاد المغرب فدخلت مدينة وجده واشتعل الموقف بين فرنسا والمغرب وبدأ في مهاجمة طنجة والصويرة ، واضطر المغرب الى عقد صلح مع فرنسا وبذلك بدأ التدخل الأوربي الاقتصادي ونشأت المراكز التجارية في مدن الساحل وأثر النفوذ الفرنسي في الأحوال التجارية والمالية للبلاد المغربية في الداخل.

ثم بدأت أسبانيا تظهر أطماعها في الأخرى في بلاد المغرب فافتعلت مشكلة مع المغرب عند حدود سبتة التي يحتلها الأسبان وأعلنت الحرب على المغرب في عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م وانتهت بهزيمة الجيش المغربي واحتلال تطوان وانتهى الأمر الى عقد صلح تقوم المغرب بموجبه بسداد مبلغ عشرين مليون ريال مقابل اخلاء مدينة تطوان ثم قامت فرنسا باحتلال المغرب، خاصة بعد بسط سلطانها على تونس بعد الجزائر وشرعت في إثارة الفتن في داخل البلاد حتى تجد مبررا لتدخلها.

وفي عام ١٢٢٦هـ / ١٩٠٨م استطاعت فرنسا أن توعد إلى عبد الحفيظ شقيق السلطان عبد العزيز وممثله في مراكش إلى تولى عرش البلاد بدلا من أخيه ونجحت خطة فرنسا وصارت مراكش منذ ذلك الوقت تحت للحماية الفرنسية الحقيقية ثم امتد النفوذ الفرنسي إلى مصلحة الجمارك المغربية وانتهى موقف السلطان عبد الحفيظ بالتنازل عن الحكم لابنه يوسف نتيجة الحماية الفرنسية بموجب اتفاق وقعه مع فرنسا في عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م.

ثم عادت الثورات الداخلية ضد القوات الفرنسية حتى عام ١٣٤٠هـ/١٩١٢م.

اتجه النظام الاستعماري الفرنسي في المغرب بنفس الاتجاه الذي سار عليه في الجزائر وتونس فيستولي على الأراض الزراعية ويملكها للفرنسيين وحق نزع الملكية للمصلحة العامة، وفرض تسجيل الأراضى مقابل رسوم معينة ومن لم يسجل أرضه تنزع ملكيته لها.

كما عهدت فرنسا إلى إدخال المصنوعات الفرنسية للبلاد للقضاء على الصناعات المحلية. كما عامل الفرنسيون أهالي البلاد بأسلوب يختلف عن معاملتهم للفرنسيين المقيمين بحيث فضلوا الأجانب الدخيل في حق تكوين النقابات بينما حرم منها العمال الوطنيون، ومنحت الشركات الفرنسية الامتيازات التي حرم منها الوطنيون، وطبق في كثير من النواحي الامتيازات التي تمنح للفرنسي مثل البدلات للسكن والغلاء وبدل التخصيص في حين حرم منها المواطن المغربي.

وشارك الأسبان الفرنسيين في احتلال المغرب بعد أن فرضوا القادة الفرنسيين على الجيش المغربي بحيث صار تحت سيطرتهم وبعد أن أطمأنت القيادة الفرنسية إلى خطتها تلك، فوجئ الفرنسيون بانتفاضة مغربية دفعت بالجنود المغاربة إلى الانقضاض على القادة الفرنسيين الكبار الذين بلغ عددهم ثمانية وستون ضابطا وقتلوه عن آخرهم. ثم قاموا بالتوجه إلى فاس واستولوا عليها وانضم الثوار من الأهالي المغاربة الذين عددهم نحو عشرين ألف مقاتل ثم اشتعلت البلاد بالثورات ضد الفرنسيين وظل الصراع مستمرا بين المغاربة والمحتل الفرنسي حتى امتد إلى منطقة

الشمال التي تحتلها أسبانيا.

وقامت معركة بين المغاربة والقوات الأسبانية في عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م تمكنت خلالها القوات المغربية التي لايزيد عددها عن الألف بينما عدد القوات الأسبانية قد بلغ خمسة وعشرون ألف مقاتل مجهزين بأحدث الأسلحة ولكن المعركة انتهت على الرغم من ذلك بتغلب القوة المغربية على القوات الأسبانية في معركة أنواك، دفعت نتيجة معركة أنواك بفرنسا إلى الاسراع بمديد العون إلى اسبانيا خشية أن يؤدي الانتصار للمغربي الأخير إلى امتداد المقاومة ضد فرنسا.

وفعلا اتحدت الجيوش الفرنسية والأسبانية التي تمكنت من التغلب على المقاومة المغربية في عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

لقد ظل المغرب في صراع مع المستعمر الفرنسي واستمر النضال بين السلطان المغربي والمقيم العام الفرنسي، وتولى عرش المغرب خلال فترة الحماية ثلاثة أولهم السلطان عبد الحفيظ الذي عمل على مقاومة السياسة الفرنسية ثم اضطر إلى التنازل عن العرش عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م ثم السلطان يوسف الذي تولى الحكم منذ عام ١٣٣٢هـ/١٩١٣م حتى وفاته في عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م وتولى عرش البلاد في نفس العام السلطان محمد الخامس الذي دخل صراع مع المستعمر الفرنسي فلجأت فرنسا إلى نفيه إلى جزيرة كورسيكا في عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م ثم انتهى الصراع بين فرنسا والسلطان محمد الخامس إلى إعادة السلطان محمد الخامس إلى عرشه وبدأت فرنسا المفاوضات في عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م التي انتهت باستقلال مراكش وتم تعديل اسم دولة مراكش إلى دولة المغرب.

وهكذا بدأ المغرب بعدما عادت إليه سيادته في تكوين جيش قومي في ظل حكومة وطنية مستقلة.

الباب الخامس

موريتانيا

موريتانيا منذ الفتح العربى حتى قيام الجمهورية

* الوصف الجغرافى

* السكان

* البرانس

* الملتهمين

* صنهاجة

* المرابطون

* العلويون

* حركة التحرر الوطنى والاستقلال

الوصف الجغرافى:

جمعت موريتانيا فى العهد الرومانى بينها وبين المغرب الأقصى معا، فموريتانيا تعد امتدادا طبيعيا للمغرب إذ لا يوجد بينهما فاصل جغرافى، وتقع موريتانيا فى الشمال الغربى من أفريقيا جنوبى المغرب الأقصى، وتقع الجزائر فى أقصى شمالها الشرقى من الصحراء الغربية ويجاورها فى الغرب المحيط الأطلسى وفى الجنوب منها السنغال.

كما تقع موريتانيا عبر طريق القوافل التى تأتى من المغرب الأقصى متجهة إلى السودان جنوبا وبالعكس، يبدأ من تارودانت إلى نول ثم إلى أوليل وتمر قوافل التجار من الأمصار والتلول.

وقد سيطر المثلثون الصنهاجيون الذين نازعوا الزناتيين وناضلوا مملكة غانا وغيرها من الممالك الزنجية للاستفادة من الثروات الضخمة التى تعبر بها القوافل التجارية الذاهبة إلى السودان والعائدة منه.

وتوجد فى موريتانيا منطقتان طبيعيتان هما:

١ - المنطقة التى تبدأ عند وادى السنغال وهى تمتد بمحاذاة الساحل ومكونة من تلال وسهول ثم تأخذ شكل سلسلة من الجبال نصف الدائرية فى مواجهة المحيط جنوب ريودى أور الذى كان يعرف باسم شنقيط وهو الاسم العربى لهذه الناحية أما نواكشوط فهى فى الجنوب الغربى من موريتانيا وهى عاصمة موريتانيا وفى أقصى الشمال الغربى لموريتانيا الساقية الحمراء .

٢ - المنطقة الصحراوية التى تمتد من شمال الساحل وهى منطقة

جرداء تتكون من تلال رملية وسهول حجرية . وهناك أماكن أخرى عبارة عن هضاب صخرية ووديان جافة لأنهار قديمة كما توجد واحات يمكن الحصول منها على المياه الجوفية، وأعلى الجبال أو المرتفعات أدرار تمار في الشمال وتاجنت في الجنوب الشرقي وبفضل هذا الارتفاع يوجد بعض الانتظام في سقوط الأمطار مما يمهد لظهور المراعى الممتازة وفي هذه المنطقة كثير من القرى مثل شنقيط وآثار في الغرب وأجيدز في الوسط.

كما يوجد بعض السهول الخصبة كسهل الشاماه في الأراضى التى تحيط بنهر السنغال . وكذا سهول براكنا وجور جول.

وتعد المنطقة صحراوية وتغطيها مساحات رملية كبيرة من الرمال، وتتوزع بعض الأعشاب المتفرقة والمناخ شديد الحرارة، وذلك أن تأثير البحر لا يتجاوز عدة كيلو مترات في الداخل.

أما الأمطار في الجنوب فغير منتظمة وتسقط في شهر يوليو. أما في الشمال فتسقط الأمطار وهى شحيحة . ولأن موريتانيا تعد امتدادا طبيعيا للمغرب الأقصى حيث لا يوجد بينهما فاصل جغرافى، فلا بد من التعرض لدراسة المغرب الأقصى عند دراسة موريتانيا.

ويعد المغرب الأقصى «منطقة أطراف» لأنه فى النهاية القصى للوحدة الجغرافية للمغرب، فلا يوجد وراء هذا الإقليم غير البحر المحيط، الحاجز المنيع لبلاد المغرب.

ويربط المغرب بالجنوب طريق برى طويل يؤدي إلى الجنوب الأقصى، وإلى صحراء السودان الغربى وفى الجنوب تحيط به سلسلة جبال

درن الذى يعد مانعا ضد القادمين من قلب الصحراء حتى صار هذا الإقليم بعيدا عن المؤثرات القادمة من الشرق والتي تتعرض لها المناطق الأخرى فى أفريقيا والمغرب .

وعند الفتح العربى لبلاد المغرب، صار المغرب الأقصى الحصن المنيع للمقاومة، ولم يبسط العرب سلطانهم عليه بقوة السيف وحده، وإنما هو نور التوحيد الإسلامى الذى وصل شعاع منه إلى قلوب الشعوب المغربية فأقبلوا عليه عن طواعية واختيار، ثم صاروا حصنا للإسلام .

لقد ساعدت الطبيعة بلاد المغرب الأقصى وموريتانيا على نمو الحركات الدينية ذات الطابع السياسى مثل حركة المرابطين، وحركة الموحدين، بعيدا عن الغارات التى اجتاحت بلاد أفريقيا والمغرب قادمة من مصر فى العصر الفاطمى، وهزت العروش بعد ماتجاوزت الحدود تلك الهجمة الهلالية التى تعذر علما دخول المغرب الأقصى إلا بعد استدعاء من قادة الدولة الموحدية وكان تدومها للمغرب الأقصى قوة وإيجابية .

لقد ساعدت جغرافية المغرب المانعة عند شاطئ المحيط إلى توجه للموجات العربية المتدفقة إلى غرب أفريقيا ومنطقة السنغال ومنطقة النيجر وعن هذا الطريق انتشر الاسلام فى السودان الغربى، وازدهرت حركة المتاجرة مع شعوب السنغال والنيجر وقلب أفريقيا، كما أن الطريق البحرى عند المضيق الذى يصل المغرب بالأندلس مكن من ربط إقليم الريف بالأندلس، فساعد على نشر المؤثرات الحضارية الأندلسية فى إقليم الساحل والمتصل بالمغرب الأقصى وترتبط العدوتين (الأندلسية والمغربية) بروابط وثيقة فساعد ذلك حين عبرت قوات يوسف بن تاشفين المرابطى المضيق

لإنقاذ بلاد الأندلس من الأعداء المتربصين.

السكان:

البرانس: انتشرت قبائل البرانس المغربية في بلاد المغرب من أفريقيا حتى المغرب الأقصى وامتد وجودهم في غرب أفريقيا حتى منحني نهر النيجر وهذا الفرع من قبائل البربر المغاربة اشتهر بالقوة وشدة البأس وهم كثرة غالبية من البربر.

انتشرت هذه القبائل في الجهات الشمالية وعلى سفوح الجبال الصالحة للزراعة، وفي جبال أوراس وفي جنوب ووسط الجزائر، كما نزلوا بمراكش، وفي الجزء الشرقي من جبال أطلس الكبرى واحتلوا ساحل المحيط الأطلسي حتى مصب نهر السنغال، ومنحني النيجر.

ومن قبائل صنهاجة ظهرت دولة بني زيري. وقامت دولة صنهاجة بالمغرب، منذ أن قلد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أمر بلاد المغرب إلى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، وصارت صنهاجة صاحبة السلطة الفعلية على أفريقية والمغرب كما استولى بلكين بن زيري على المغرب الأقصى كما قامت دولة المرابطين من صنهاجة كذلك. أما قبائل الملتمين مؤسسو دولة المرابطين.

فهم الذين اتخذوا اللثام شعارا لهم يميزهم عن سائر القبائل المغربية، وهم الذين قامت من بينهم دولة المرابطين. وهم الذين نشروا لواء الإسلام في أنحاء أفريقيا والسودان الغربي، فقد ظلت قبائل الملتمين تجاهد بغير كل تدفع قبائل السودان إلى الاسلام دفعا حتى تمكنت في نهاية الأمر من

النجاح فى مهمتها المقدسة، وظللت راية التوحيد الاسلامى شعب السودان .

كما قامت دولة المرابطين وانتشر نفوذها من منحنى النيجر فى الجنوب حتى البحر الأبيض فى الشمال ثم عبرت المضيق واتجهت إلى الأندلس .

وقبائل الماثمين كثيرة العدد وأهم هذه القبائل . لمتونة وجدالة ومسوفة أما الزعامة فقد كانت للمتونة فى بنى ورتنطبق وقد ظهر منهم يوسف بن تاشفين .

لقد أخذت القبائل المغربية من البرانس الصنهاجية تنتقل بين مناطق الشمال والجنوب فى صورة يسيرة بعد ما أدخل الرومان الإبل فى البلاد المغربية وبدأ اتجاههم نحو الجنوب فى السنوات الأخيرة من القرن السابع الميلادى فى نفس الوقت الذى ظهر فيه المسلمون .

وبدأ المغاربة يستعينوا بالشعوب السوداء ليعملوا معهم بعد اتصالهم بهم فى المناطق الجنوبية .

كما اتجه عدد من القبائل الصنهاجية فى المغرب الأقصى إلى التوغل فى الصحراء خاصة عقب الغزوات العربية وقد تمكنوا من الاستيلاء على بعض المراكز فى تاجنت ووسط رئيس قبيلة لمتونة الصنهاجية تيلوتان نفوذه على القبائل السوداء وحصل منهم على الجزية كما اتخذ له مركزا فى أودغشت . ثم انحسر هذا النفوذ الصنهاجى ثم لم يلبث أن عاد الصنهاجيون إلى توحيد صفوفهم فى بداية القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى للأسباب الاقتصادية وحركة القوافل وقد كان لقبائل لمتونة

وجدالة قوة تشكلت باتحادهم بزعامة تارسينا لمواجهة قبائل الجنوب، وقد تبنت جدالة الحركة الدينية للمرابطين وتزعمهم يحيى بن ابراهيم الحركة المرابطية.

لقد ساعد الاسلام الصنهاجية على هجرتها الى الجنوب والعمل على نشر الاسلام بين قبائل السودان ودفعتها صدق عقيدتها إلى التقدم نحو الجنوب بقوة العقيدة حتى وصلت إلى منحنى النيجر.

فلما كان القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى بدأ عبد الله ابن ياسين العمل على توحيد القبائل المغربية الصنهاجية ثم اتجهت الى الشمال فى طريقها إلى إقامة الدولة الجديدة.

وتحديدا للمناطق التى سكنتها تلك القبائل الصنهاجية فهى تمتد من غدامس فى جنوب طرابلس إلى المحيط الأطلسى فى المناطق الصحراوية، فيما يلى سلسلة جبال درن ثم تمتد مساكنها من جبال درن فى الشمال إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر ويمتد شرقا حتى يصل إلى بعض من أرض الصحراء الكبرى.

أما المناطق الخاصة لكل قبيلة من تلك القبائل الصنهاجية فقد اختلفت لمطية وجزولة بالمنطقة الممتدة من جبال درن إلى نول قرب المحيط الأطلسى ، وأخذت ترغة وادى درعة إلى سلجماسة.

وقد امتد نفوذ لمتونة من وادى نون على المحيط الأطلسى حتى رأس بوجادور وإلى الشرق من وادى نون تقع مدينة أركى حصن لمتونة المنيع، وقد وصلت رحلات لمتونة فى المنطقة التى بين غانة وسلجماسة. وقد

بسّطت لمتونة نفوذها على الطرق الهامة مثل طريق غانة سجماسة وتمتد
ديارهم مسيرة شهرين طولا وعرضا مما يسر لها الثراء المادى فضلا عن
وفرة عددهم حتى سهل عليها بسط سلطانها على بقية القبائل.

أما جدالة فتمتد مناطقها من جنوب لمتونة حتى مصب نهر السنغال
حيث أوليك مقرا لها حيث يوجد الملح الذى ينقل شمالا وجنوبا وجدالة
قريبة من غانة ومن شعب صنغانه على منحى نهر النيجر وقريبة من
أودغشت وطريق سجماسة، فساعد ذلك جدالة على استخدام هذا الطريق
فى تجارتها وريحت من ذلك كثيرا بسبب قربها هذا من بلاد السودان.

وتمتد مضارب قبيلة مسوفة فى منطقة تقع بين سجماسة فى الشمال
وأودغشت فى الجنوب، كما امتد نشاط بعض بطون مسوفة شرقا حتى
تادمكة وكوكو.

وقد سيطرت مسوفة على طريق التجارة السودانى بين أودغشت فى
الجنوب وسجماسة فى الشمال منذ زمن طويل وهكذا سيطرت تلك القبائل
الصنهاجية على مساحات واسعة من الصحارى وتحكمت فى طريق
التجارة الهامة فغلب عليها الثراء وكثر جاهها بين القبائل الأخرى.

دور صنهاجة الموريتانية فى العهد الإسلامى.

يعد عقبة بن نافع أول من دخل ديار الملائمين من العرب، وأول من
ساعدهم على الدخول فى الإسلام وبعدها عرف التجار العرب الطريق إلى
الصحراء الجنوبية. وجعلوا من مدينة أرقى قاعدة لهم ثم وصلوا إلى
أودغشت حاضرة مسوفة، وفى عهد عقبة وصل المسلمون إلى أواسط

أفريقيا.

وفى عهد موسى بن نصير الذى امتدت فتوحاته حتى وادى درعة وحتى السوس فى الأطراف الشمالية لأماكن الملتمين وهو الذى أنشأ مسجدا فى أغمات ودعا الملتمين إلى الاسلام فأقبلوا عليه بقلوبهم بعد أن أسند موسى بن نصير إليهم أعمالا قيادية، وزاد إقبال لمتونة على الإنضمام إلى صفوف المسلمين وشكلوا كتلة بربرية بجانب العرب الذين اتجهوا لفتح الأندلس.

كذلك عمل الأدارسة بالمغرب الأقصى على نشر الاسلام فى ربوع صنهاجة اللثام وامتد نفوذ الأدارسة من ديار الملتمين حتى إقليم الواحات.

وهكذا فإن اسلام صنهاجة اللثام أخذ منذ عهد عقبة ينمو ويقوى حتى بلغ أوج قوته فى عهد الأدارسة فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى فقد تحالفت قبائل الملتمين بقيادة زعيم لمتونة تيولوتان بن تيكيلان التى عملت على القيام بدور قيادى لبسط نفوذها ونشر الراية الإسلامية بين القبائل الزنجية فى الجنوب.

وفى منتصف القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى بدأ حلف صنهاجة فى الاتجاه جنوبا وتقدم صوب ديار غانة، ذلك الشعب الزنجى المشرك ولم يصمد أمام صنهاجة التى سارت قدما فى توسعها حتى صارت على مسيرة أيام من منحنى النيجر واستولوا على مدينة أودغشت وفرضت الجزية على شعب غانة وجعلوا من أودغشت مقرا لهم.

وفى منتصف القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ومع

قدوم الهجرة الهلالية من مصر إلى بلاد المغرب.

تغيرت الأحوال وعم الاضطراب الحياة الاقتصادية وتحول الموقف حيث ان سجلماسة التي على طرف الصحراء من الشمال وأودغشت التي على طرف الصحراء من الجنوب وهما من أهم مدن المغرب وأكثرها ثراء.

تحولت القوافل التجارية إلى الطريق الذي يمر بديار الملمعين من جدالة وامتونة فاحتكرت جدالة وامتونة التجارة بين المغرب والسودان. وتفوقت جدالة على مدينة أودغشت وكان الملح كما كان التبر والصمغ والصوف والخرز من أهم السلع المتبادلة بين السودان والمغرب ثم ينقل من موانئ المغرب إلى الشرق وإلى أوروبا.

على أن القبائل الملمعة التي استطاعت أن تستولى على الموارد الضخمة من أيد القبائل الزناتية تسببت في اضطراب الأحوال الاقتصادية فاشتد الغلاء وانقطعت الموارد وعم الخوف فاندفع ذلك القبائل الزناتية إلى اقتحام الدور للسطو والنهب وعز الأمن في ربوع المغرب وصار الناس يتطلعون إلى الخلاص من سوء الأحوال وانتشار المجاعة.

المرابطون:

قامت دولة المرابطين بجهود من رجال جدالة الكبار يتقدمهم زعيمهم يحيى بن ابراهيم الذي عرف برجاجة العقل وحسن البصيرة الذي أوصله إلى النظر في مصالح الاسلام والمسلمين ليس في بلده هو بل في أنحاء الدنيا فعمل على سياسة تربطه بالمجتمع الاسلامي الكبير في أنحاء البلاد المغربية كلها، فكانت خطته هذه خير وبركة على الملمعين من صنهاجة

وعلى من حولهم من القبائل إلى أبعد ما يكون، فقد وصل جهاد يحيى بن إبراهيم إلى السودان جنوباً كما امتد إلى الشمال وإلى الشرق والغرب.

خرج يحيى بن إبراهيم الجدالي من دياره في عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م القصد ارتباد مدارس المغرب طلباً للعلم والبحث عن فقيه يعود به إلى قومه على يخرجهم من الظلمات إلى النور فيرحد صفوفهم معتصمين بحبل الإسلام.

لقد رحل يحيى بن إبراهيم إلى القيروان وقابل الفقيه أبا عمران الفاسي ذلك الذي اشتهر بين العلماء فقصده الطلاب من فاس وأغمات ومن الأندلس من سرقسطة واشبيلية ومن غيرها.

أما المكانة التي حصل عليها هذا الفقيه الجليل فقد حصل عليها بعد رحلة علمية في بلاد المشرق حيث سمع من علماء مصر والحجاز والعراق.

تقابل مع أبي الفتح بن أبي الفوارس وسمع منهم ومن أستاذه الفقيه أبي بكر الطبيب الباقلاني درس منه علم الأصول وهو من أعظم العلوم الشرعية وأجلها امتداداً وأكثرها فائدة وأصول الأدلة الشرعية هي القرآن والسنة.

ثم عاد أبو عمران الفاسي إلى القيروان ليعلم الناس وهو قد بلغ الغاية في علم الأصول وعلم الكلام والمناظرة وعاش بين الفقهاء المالكية الذين عرفوا بالشدة والبعد عن استباب الترف.

تتلمذ على ابن عمران الفاسي الفقيه عبد العزيز التوني وفقيه السوس وجاج بن زللو اللمطي، كما تتلمذ يحيى بن إبراهيم على أبي عمران الفاسي

ثم طلب منه أن يختار له من تلامذته أحد فقهاء المالكية يستعين به على إرشاد قومه من الملتزمين الصنهاجية وهنا قال أبو عمران ليحيى عليك بفقيره السوس وزاهدها وجاج بن زللو اللمطي وطلب أبو عمران من وجاج أن يختار من تلاميذه فتيها ممن يثق في دينه وفي كثرة علمه وحسن بصيرته ليصبح يحيى بن إبراهيم في عودته إلى قومه الملتزمين ، يعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ويفقههم في الدين .

وقد استجاب وجاج واختار تلميذا له صنهاجي الأصل هو عبد الله بن ياسين ، فقبل عبد الله على الفور القيام بالمهمة التي وكلها إليه وجاج ورحب بها باعتبارها الطريق إلى الجهاد في سبيل رفع راية الإسلام عالية خفاقة .

عبد الله بن ياسين :

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير على ، تلقى العلم من الفقيه وجاج بن زللو اللمطي ، كما تلقى العلم من فقهاء الأندلس .

تقابل يحيى بن إبراهيم مع عبد الله ، ودعاه إلى بلاده ليعمل على إحياء الدين الصحيح والمنهج القويم الخالص من شوائب الشرك الذي إذا تحقق في حياة فرد أو قامت عليه حياة أمة أتى أينع الثمرات وحقق أنفع الآثار في الحياة .

فمن ثمرات التوحيد وآثاره تحرير الإنسان من كل عبودية إلا الله الذي خلقه .

خطط عبد الله بن ياسين لنفسه المنهج الذي سيسير عليه في ديار القبائل الملتزمة من جمع القلوب حوله كلمة التوحيد التي تهدى إلى تحرير البشر فالتوحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة التي تميزت وجهتها في

الحياة وتوحدت غايتها وتحدد طريقها لما يرضى ربها. وهذا المنهج الذى جعله عبد الله هدفا له أخذ اتجاهان.

الأول اتبع فيه الأسلوب السليم الهادئ وبدأ يعظ الناس بالحسنى. فقد سد منافذ الخوف على الأجل والخوف على النفس والخوف على الأهل والأولاد، وعرفهم أن المؤمن الحق لا يخاف أحدا فهو دائما آمنا مطمئنا هداانا.

وبهذا الأسلوب اجتذب الناس إليه واجتذاب الطلبة الذين وفدوا عليه من كل فج يستمعون إليه وهو يلقي عليهم دروسه، يعلمهم الدين الصحيح وجذب إليه قلوبهم والتف حوله انعامه، وأصبح عبد الله بن ياسين ملء أسماعهم وأبصارهم بعدما وثقوا به وتلقوا علمه وتمسكوا به لا يلتفتون إلى غيره.

وقد لقي عبد الله بن ياسين معارضة بين صفوف الزعماء والقادة الذين رأوا ينقص من حقوقهم التقليدية ويصددهم عن العدوانية، ويطلب المساواة بين جميع البشر، فتآمروا عليه وعملوا على إبعاده من ديارهم.

لجأ عبد الله بن ياسين إلى الانسحاب من ديار لمتونة إلا أن يحيى بن ابراهيم استطاع أن يغير من عزم عبد الله بن ياسين ودعاه إلى الصبر والمثابرة وعدم التخلي عن دعوة الحق، واستجاب عبد الله إلى دعوة عمر الجدالى واتجه عبد الله وعمر معا إلى الجنوب إلى ديار جدالة.

ثم بدأ عبد الله هدفة الثانى فاتجه إلى بناء رباط يأوى إليه وصحبه. ولذا عرفوا باسم المرابطين يتعبدون ويتزهدون ويجهدون فى جزيرة فى

للبحر عند نهر السنغال.

اتخذ عبد الله هذا الرباط حيث أن خطر إغارة ممالك الزنوج على جدالة أتت من تلك الناحية حيث وقعت غارات الممالك الزنجية على مضارب المثلثين وحددت طريق القوافل وتكرر استيلاؤهم على مدينة لودغشت وطردتهم منها أكثر من مرة فجعل عبد الله بن ياسين رباطه عند نهر السنغال هو الحد الفاصل بين مضارب المثلثين ومضارب الزنوج، جعله ليكون بقصد الجهاد ونشر الاسلام في ديار الزنوج وصددهم عن العدوان.

دور عبد الله بن ياسين في الرباط:

جعل عبد الله بن ياسين من رباطه حصنا يدافع المرابطون فيه عن البلاد ضد الغزاة المعتدين، وكان للرباط مزارع تمدّه بحاجته من الطعام فضلا عن احتراف الصيد من البر والبحر، كانت حياتهم تتسم بالبساطة والخشونة يذبذبون الأثرة، ويعشقون الإيثار فهدفهم التعلق بالروحانيات أكثر منها بالماديات.

بلغ خبر عبد الله بن ياسين قبائل المثلثين الموزعة بين جبال درن في السنغال وحتى منحلى النيجر في الجنوب فأسرع الكثير من المثلثين بالتحقن بجماعة الرباط بحوض السنغال حتى بلغ عددهم ألفا، وعرفت صنهاجة موريتانيا باسم المرابطين كما عرفوا من قبل باسم المثلثين.

كان لعبد الله بن ياسين قدرة خارقة على التأثير في نفوس أتباعه فهو جعلهم أكثر تفهما للأهداف التي أراد تحقيقها وضمن اهتمامهم وحماسهم

وإيجابيتهم فى تنفيذ الخطة بطريقة واقعية حتى يسهل عليهم تنفيذها.

كان عبد الله يقبل أن يضم المرید إليه بعدما يتثبت من إيمانه وصدق رغبته فى الانصراف إلى حياة الزهد والجهاد ويمتحن المرید إمتحانا جسديا قاسيا حتى تتطهر نفسه من أدناس الأنانية وحب الذات.

قام عبد الله بقراءة القرآن وتفسيره وروى الحديث وفسره، ثم طلب من أتباعه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعدوا أنفسهم دائما لحياة الجهاد والكفاح ضد الأعداء فى الخارج ودعوة المثلثمين إلى الدين الحق.

اختار عبد الله بن ياسين يحيى بن إبراهيم لدور الحاكم ولما توفى يحيى فى عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م صار يحيى بن عمر رئيس قبيلة لمتونة الرئيس السياسى للمرابطين.

دور الجهاد:

أصبح يحيى بن عمر حاكما للمرابطين وهو الذى عمل على تدريب جماعة المرابطين على القتال للإعداد لمعركة الجهاد.

خرج المرابطون فى عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م إلى الجهاد يقودهم يحيى اللمتونى ومعه عبد الله بن ياسين يدعولهم إلى الإسلام فى سودانى التكرور وحوض السنغال الأدنى وماوراءه من بلاد السودان الغربى فى غانة وفى غيرها .

وفى عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م جاءت مكاتبات سجلماسة ودرعة جنوبى المغرب الأقصى من الفقهاء والمصلحين بدعوة المرابطين للجهاد ضد

الحكام المفسدين .

اتجه المرابطون بجيش كبير من المجاهدين الراغبين فى الشهادة فى سبيل الحق ونصرة المظلومين وتحقق لهم النصر وطهروا البلاد من المنكرات ورفعوا عن الأهالى الضرائب الجائرة وعيلوا واليا من لمتونة على مجلساسة واستشد يحيى بن عمر فى جهاده ضد المشركين فى السودان فى عام ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م .

عين عبد الله بن عمر مكان يحيى أخاه أبا بكر بن عمر اللمتونى فى قيادة المعركة فى الجنوب .

عمل أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين قادة المرابطين على محاربة الرافضة والشيعة وأعادوا البلاد إلى السنة واستولى المرابطون على أغمات وأقاليم حاحة ودكالة واستولوا على نادلة ثم حاربوا برغواطه فى مدينة اسفى على المحيط وفى عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م استشهد عبد الله بن ياسين .

وفى عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م اسرع أبو بكر إلى التوجه إلى صحراء موريتانيا لفك الاشتباك الذى وقع بين قبيلتى لمتونة ومسوفة وجعل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب الأقصى الذى أسس مدينة مراكش وجعلها عاصمة لدولة المرابطين فى عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م ثم اتسع جهاد المرابطين فامتد فى عام ٤٧٤هـ / ١٠٨١م إلى المغرب الأوسط وبلاد الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين بجنوده الذين من صنهاجة موريتانيا .

أما فى الجنوب فكان أبو بكر بن عمر اللمتونى الذى جاهد لرفع راية الإسلام فى أرجاء أفريقيا حتى بلغ أفريقيا الاستوائية وقد بدأ بالتكروور

والسنغال الأدنى أولئك الذين انضموا لجيش أبي بكر وساهموا معه في رفع لواء التوحيد في بلاد السودان وينتشر حتى صار علم التوحيد راسخا رسوخ الجبال لايتزعزع، وقد قاد أبو بكر بجيوشه المجاهدة في تلك البلاد متخذا من منطقة الإدراج في موريتانيا وأزكي وأودغشت قاعدتين لحملاته الحربية جنوبا وشرقا، وظل البطل الاسلامي أبو بكر توازره صنهاجة موريتانيا حتى سيطر على طرق التجارة الرئيسية بين المغرب وأفريقيا.

وفي عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م استشهد أبو بكر بن عمر في ساحة الجهاد . ثم عادت غانة وازدهرت وصارت صاحبة السيادة والنفوذ في الأراضى التى بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي، وتبعتها الشطر الجنوبي من موريتانيا ومدينة أودغشت ونيمه وولاته ، ثم ضعفت غانة أمام قبيلة الصوصو الوثنية، وامتد سلطان دولة مالي إلى غانة ثم ضعفت مالي . وظهرت دولة صنغى في حوض النيجر الأوسط شرقى السنغال وقويت ثم استقلت عن مالي وازداد نفوذها في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى فى عهد اسرة اسكيا واستولى (سن على) ملكها على تمبتكو وامتد سلطانها إلى وولاته وإقليمها فى موريتانيا وكان حكامها بعد (سن على) متمسكين بالإسلام خاصة فى عهد محمد بن أبى بكر عام (٨٩٩-٩١٥هـ/١٤٩٣-١٥٢٨م) الذى جعل مدينة تمبتكو عاصمة لدولته، ثم حاولت صنغى الاستيلاء على بعض مناجم الملح مما أغضب الأمير أحمد المنصور الذهبى سلطان الدولة السعدية فى المغرب الأقصى فأرسل حملة عسكرية ٩٨٧/١٥٧٩ فى عهد حاكمها أسكيا إلى التنازل عن مملكتاته فى بلاد موريتانيا والقبائل الصنهاجية وعادت الحملات العسكرية بالغنائم وبعد تلك الحملة تقدم أمير برنو شرقى صنغى فى عام

١٠٠٠هـ/١٥٨٢م إلى المنصور الذهبي يعلن بيعته له وبعث إليه بهدية.

وعندما سقطت دولة صنغى عملت مراكش على نشر الثقافة الاسلامية عن طريق مبعوثين من العلماء حيث انتشرت الحضارة الاسلامية فى مدن ولاتا وتمكتو وجنى.

لقد عمل الفتح المغربى للسودان على اعلاء راية التوحيد الاسلامية كما استفاد المغاربة ماديا من الثروات الطبيعية التى تزخر بها ارض السودان.

كما أن رجال الجيش المغربى كانوا من جنسيات مختلفة وتزوجوا من النساء السودنيات وخالطوا أفراد الشعب السودانى ولكنهم كانوا مميزين بين السودانين.

على أن موريتانيا عادت لأرضها التى كانت قد استولت عليها دولة صنغى كما أن بعض الجنود الذين كانوا قد شاركوا فى الحملة استقروا فى ض موريتانيا منهم عرب المعقل قبيلة حسان التى نزلت بعض عشائرها من شنقيط كما نزلت قبائل حسان فى أنحاء متفرقة أخرى من موريتانيا وقد ساعدت تلك الخطوة فى تعريب موريتانيا.

العلويون (١٠٦٥-١٢١٨هـ/١٦٥٤-١٨٠٣م)

تنتمى العائلة العلوية فى المغرب الأقصى إلى العرب الأشراف الذين عاشوا فى المغرب منذ القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى واستطاعوا أن يجمعوا حولهم قلوب الأهالى حتى أنهم قدموهم على غيرهم لقيادة البلاد.

لقد تطلع المغاربة إلى قيادة ترفعهم من عثرتهم وتعيدهم إلى مجدهم السابق، وترفع عنهم الأغلال. لقد بايع المغاربة مجمد بن الشريف في سجلماسة.

لما ضعفت الدولة السعدية تطلع الشعب المغربي إلى العائلة العلوية لقيادته ليستعيد مجد البلاد المغربية من جديد.

وهكذا بايع المغاربة محمد بن الشريف في مدينة سجلماسة ثم شرع هو في توسيع رقعة نفوذه فاستولى على درعة ثم اتجه إلى مدينة فاس فاحتلها وبعد وفاته تولى أخاه الرشيد بن الشريف العلوي (١٠٧٥-١٠٨٣هـ / ١٦٦٤-١٦٧٢م) .

وقد تمكن الرشيد من إخضاع البلاد كلها لسيطرته عدا المدن الساحلية حيث كان الاستعماريون الأوربيون قد استولوا عليها فكان على عاتق الأمير اسماعيل استرداد المهدية والعرائس وطنجة.

وفي خلال أقل من قرن كان المغرب قد توحد واتسعت أطراف الدولة العلوية حتى وصلت إلى مجاهل الصحراء في مناطق السودان وتوحدت القيادة المغربية العلوية حيث أنهى عهد حكام الولايات التابعة للحكومة المغربية.

توفي السلطان الرشيد ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م وخلفه السلطان اسماعيل (١٠٨٣-١١٣٥هـ / ١٦٧٢-١٧٢٧م) . ثم بعث السلطان بالحملات العسكرية التي قضت على الثورات في مهدها. ثم بدأ في تنظيم جيشه وجعله تحت سيطرته وضمن بذلك احكام الرقابة واحكام قبضته على البلاد وصد عنه

أعدائه بجدارة وبجسارة.

اتخذ السلطان اسماعيل سياسة استعادة البلاد التي استولى عليها الأسبان والانجليز، وغزا المعمورة في عام ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م ثم غزا طنجة بعد حصارها وأدخلها إليها سكان إقليم الريف ثم استرد لاراش في عام ١١٠١هـ / ١٦٨٩م وأرزيلا في عام ١١٠٣هـ / ١٦٩١م.

ثم اتجه السلطان اسماعيل إلى شواطئ البحر الأبيض واستولى على مليلة.

كما أرغم العثمانيين على الوقوف عند الحدود الجزائرية فلم يتخط جنودهم أرض المغرب الأقصى. وتوالى بعده سلاطين علويون دبروا أمر البلاد في حزم وحكمة وحسن إدارة لدفة الأمور وتصريف شئون الرعية فدافعوا عنها ضد الأجانب ونشروا فيها الوية العلوم والمعارف والأداب والفنون وأقاموا بين ربوعها العمران ونعمت البلاد ردها من الزمن بالاستقرار السياسي والاجتماعي ودخلوا في علاقات مع معظم الدول الأوربية إلى أن بدأ احتكاكهم بالتدخل الأجنبي إبان القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي الذي اتخذ صورة الحرب تارة والمكر والخديعة تارة أخرى إلى أن بدأ هؤلاء السلاطين يعجزون عن مقاومة الأخطار الخارجية والداخلية بالرغم من الجهود الصادقة التي بذلوها في سبيل إنقاذ البلاد والحفاظ على كيائها ودعم وحدتها.

لقد أخذت فرنسا تولى إهتمامها نحو استغلال الصحراء الجنوبية بعد عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م فعمل الفرنسيون على فرض نفوذهم في جنوب المغرب الأقصى في موريتانيا.

واستطاعت فرنسا السيطرة على ترارزة في عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ثم اتجهت إلى الأدرار ثم تراجع الفرنسيون بعد ظهور المقاومة الموريتانية التي قادها ماد العينين محمد بن فاضل الذي تمكن من صدهم عن الزحف داخل البلاد ولما عاود الفرنسيون محاولتهم في مهاجمة الأدرار عقد الشيخ ماء العينين اجتماعا مع مشايخ القبائل في عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م وبعثوا إلى الأمير عبد العزيز سلطان المغرب لنجدتهم وصد العدوان الفرنسي فبعث السلطان عبد العزيز جيشا يقوده الأمير إدريس للدفاع عن موريتانيا.

وفي عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م بدأت المعارك بين المغرب وفرنسا حتى انتهت في عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م باستيلاء الفرنسيين على الأدرار وظلوا يواصلون توغلهم في موريتانيا حتى أخضعوها لسلطانهم في عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م إلا أن المقاومة في بلاد المغرب من الجنوب إلى الشمال ضد فرنسا ظلت مستمرة حتى عام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م وقد واجه الفرنسيون صعوبات في إدارة البلاد حيث تعذرت سيطرتهم على تحركات القبائل في البلاد ولذلك ظلت القيادة في إدارة البلاد في يد العسكريين ثم عادت الإدارة الفرنسية في موريتانيا في عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م إلى اسناد الإدارة إلى المدنيين.

وفي عام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م رفع المرابطون من الصوفية راية الجهاد ضد فرنسا إلا أنها لم تستمر حيث تمكن الفرنسيون من إخمادها.

لقد سار نظام الحكم في موريتانيا قبل قدوم الفرنسيين إليها وفقا لحدود معينة لكل قبيلة تتبع شيخ القبيلة المسئول عن إدارتها باستقلالية. فلما جاء الفرنسيون نزعوا من المشايخ سلطاتهم وجعلوهم همزة الوصل بين الشعب

والإدارة الفرنسية فصار شيخ القبيلة مجرد متلق الأوامر وناقل لها فكان ذلك من أسباب ضعف شيخ القبيلة .

وقسم الفرنسيون موريتانيا إلى دوائر وجعلوا لكل دائرة مدير فرنسيا ويعاتونه ثلاثة أفراد من الأهالي وكان جمع الضريبة من الشعب من مهامهم الرئيسية أمام الإدارة الفرنسية وشكل المجلس الوطنى من أربعين عضوا بالانتخاب ويرأسهم فرنسى والمجلس هو الذى يحدد مقدار الضريبة التى يجمعها رؤساء الدوائر.

كما أن هناك مجلس عام تشكل أعضاؤه من بين أعضاء الجمعيات الإقليمية، ويرتبط ممثلو هذا المجلس بالجمعية الوطنية الفرنسية .

ويوجد كذلك مجلس تنفيذى عن الإدارة الحكومية فى الإقليم وللجمعية البرلمانية حق التشريع ومهمة الحكومة تنفيذ القوانين، ورئيس المجلس التنفيذى هو حاكم الإقليم .

وفى عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م شكلت أول حكومة موريتانية ذات استقلال ذاتى .

السكان:

عدد السكان بسيط بالنسبة لمساحة البلاد وينقسم المجتمع الموريتانى إلى عدة طبقات مرتبطة ببعضها .

فقبائل بنى حسن العربية وهى الطبقة المحاربة والتى نزلت موريتانيا وكان لها دور بارز فى تعريب موريتانيا خاصة وأن أهل موريتانيا كان لهم إقبال على التعلم .

نزلت قبائل حسان (بنى حسن) التي استقرت في أدرار وتيرس في الجنوب الغربي من موريتانيا والبرابيش الحسانيين في مدينة تيشيت والأودية الحسانية في الصحاري الواقعة بين ودان وولاته، فشغلت قبائل حسان العربية جميع موريتانيا.

ثم المرابطون وهم من صنهاجة التي خالطت العرب ثم تحولت إلى ممارسة الشعائر الدينية وتفرغوا للعبادة وكانوا موضع الرعاية من جانب الأهالي.

ثم جماعات السود وقد جمع الاسلام بين هؤلاء جميعهم وعمل على تعليمهم وحفظهم للقرآن والعلوم الإسلامية فهم يتعلمون في الزوايا التي هي بمثابة المعاهد الدينية ويشرف عليها العائلات العريقة في المراكز الكبيرة فيهي تقوم بتحفيظ القرآن والتعريف بمبادئ الدين.

ومنهم من يتجه إلى مراكز العلم في الشمال ليواصل تعليمه العالي في جامعة القرويين وفي غيرها.

وفي نفس الوقت عمد الاستعمار الفرنسي في موريتانيا إلى إدخال السود في المدارس الفرنسية ليعملوا على إحداث فجوة ثقافية بين أفراد الشعب الموريتاني الواحد.

على أن المرابطين رأوا في خطة التعليم الفرنسية في البلاد ما يهدد شئون التعليم ويجعل ازدواجية ضارة بمصلحة الشعب الموريتاني إذ يجعل من الثقافة الواحدة المميزة والتي ترفع من شأن الوطن ثقافتين قد تتعارض مع ما هو متبع في موريتانيا.

كما أن الاستعمار الفرنسي لموريتانيا عمل على تقييد حرية الشعب الموريتاني في إنشاء المدارس الحرة داخل المدن. فضلا عن تقييد حريتهم في مواصلة التعليم في مراكز التعليم المتقدمة في الشمال. فضلا عن ذلك فإنهم يتربصون بمن يواصل تعليمه في الشمال فيحرمونه من عودته إلى البلاد من المشاركة في العمل داخل المجتمع الموريتاني، لقد كان هدف الاستعمار الفرنسي إبعاد شباب موريتانيا عن بقية الشعوب العربية التي تتمتع بحرية الفكر.

أما خريجو المدارس الفرنسية فيعتمد إلى تسخيرهم في خدمة أغراضه الاستعمارية.

الموارد الاقتصادية:

منذ الحملة العسكرية في عهد السلطان منصور الذهبي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وتوغلها في أراضي السودان وتنازل اسكيا داود عن ممتلكاته في موريتانيا، كذلك إعلان أمير برنو شرقي ضغى إعلان تبعيته للسلطان منصور الذهبي، واختلاط رجال جيشه بالسودانيات وزواجهم بالنساء السودانيات.

كما أن قبائل المعقل وخاصة قبائل حسان الذين بعث بهم المنصور الذهبي من مناطقهم في سجلماسة والدرعة في المغرب الأقصى ليوطد بهم فتوحاته في بلاد السودان تلك القبائل الضنهاجية ورجال الحملة العسكرية استقروا في الزررض الموريتانية وصاروا من هلها لقرب سكانها من أماكنهم التي جاءوا منها من الشمال.

وقد اشتغلت تلك القبائل بالزعى متنقلين وراء الكلاً وفى أرض تيرس
غربى أدرار الممتدة جنوباً وغرباً حتى المحيط الأطلسى يرعون فيها
أنعامهم وإبلهم.

وقد استعان الصنهاجيون بعمالهم من السودان يكلفونهم بأعمال
الزراعة والسقى ورعى الأنعام والمواشى وحفر الآبار ويزاولون الصيد
البرى مثل الوعل والنعام والماعز وتنبت ولاته الدخن والذرة أما شنقيط
فبها نخل كثير ويزرع فى جبالها القمح والشعير والدخن واللوبيا، وفى أدرار
يزرعون القمح والشعير فى أرض النخل، كما يزرعون الفندى فى الأودية
والرمال بطيخ أبيض اللون وأخضره والبطيخ الأبيض يصنعون من بذره
دقيقاً يخلط بدقيق الدخن ويكونوا منه العصيدة. وغالب طعام أهل المدن
اللبن والتمر.

كما يشتغلون بصيد الأسماك على طول الساحل الأطلسى كما يقومون
باستخراج الملح والنترات فى أماكن متفرقة من البلاد ويوجد النحاس فى
كجوجيت والحديد فى فورجوزو. وتوجد صناعات يدوية مثل صناعة
السروج والأنسجة الصوفية وغيرها.



حركة التحرر الوطنى

أخذت الحركة الوطنية الموريتانية شكلاً إيجابياً حيث تكون جيش
التحرير الموريتانى بقيادة الأمير سيسيه زكريا، وذلك عقب حصول المغرب
على الاستقلال فى عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م. وبدأ جيش التحرير الموريتانى

يشن هجمات وغارات قوية على قوات الاحتلال عام ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م إلا أنه لم يكتب لهذه الحركة الموريتانية النجاح حيث دبرت فرنسا خطة لاعتقال زعيمها سيسي زكريا وتبديد أعضائها فدخل بعضهم في دائرة الحكومة الفرنسية في موريتانيا ولجأ البعض الآخر إلى المغرب مطالبين بالإنضمام إلى المغرب.

وفي عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ عقد ممثلوا الصحراء الغربية إجتماعا بصحراء المغرب يعلنون فيه تأييدهم للمغرب في مواصلة الكفاح لاسترجاع بقية الأرض المغربية، واستنكار السياسة الفرنسية الغاشمة في الأرض الموريتانية ثم عقد مؤتمر طنجة في نفس عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م جمع ممثلين من الجزائر وتونس والمغرب الذي أعلنوا فيه تأييد كفاح شعب موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي ومؤازرتها للانضمام إلى المغرب العربي.

لقد بلغ الوعي القومي درجة عالية إلى الحد الذي دفع ببعض الشخصيات السياسية الموريتانية إلى الاتجاه إلى الشمال وتعلن عن قوميتها المغربية وتنادى بالدفاع عن موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي.

ومن أجل تلك الأهداف عقد مؤتمر الرباط في عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م الذي تشكت فيه اللجنة التحضيرية من مشايخ قبائل موريتانيا ومن بعض كبار رجال الحكومة الموريتانية وأصدر ذلك المؤتمر قرارات أكدت إجماع موريتانيا على الحصول على الاستقلال مع الاتحاد مع المغرب.

وأعلن الملك محمد الخامس ملك المغرب تأييده لعقد هذا المؤتمر وقال عنه أنه دليل على يقظة موريتانيا والصحراء وانتشار الوعي القومي فيها وعزم شعبها على التحرر والوحدة.

وتكلم فى المؤتمر السيد أحمد حورمه ولد بابانا المستشار فى شئون الصحراء بوزارة الداخلية وقال لقد أصبحت الحرية بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت وأعلن رفضه للمؤامرات الاستعمارية الفرنسية لفصل موريتانيا عن المغرب.

ثم تكلم الشيخ ماء العينين فقال : « إن انضمام الجزء الجنوبى للمغرب واتصاله به سلسلة متصلة الحلقات من القرن الأول للفتح العربى الاسلامى على يد عقبة بن نافع الفهري على اختلاف الدول إلى عام إتيان الوفود الشنقيطية الصحراوية إلى السلطان مولاي عبد العزيز فى فاس وإتيانهم إلى السلطان مولاي عبد الحفيظ فى مراكش ثم وفودهم التى مازالت تتحرى بعد الاستقلال على جلالة مولانا محمد الخامس نصره الله بطل التحرير ورمز الوحدة، ثم واصل المؤتمر اجتماعاته واتخذ عدة قرارات أهمها:

أولاً: أن ممثلى موريتانيا والصحراء يجددون ولاءهم وإخلاصهم الدائم للمقاوم الأول محرر الوطن صاحب الجلالة محمد الخامس وتعلقهم بالعرش العلوى المجيد.

ثانياً: يؤكدون أن موريتانيا والصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب كما يؤكدون عزمهم على التحرر من النظام الاستعمارى المفروض عليهم والالتحاق بالجزء المحرر من الوطن المغربى الكبير.

ثالثاً: يطالبون بعرض قضية موريتانيا والصحراء على منظمة الأمم المتحدة فى أول مناسبة.

موريتانيا في السياسة الدولية

اتجهت سياسة المغرب بعد إعلان استقلالها في عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م إلى السعى لحل مشكلة الحدود الجنوبية إلا أن فرنسا أصرت على تنفيذ خطتها في فصل موريتانيا عن المغرب.

قامت سياسة المغرب بطلب انضمام موريتانيا إليه على اساس جغرافي وقومي وتاريخي، ويؤيد مطالب المغرب في استرجاع حدوده الأصلية حجج كثيرة منها، أن الروابط السياسية بين موريتانيا والمغرب بدأ على الأقل منذ قيام دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كما يؤكد سلطة الدولة المغربية واستمرارها عدة قرون إلى أن فرضت الحماية على ان مجموعة من الدول الإفريقية بإيحاء من فرنسا عمدت إلى عقد مؤتمر في أبيجان عاصمة ساحل العاج قبل إعلان استقلال موريتانيا بيومين وأعلنت في المؤتمر أن المؤتمر قرر وجوب تأييد استقلال موريتانيا لدى بحث هذه القضية في الأمم المتحدة وتأييد انضمامها إلى عضويتها.

وفي عام ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م تقدمت حكومة المغرب بطلب تسجيل قضية موريتانيا في جدول أعمال الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة.

وبعد مناقشات بين الدول الأعضاء في الأمم المتحدة انتهى رأى اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إعلانها تأييد منح موريتانيا الاستقلال.

وهكذا حصلت موريتانيا على استقلالها وأعلن قيام جمهورية موريتانيا الإسلامية في نهاية عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م وانتخب ولد داده رئيس التجمع الموريتاني رئيسا للجمهورية وانضمت الدولة الجديدة إلى الأمم المتحدة عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ثم انضمت بعد ذلك إلى جامعة الدول العربية.

الباب السادس

السودان

السودان من الفتح العربى إلى الاستقلال

• الوصف الجغرافى

• السكان

• حركة تعريب السودان

• الذين والحركات الصوفية فى السودان

• استقلال السودان

مع أن هذا الكتاب يتحدث عن تاريخ دول المغرب العربي فإنه يتناول أيضا تاريخ السودان وذلك للدور الذى لعبته القبائل المغربية والعربية فى دخول الاسلام إلى السودان ثم انتشاره بين ربوعه خاصة السودان الغربى فلزم الحديث عن السودان باعتباره امتداد لحركة الجهاد الاسلامى العربى . أما شرق السودان وشماله وجنوبه فقدمت إليه هجرات عربية من مصر منذ بداية الفتح الإسلامى وخلال العصور الإسلامية لمصر وخاصة عصر المماليك .



والسودان هضبة فسيحة تنعزل عن شمال وادى النيل فالصحراء يجرى فيها النيل ويحده من الشرق مرتفعات البحر الأحمر ومن الغرب منطقة جدباء يجرى فيها الروافد التابعة للنيل الأعظم ولا توجد حدود فاصلة بين الدول الجنوبية، وإنما هى حدود سياسية، ويسير خط الحدود مع حافة بعض البحيرات متعرجا حتى نيمولى فيمتد منها باستقامة الى الساحل الغربى لبحيرة رودلف مجتازا أراضى وعرة ويقطع مستقنعات عالية عند اقترابه من البحيرة وتركه لها . ثم يتابع خط الحدود مسيره مع حافة هضبة الحبشة وهضبة أريتيرية حتى البحر الأحمر ثم يسير مع البحر الأحمر إلى خمسمائة ميل مع الإقليم المصرى .

فالسودان ترتبط حدوده مع شمالا ومع أريتيريا والحبشة شرقا ومع أوغنده والكنغو فى الجنوب وفى الغرب مع دولة تشاد وتفوق مساحة السودان ضعفى مساحة مصر ولذلك تباعدت خطوط العرض فى بلاد السودان وكان لهذا التباعد نتائج فى تنوع الظواهر المناخية والحياة النباتية

والحيوانية والبشرية وتعددت التواحي الحضارية الريفية الصحراوية كما تنوعت المجتمعات البشرية وتعدد الاقتصاد.

فيوجد على النيل العظيم المجتمع الحضري وفي جبال النوبة في جنوب شرق كردفان المجتمع القبلي وكذا عند روافد النيل الجنوبية .

كذلك يوجد المجتمع الرعوى والمجتمع الزراعى . وتتداخل المناطق في السودان . فهضبة السودان المستوية يجرى فيها نهر النيل وروافده ويحيط بها المرتفعات من الشرق والجنوب ومجموعة متعددة من التلال منها مرتفعات النوبة التى فى جنوب شرقى كردفان.

ويحيط بنهر النيل الذى يجرى فى هضبة السودان الصحراء التى تمتد على شاطئيه من الشرق كما تمتد من الغرب حتى حدود المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب .

وتعلو أرض الصحراء التى تغطيها الرمال والحصى بعض التلال التى لايزيد ارتفاعها عن بضعة مئات من الأمتار وهى متناثرة ، تبدو متباعدة أحيانا وتتقارب أحيانا أخرى تشكل سلسلة جبال متتالية .

وتختلف شكل الأرض فى الناحية الشرقية فهى عند البحر الأحمر صخور صلبة بلورية الشكل وتصل فى ارتفاعها إلى آلاف الأقدام مع الانحدار الفجائى الشديد إلى الداخل وتمتد حتى تربط مرتفعات الإقليم المصرى من ناحية والإقليم الأريتري من ناحية أخرى

على أنه يوجد سهل ساحلى ضيق يفصل تلك التلال عند ساحل البحر كما توجد روافد مثل العلاقى . هذا بينما يغطى مظهر الصحراء ناحية

الغرب الذى تمده المياه الجوفية من ينابيع تشكل واحات تسليمة ونخيله والبطرون، فى هذا الجزء الغربى يوجد وادى الملك الجاف الضحل الذى يتراوح عرضه بين ميل وميلين وينتهى إلى النيل قرب بلدة الدبة، كما يوجد وادى المجدم وينتهى عند بلدة كورتى.

ويبدأ من النيل الأبيض فى الجنوب فى هذا المجال الصحراوى إقليم رملى التربة ويمتد نحو الغرب حتى دارفور تتخلله بعض التلال التى يوجد بها بعض الأودية التى تخفيها الرمال شمالا.

والسودان الشمالى ويقع بين وادى حلفا والخرطوم. أما فى السودان الأوسط ويقع بين الخرطوم وحوض نهر السوبات وبحر الغزال فتبدأ التربة السوداء التى تشمل كل منطقة السودان الأوسط والتى تمتد من الشرق حتى تضم كل الأجزاء الجنوبية منكسلا. كما تشتمل على البطانة فيما بين النيل الأزرق وعطبرة وهى منطقة خصبة التربة تسقط بها كمية من الأمطار تكفى لإقامة بعض المزروعات وبه مراعى واسعة على شاطئ النيل ونهر عطبرة ويزرعون الحبوب والقطن.

والسودان الجنوبى الواقع بين هذين الحوضين والحوض الجنوبى لنهر النيل.

وفى الجنوب إلى حوض نهر بحر الغزال يوجد حوض مستوى السطح تشقه عدة روافد مجارى مياه تفيض مياهها على جوانبها وتعطى مظهر المستنقعات وهى تعرف بمنطقة السدود وبعض هذه المجارى تواصل سيرها حتى بحر الغزال أو بحر الجبل. وهذه الناحية الجنوبية من السودان تغطيها الحشائش والأدغال.

أما منطقة المستنقعات فتغطيها الغابات والبردى وبعض الحشائش الأخرى. وترتفع بعض أجزاء في المنطقة يبني عليها سكانها قراهم ويرعون أغنامهم ويزرعون بعض البقاع ومنه من يشتغل بصيد الأسماك ويصطادون في الغابات.

أما عن المناخ في السودان فهو يتدرج من المظاهر الصحراوية في الشمال المناخ الجاف شديد الحرارة إلى المظاهر المدارية في الجنوب حيث المطر الغزير وحيث الرطوبة فتقل درجة الحرارة عنها في الشمال.

وتتعرض سهول السودان لنوعين من الرياح فتهب الرياح التجارية الشمالية الشرقية من صحراء العرب في شهر نوفمبر وتستمر حتى شهر أبريل.

ثم تأتي الرياح الجنوبية المشبعة بالأمطار من شهر مارس حتى يبلغ الذروة في شهرى يوليو وأغسطس ثم يقل تدريجيا حتى شهر نوفمبر، بينما يأتي الجفاف في ديسمبر ويناير وفبراير.

والمطر أهم العوامل المناخية في السودان وذلك بسبب وجود مناطق كثيرة لا تنتفع من مياه الأمطار وروافده وتزرع أرضها بالأمطار بما يزيد عن ثمانية في المائة من أرض السودان المنزرعة وحيثما تكثر الأمطار يكثر ازدهام السكان، وحيث يقل المطر تقل كثافة السكان وتختفى حرفة الرعى للإبل والماشية، وتكثر الأمطار كلما كان الإتجاه جنوبا، كما يطول موسم الأمطار.

أما في منطقة الخرطوم فيتمد موسم الأمطار من يونيو إلى أغسطس.

أما فى أقصى الجنوب فى جوبا فيمتد من فبراير إلى نوفمبر ويستمر
المطر مدة أربعة شهور فى واد مدنى.

وفى السودان الشمالى حيث تمتد السهول الشرقية ناحية البحر الأحمر
فيزرع الذرة فى تلك السهول وعلى شواطئ النيل وتسكنه قبائل النوبة . كما
تكثر المراعى فى تلك النواحي التى ينتقل فيها الرعاة من ناحية إلى أخرى
للرعى.

وتكثر فى السودان الجنوبى وتغطيه الحشائش والأدغال وفى جنوب نهر
السوياط وبحر الغزال.

ويتحول فى الجنوب إلى مستنقعات تغطيها الغابات والبردى والحشائش
التي تتسبب فى فقد كثير من المياه المنحدرة من بحيرة البرت إلى بحر
الغزال.

السكان:

الزنج هم سكان السودان الأصليين وهم العنصر الأسود(السود) على
أنه دخل السودان جماعات من الحبشة ومن بلاد العرب شرقا ومن مصر
وشمال أفريقيا (بربر) شمال وغربا. على أن قدوم تلك الجماعات إلى بلاد
السودان كان بغرض التجارة والعبيد. وكان لدولة المرابطين دور فى نشر
الاسلام فى أفريقيا وامتداده من جنوب غرب المغرب الأقصى من
موريتانيا إلى حوض النيجر وبلاد البرنو والكانم من المثلثين الذين دخلوا
فى الاسلام ثم قاموا بحمل لواء نشر الدعوة الاسلامية وتمكنوا من فترات
رحلاتهم للتجارة من تغلغل النفوذ الاسلامى من تشاد إلى غرب السودان

وأرض النوبة . كما أن الكتلة الكبيرة من قبيلة زوارة البربرية المسلمة التي كانت في فزان وهاجرت إلى اقليمى وادى دارفور غربى الخرطوم وهاجرت معها عرب الشوا وهم رعاة الشاة ومنهم فى غربى السودان اسلامات وخزام والجعادنة والمحاميد والدكاكير ثم بعد ذلك أولاد سليمان وهؤلاء أقاموا مملكة اسلامية فى اقليمى دارفور ووادى حوالى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى.

على أن القبائل العربية التي اندفعت إلى أرض النوبة ونزلتها، وبقي بعضهم فى دنقلة ثم واصلوا سيرهم مع النيل حتى وصلوا إلى النيل الأبيض ثم اتجهوا إلى الجنوب بغرب منتشرين فى أرض كردفان.

أما سكان جبل النوبا فهى تعد وحدة جنسية من سلاطات الفنج التي تمتد إلى دارفور وحتى نيجريا وساحل الذهب (غانة) حيث كانت إقامتهم فى مناطق جبلية عالية تحول بينهم وبين الامتزاج مع العنصر العربى فى تلك المناطق.

وينقسم السودان إداريا تسع مديريات هى المديرية الشمالية وعاصمتها دنقلة ومديرية الخرطوم وعاصمتها أم درمان ومديرية كسلا وعاصمتها كسلا ومديرية كردفان وعاصمتها الأبيض ومديرية دارفور وعاصمتها الفاشر ومديرية النيل الأزرق وعاصمتها واو ومديرية أعالي النيل وعاصمتها الملاكال والمديرية الاستوائية وعاصمتها جوبا.

والزنوج قبائل كثيرة من الشلك غربى النيل الأبيض عند بحيرة نو فى قرى متسلسلة لكل قرية شيخ ولكل مجموعة من القرى ناظر وأفرادها أقوياء وشجعان طوال القامة أما قبائل الدنكا فتسكن شرقى النيل الأبيض

سود الوجوه وهم أجمل الزنوج شكلا. أما قبائل النوير فتقيم في بحر الغزال وبحر سبت في منطقة السدود والمستنقعات والجزر ثم النوبة التي تسكن أفرادها جنوبي كردفان وأجسامهم عارية.

ويحترف الزنوج الذين يطلق عليهم اسم العبيد أو السود أو النجر الصيد وتربية البقر والماشية ولكل قبيلة لغة ساذجة قليلة الألفاظ وهم في غالبيتها وثنيون.

أما الصحراء الشرقية بين النيل وساحل البحر الأحمر فهناك قبائل البجة وهم أيضا بقايا شعوب إثيوبيا القديمة ويقال أنهم من سلالة أولاد كوش ابن حام بعد الطوفان وكانوا وثنيين ثم صاروا مسلمين وفي البجة قبائل العباددة ويتصلون بالسودان والبشارية من القصير إلى سواكن والاحرار والهندوة وهم أقوى البجة بين خوربركة والعطبرة وطريق بربر سواكن وقبائل بني عامر والحباب.

كما أن سكان الجزيرة العربية من نزح إلى السودان في تاريخ بعيد، غير أن نزوح القبائل العربية كان أوضح وأكثر فالعرب الذين سكنوا السودان بعد الاسلام هم أكثر السكان عددا وأوفرهم حضارة وذكاء وعلماء.

ففي عهد الخليفة عثمان بن عفان اتجه عبد الله بن أبي سرح بحملة عسكرية إلى أرض النوبة حتى دنقله وعقد مع أهل النوبة معاهدة اشترط عليهم فيها صيانة المسجد الذي بناه المسلمون في دنقلة وحماية المسلمين الذي يقدمون إلى النوبة وقد مهدت هذه الخطوة للعرب التوجه إلى أرض النوبة والعيش في تلك الأراضي في بلاد مريس بأرض السود وبأرض المعدن ببلاد بجة في شرق السودان.

وفي العصر العباسي في عهد الخليفة المعتصم حرم العرب من المرتبات التي كانت تدفع لهم كجنود، ونزل جماعات من عرب بلى وجهينة ومن اليمينية إلى أرض المعادن أرض البجة وفي عهد المتوكل العباسي نزلت قبائل من ربيعة كذلك.

وقد منعت هذه الهجرات العربية قبائل البجة - سكان شرق السودان - من الاغارة على الصعيد كما تمت مصاهرة بين العرب من ربيعة والبجة وصارت معادن الذهب بالعلاقي في أيدي العرب الذين اتسع نفوذهم وكثرت أموالهم وصارت لهم مكانة في بلاد البجة وبنوا القرى وحفروا الآبار وعمرت بهم المنطقة وكثر العرب من مضر من بنى سليم وغيرهم وفي العصر الفاطمي . دخل جماعات من بنى قره بلاد النوبة بعد خلاف وقع بينهم وبين الحكام الفاطميين واستقروا بها بعد خلاف وقع بينهم وبين الحكام الفاطميين واستقروا بها .

وفي عهد الخليفة الفاطمي الحاكم حصل زعيم ربيعة بشر بن اسحاق من الخليفة الحاكم على لقب كنز الدولة مكافأة لوفائه للفاطميين .

وفي العهد الأيوبي

اختلف الأيوبيون وبنى الكنز فانسحب بنو الكنز من مصر واتجهوا إلى الجنوب واستقروا في بلاد مريس وهؤلاء هم جماعة الكنوز الذين في بلاد النوبة لم يخرجوا منها وظلوا على حالهم لا ينازع فيها أحد .

وفي العصر المملوكي

ظهرت حركة المقاومة العربية التي قادها الزعيم العربي حصن الدين

ثعلب الذى قال ان العرب هم أصحاب البلاد ومنع الأجناد من تناول
للخراج باعتبار أن العرب أحق بالحكم من المماليك.

جمع حصن الدين العرب الذين بلغ عددهم اثنى عشر ألف فارس
وحارب بهم المماليك بقيادة عز الدين أيبك سلطان المماليك.

وقامت المعارك الحامية بين العرب والمماليك وانتهت بخروج العرب
من مصر فاتجهوا إلى بلاد السودان ، فكاثروا هناك أهل البلاد حتى صار
لقبائل بلى وجهينة ومجيد ومهرة وجيدان من اليمينية الغلبة على بلاد
النوبة.

وفى عهد السلطان المملوكى قلاوون وصلت جهينة كما جاء فى نسب
السودانيين إلى مايزيد على خمسين قبيلة على النيل الأزرق حتى تونس.
واستقر بعضهم فى الجزء الممتد من الجنوب إلى كردفان ودارفور.

وفى غرب السودان يوجد جماعات تنتسب إلى الهلاليين أو إلى أبى
زيد مثل التنجور والفور والزريقات وهلالية البرق والزيادية وقد نتج عن
التمازج بين العرب والسودانيين صعوبة التمييز بينهما.

كما أن هناك جماعات من قبائل بنى سليم وبنى فزارة تعرف باسم
بنى سليم وتنتهى إلى مجموعة البقارة وتعيش على الليل الأبيض من
الناحية الغربية فى كردفان. ومن قبائل فزارة القيسية التى فى شرق ووسط
كردفان فتتألف من دار حامد وبنى جرار والزيادية والبزعة والشنابلة
والمعاليا. ثم انتسب الزياتيون فيما بعد إلى أبى زيد الهلالى.

أما البزعة فقد قدموا من شمال أفريقيا كما قدمت قبائل هواره من

صعيد مصر إلى السودان ونزلوا في شمال السودان وغالبيتهم بدو رحل
وملهم من استقر في دنقله، وترحل هواره في فصل الامطار بقطعانها إلى
غرب السودان ويقومون بالرعى مع الكبابيش من وادى الكاب إلى حدود
دارفور. ثم يعودون إلى الشرق في فترة الجفاف.

ويعيش جماعة أخرى من هواره بالقرب من الأبيض في كردفان حول
خمى وأم دليكه وقد اختلفت سحنة بعض هواره من العناصر الزنجية لشدة
إختلاطهم بهم.

أما قبيلة قريش فإنهم كانوا أكثر اندماجا مع عرب السودان من
غيرهم. فملهم البكريون والعمريون والزيريون والطالبيون والعباسيون
والأمويون.

على أنه يمكن تقسيم العرب في السودان إلى ثلاث فرق جهينة
والطالبيون والعباسيون، على أن أكثر الطالبين يجتمعون في ركاب غلام
الله بن عائذ أما العباسيون فتجمعهم قبائل الجعليين على أن غالبية عرب
السودان تنتسب إلى جهينة.

ومن القبائل التى تنتسب إلى جهينة الشكرية ومن قبائل قريش من جاء
السودان من مصر ومنهم من جاء من بلاد المغرب العربى.

ومن القبائل التى تنتسب إلى أبى بكر الصديق قبيلة نجد المسلمية، كما
أن هناك جماعات تنسب نفسها إلى البكرية وهؤلاء يعيشون في الجزيرة
وعلى ضفتى النيل الأبيض، وغالبيتهم يمارسون الزراعة ومنهم شعبه
تمارس البداوة وتعيش في البطانة.

واشتهر الجعليون وهم أكثر عدداً في السودان بأنهم عباسيون ويعيش الجعليون على نهر النيل في المنطقة بين الخرطوم وبلاد النوبة وفي شعب وفروع البطانة والنيل الأزرق والنيل الأبيض جنوب الخرطوم ونحو الغرب إلى كردفان والغالب أنهم أتوا إلى السودان من مصر.

وسكن الطالبيون وادي الكنوز ووادي النوبة إلى حدود دنقلة ويبدو أن هناك صلة تربط بين الطالبيين والكنوز ثم قدم إليهم جماعات منهم للجوابة والغريبة وجاوروهم.

أما قبائل الركابية فيسكنون أواسط بلاد المحسن في دنقلة ويلتسبون إلى جد من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب وهو ركاب بن غلام الله. وقد هاجر هؤلاء إلى غرب السودان.

أما الجعافرة فقد نزلوا بلاد المحسن ومنهم جماعة تعيش في كردفان ولها اتصال بالجوامعة والعليقات وهي عشيرة كانت في وادي العلاقي في أرض المعدن ومنهم جماعة سكنت بين المضيق وكدسكو ومنهم جماعة للصوارة في بلاد المحسن.

أما أسرة سوار الذهب من البيت الهاشمي فقد عاشت في دنقلة. وأما جماعة الفادنية فقد سكنت في بوحصين وهؤلاء يرجع نسبهم إلى محمد بن الحنفية.

على أن جماعات كثيرة في أنحاء متفرقة في السودان تنسب إلى قريش منهم العبابدة وهم من نسل الزبير بن العوام ويتصلون بالكواهلة والعبابدة والكواهلة من قبائل بطحاء مكة وقد هاجروا من مصر إلى غرب

السودان ولهم فى كردفان اثار. ثم اشتغلوا بالرعى وهم جماعة القنن أبناء عمهم، ونزلوا بالضفة الشرقية للنيل شرقى الجريفات وإلى مابعد شرقى الحلفاية شمالا وملوك سدار (الفونج) وهم أيضا من قريش وهى أول سلطنة اسلامية فى السودان، ظل الفونج يحكمون على مدى ثلاثة قرون منذ بداية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى وهم من بنى أمية وهم ممن جاء من الغرب ويحتل من الجنوب من الحبشة حيث أن الكانم والبرنو يذكرون أن جماعة من بنى أمية قدمت إليهم عقب تتبع العباسيين لبنى أمية.

ومن قريش أيضا قبيلة كنانة بن خزيمة ويذكر أن كنانة ممن نرح إلى السودان فى عهد المماليك قدمت كنانة إلى السودان بزعامة منصور ومنهم تشعبت بطون كنانة الستة منهم أولاد سوار، وسكنوا سواكن ثم غادروها إلى دنقلة واستقروا بها وقتا ما ثم افترقت جماعتهم فذهبت جماعة منهم إلى كرن جنوبى تقلى فى كردفان وذهب آخرون إلى الكبابيش، واستقر آخرون منهم وهم الغالبية فى شرقى النيل الأبيض وظلوا بها لم يبرحوها .

لقد تحول السودان الشمالى ليكون موطنًا للقبائل العربية وبقي السودان الجنوبى كجزء من الجنس الزنجى فى أفريقيا. وفى السودان الشمالى شبه الصحراوى توجه جماعات حامية، وتتباين هذه الجماعات من ناحية التنقل والإقامة فهى مستقرة أحيانا مثل الكتورة والدناقة والمحسن والسكوت.

وفى المديرية الشمالية يعيش الناس على جانبى النيل فيما بين حلفا وبربر. أما الجماعات المتنقلة مثل البشارية والأدرار والهدندرة فهم يعيشون

فى صحراء عئاباى ومرتفعات البحر الأحمر وقد امتزجت النوبة فى شرق السودان بالبجة ومع العرب. ويتحدث البشارة والبجة العربية. والبجة عادة قوم رعاة ومنهم أيضا من يعمل بالزراعة فى دلتا الجاشى ودلتا طوكر وأیضا فى بور سودان.

أما السودان الأوسط، فیوجد العرب فى مديريات الخرطوم وكردفان ودارفور وجنوب كسلا فى الجبل الأبيض، ویعیش بعض الأجناس الأخرى فى تلك المناطق مع العرب مثل زغاوه والفور یعیشون فى دارفور والمالیت وتعيش جماعات میدوم فى جبال میدوم.

وتقوم الجماعات العربية فى الشمال برعى الإبل بینما يعمل آخرون فى الحواف الجنوبية برعى الأبقار.

أما مجموعة جهیئة من قحطان فهى:

أ) مجموعة رفاعة واللحويون والعوامرة والخوالدة والشكرية وهم یعیشون فى مديرية النيل الأزرق وفى البطانة.

ب) مجموعة دار حامد وبنى جرار والزیادية والبزغة والشانيلة والمعاليا ویعیش هؤلاء فى مديرية كردفان فى المناطق الشرقية والوسطى.

ج) مجموعة الدوحيية والمسلمین والبقارة والمحامید والماهرية ودارفور وبعضهم مثل الدوحيية والمسلمية تعيش فى أرض الجزيرة ومديرية النيل الأزرق، على أن البقارة الذین فى كردفان تنسب منهم بنى سليم وأولاد حمید والهبانية والحوازمة والمسيرية والحرر والمسيرية الزرق.

أما البقارة الذین فى دارفور فتتسبب إلى الزریقات الهبانية والتعايشة

وتنقسم الكبابيش الذين حول وادى الملك إلى عدة قبائل:

وفى جنوب السودان:

يعيش البقارة فى منطقة وفيرة الزرع والمطر وهم يرتحلون كرعاة للبقر فهم يعيشون فى الشتاء الجاف على ضفاف بحر العرب فى الأطراف الجنوبية لدارفور وكردفان أما فى فصل الأمطار حيث تتحول المنطقة إلى مستنقعات. ويهاجم الذباب الماشية فحينئذ يتجهون صوب الشمال ثم إذا انتهت فترة الأمطار فإنهم يبدأون فى الاتجاه صوب الجنوب إلى بحر العرب فيتقابلون مع النيلين - سكان مجارى أعالى النيل - من الدنكا والنوير والشوك وينتشرون فى مديرتى بحر الغزال وأعالى النيل، ويعيش قبائل النوير والدنكا فى المرتفعات بعيدا عن المجرى المائية التى تغمر الأرض فى فصل الفيضان ثم ينحدرون متجهين إلى الأرض المنخفضة بعد انحسار المياه فى فترة الجفاف وتلتمس الحشائش فيرعون فيها ماشيتهم.

فقبائل الدنكا تعيش حياتها بين الأراضى المنخفضة والأراضى المرتفعة التى يبذلون فيها بيوتهم حماية لهم من مياه الفيضان التى تغمر الأرض المنخفضة فى فصل الأمطار ويعودون إلى الأرض المنخفضة فى فترة الجفاف حيث يقومون بزراعة الأرض خلالها.

على أن اعتماد القبائل النيلية فى الجنوب على الأمطار بشكل عام على الرغم من عدم انتظام هطول الأمطار خلال العام. ولا تقوم تلك القبائل بالاستفادة من لحم ماشيتها وإنما تستخدمها للمبادلة بالحراش.

وأما قبائل النوبا التي في جنوب السودان فهي مستقرة وتعمل
بالزراعة.

الدور العربي في تعريب السودان في العصر المملوكي

ألفت الدولة الأيوبية بكل ثقلها لحماية الثغور المصرية الشامية من الخطر الصليبي ولكن الحدود الجنوبية لمصر لم تلق مثل تلك العناية إلى حد أنه أهمل شأن الحامية العسكرية التي كانت قائمة على الحدود عند أسوان مما أدى إلى قيام ملك النوبة بشن غارات على المناطق الملاصقة لحدود مصر الجنوبية وتمكن من أسر جماعة من أهلها.

حقيقة أن الخطر كان يجي دائما لمصر من الشمال أو الشرق إلا أن الجنوب كان أيضا في حاجة إلى عناية الدولة وحمايتها لأهله. أما في عصر دولة المماليك فقد أسبغت الدولة عنايتها واهتمامها بحدود مصر الجنوبية، ونشطت العلاقات بين مصر والنوبة، فكان لمصر دور فعال في حماية عرش النوبة من مغتصبه.

ومن الجدير بالذكر أن القبائل العربية في مصر شاركت في هذا العصر في الحملات الحربية ضد النوبة.

ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٥-٦٧٦هـ/١٢٥٧-١٢٧٧م) وقع صراع بين شكنده ملك النوبة وبين خاله داود على العرش عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م واستطاع داود إبعاد شكنده عن عرش النوبة فلجأ إلى مصر واستنصر بالظاهر بيبرس لإعادته إلى العرش ولما كان ملك النوبة الجديد يسعى جاهدا إلى توسيع رقعة ملكه واتجه بالفعل إلى جنوب مصر مهددا حدودها فقد أدى ذلك إلى توتر العلاقات بين مصر والنوبة وعزم الظاهر بيبرس على مواجهة داود، وسبق ذلك لقاء تم بين شكنده ملك النوبة المخلوع والظاهر بيبرس في مصر وفي هذا اللقاء عرض شكنده على

الظاهر طلبه فقبل الظاهر معاونته ، فجهز حملة عسكرية شاركت فيها القبائل العربية بالوجه القبلى .

خرجت الحملة من اسوان وتقاتلت مع الجيش النوبى بقيادة الملك داود ووقع القتال بين الفريقين ثم تمكن العرب والمماليك من إيقاع الهزيمة بالملك داود وإعادة شكنده إلى العرش، ثم وقع شكنده فى مقابل ذلك وثيقة يتعهد فيها ببذل جزية سنوية لمصر .

وقد نصت الوثيقة على أن تكون الحصون المجاورة لأسوان ملكا لمصر، وأن يعين نائبا للسلطان شرط على النوبيين طاعته ويطلق سراح الأسرى المصريين الذين كانوا محتجزين بالنوبة .

وهكذا شارك العرب فى حملات الدفاع عن حدود مصر الجنوبية . واسهموا فى بسط سلطان مصر على بلاد النوبة وافتتاح عدد من المدن الواقعة من أعلى الجزائر حتى بلاد العلى (١) .

فى عهد المنصور قلاوون (٦٧٩-٦٨٩هـ / ١٢٨٠-١٢٩٠م) عاد ملك النوبة إلى شق عصا الطاعة على مصر فاضطر السلطان لتجهيز حملة مملوكية لتأديب ملك النوبة وإخضاعه . واشترك فى هذه الحملة أيضا قبائل العرب من أولاد أبى بكر وأولاد عمر وأولاد الشريف شعبان وأولاد الكنز وبنى هلال وغيرهم وقد تمكنت الحملة من إيقاع الهزيمة بملك النوبة وأسرته وتعين ملك آخر على البلاد وأعادت مصر فرض الجزية السنوية عليها على النحو الذى كان جاريا فى عهد بيبرس .

(١) بلاد العلى علوه وهى المعروفة ببلاد النوبة العليا وكانت قاعدة مدينة (سوبة) الواقعة على النيل الأزرق جنوبى الخرطوم بمسافة ٢٤ كم التيوم الزاهرة، ج١ ص ١٨٩ .

وفى عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م اضطرت الظروف السلطان قلاوون إلى إرسال حملة أخرى إلى بلاد النوبة وبلغ عدد من اشترك من العرب فى هذه الحملة أربعون ألف من عرب الوجهين القبلى والبحرى وقد نجحت هذه الحملة المصرية من تحقيق أهدافها فانتصر المماليك على النوبيين وتتبّعوا ملك النوبة إلى مابعد مدينة دنقلة بمسيرة خمسة عشر يوما وعادت الحملة الى مصر فى ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م بعد أن تمكن قادتها من تنصيب اسرة الملك داود عرش النوبة وإقرار الجزية السنوية لمصر .

وفى عهد الناصر قلاوون (٦٩٣-٧٤٠هـ / ١٢٩٣-١٣٩٩م) قامت حملة حربية من مصر عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م بناء على طلب من ملك النوبة (إيأى) الذى قدم بنفسه إلى مصر وقد اشترك فى هذه الحملة جماعة كبيرة من العرب ، وكان نتائج تلك الحملات الحربية انتشار العرب فى بلاد النوبة واستقرارهم فى تلك البلاد وقيام علاقات مصاهرة بين العرب والنوبيين وأخيرا انتقال ملك النوبة إلى العرب .

وقد عبر ابن خلدون عن ذلك بقوله ، ثم انتشرت أحياء العرب من جبهة فى بلادهم واستوطنوها وملكوها ، (١) .

كان تغلب العناصر العربية وانتشارها بالسودان عاملا رئيسيا من عوامل الاستقرار الدائم الذى لم يساعد على تأمين الحدود الجنوبية لمصر ضد غارات النوبيين فحسب بل ساعد أيضا على تعمير وتأمين بلاد النوبة نفسها وحمايتها من الغزو العثمانى الذى تعرضت له مصر والشام ، ولم تنج من مساوئه .

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج ٥ ، ص ٤٩٨ .

فى أوائل القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى أرسل السلطان سليم العثمانى إلى الملك عمارة دنقس (٩١٠-٩٤٠هـ/ ١٥٠٥-١٥٣٤م) بدعوه إلى الدخول فى طاعته أو اعلان الحرب عليه، وقد واجه الملك العربى الموقف بشجاعة فأرسل إلى السلطان العثمانى فى كتابا يرغبه فيه عن حرب أهل السودان لأنهم مسلمون يدينون بدين الاسلام وليسوا على استعداد لتقديم جزية سنوية لأنه ليس لديهم مايقدمونه، ثم ارفق بكتابه كتابا بأنساب قبائل العرب فى تلك المنطقة. وقد عدل السلطان العثمانى عن عزمه وانسحب بغير حرب. وبهذه الشجاعة العربية امكن تجليب البلاد حالة الحرب حيث قبل السلطان سليم دفاع ملكها وانسحب دون إراقة نقطة دم واحدة.

وهكذا تحقق الأمن لمملكة سنار، وكذلك ساهم العرب فى تعمير البلاد فإن مدينة سنار نفسها إنشاء الملك عمارة وقد بلغ انتشار العرب واندماجهم بالمصاهرة مع النوبيين إلى الدرجة التى لايمكن عندها تفرقة العربى عن النوبى إذ أن الجميع أصبحوا يتكلمون العربية وهى لغة الكتاب عندهم ولايوجد لغة غيرها وهم يتكلمون بلهجة حسنة.

ومن القبائل العربية فى السودان خمير وربيعه وبنو كاهل وبنو ذبيان وبنو عيس وفزارة وبنو سليم وأغلبها من القبائل التى كانت بمصر ثم هاجرت إلى السودان واستقرت به.

ومن مناطق استقرار العرب نجد أنه فى جزيرة (أبا) شرقى النيل الأبيض وغربيه نزلت كنانة وسكنت سليم فى جنوبهم وفى بلاد أبى حراز وعبود وود مدنى سكن العراقيون من بنى جعفر الطيار وسكن معهم

الكواهلة وينتسبون إلى الزبير بن العوام وفي شرقى وغربى النيل الأرق
سكن العلاطيون وبنو حسين واللحيون والقواسمة الحمداه والعقيليون
وجميعها تنسب إلى جهينة ويتضح مما سبق أن القبائل العربية التي
هاجرت من مصر فى عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية هى التى قامت
بمهمة تعريب السودان. وظلت بلاد السودان منطقة جذب للعرب المقيمين
فى صعيد مصر حتى القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى.
وهكذا بفضل جهود العرب أصبحت الحدود الفاصلة بين مصر والسودان
منطقة عبور آمنة للطرفين. وبواسطتها كان يتم التبادل التجارى وأنواع
النشاط الأخرى المختلفة. وازدهرت الهجرة للعلم بالأزهر بالقاهرة بجانب
نشاط المصلحين من أفراد القبائل العربية وتطور دور القبائل العربية فى
التعريب حتى أصبح السودان فى القرن الرابع عشر الهجرى/ العشرين
الميلادى عربيا فى لغته مسلما فى دينه.



الدين:

انتشر الاسلام فى شمال السودان وصارت الغالبية مسلمين سنة ، كما انتشر فى غرب السودان أيضا إلا أن غالبية غرب السودان من الوثنيين ويوجد عدد محدود من المسلمين والمسيحيين .

وتقوم بارساليات التبشير فى السودان كما توجد بعض البعثات الإسلامية .

على أن الاتصال بين الشمال والجنوب مستمر وغير منقطع مما يبشر بوحدة السودان المستمرة .

على أن السودانين قد أقبلوا على الدين الاسلامى بقلوب متفتحة وراغبة . وقد عرف السودان المسيحية فى النوبا السفلى وظلت هناك حتى بداية القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى ثم أقبلت القبائل العربية من الشمال إلى الجنوب وتتبعوا مجرى النيل حتى وصلوا إلى النيل الأبيض . ثم ساروا إلى الجنوب ثم إلى الغرب فى أرض كردفان . وللجنوب بشرق مع مجرى العظيرة والنيل الأزرق فى البطانة ثم فى الجزيرة .

ونزل الخوالد بها حول كابوشين والجعليون حول شدى والجوامعة على النيل الأبيض وتحولت رفاعة فى الجزيرة خاضعة لحكم الفونج . كما سارت البقارة مع النيل إلى أن وصلوا دنقلة ثم اتجهوا غربا إلى دارفور . ثم تحول جماعة منهم نحو الشرق .

كما أن الجمراء الكبابيش التى اختلطت بغيرها من الأهالى مما أثر فى حركة تعريب السودان بشكل سهل انتشار الاسلام فى انحاء مختلفة من

البلاد.

كذلك قامت ممالك اسلامية فى انحاء السودان منها سلطنة دارفور ١٠٤٧-١٢٢٠هـ / ١٦٣٧-١٨٠٥م التى قامت فى غرب السودان بجهود من الكنجارة القادمين من إقليم بحيرة تشاد ومملكة تغلى التى أقامها جماعة الجموعين فى جبال النوبا السفلى فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى وبقيت هناك حتى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى. وقد أخذ المسجد دوره فى نشر العقيدة الاسلامية فى ربوع السودان فالمسجد هو الاساس الأول لكل نهضة واصلاح فى إطار الأمة الإسلامية التى اشرفت على الدنيا من خلال المسجد شمس هداية ونور ومعرفة ورائد حضارة منذ أربعة عشر قرنا فالمسجد دور هام ورسالة عظمى فى بناء الأمة بناء قويا سليما يضطلع عن جدارة واستحقاق باعباء نشر الدوة وإيصالها إلى كل البشر لسعادة الإنسان.

فالمسجد قلوب متعاطفة عامرة بالإيمان وقلوب وعقول نيرة تنعم بالعلم والمعرفة وأرواحا تصقل وتهذب وجنودا يهتمون برسالة التوحيد الإسلامية.

لقد امتزج الاسلام بواحدنيته وسيادته وارتبط السودانيون بعقيدتهم
الاسلامية وصاروا يفخرون بها وصار ولاؤهم كبيرا لدينهم ونظروا إلى
الحياة نظرة اسلامية صحيحة حتى اجتذب الصالحون انتباه الناس لقيادتهم
وقد ساعدت جماعات الصوفية التي ظهرت في السودان والتي من أهمها:

الطريقة الميرغنية:

اسسها الإمام ابو عثمان الميرغنى في ١٢٠٨-١٢٧٠هـ
/١٧٩٣-١٨٥٣م) الذي قام برحلات في جنوب السودان ونشر الطريقة
الميرغنية (الختمية) كما انتشرت في شمال وشرق السودان.

الطريقة المجدوية: (١٢١١-١٢٤٨هـ/١٧٩٦-١٨٣٢م)

التي اسسها محمد المجدوب الصغير.

الطريقة الادريسية : التي أسسها الشيخ ابراهيم الرشيدى في عام
١٢٩١هـ/١٨٧٤م.

هذا ويرجع الفضل في ظهور الطرق الصوفية الثلاثة إلى تلاميذ السيد
أحمد بن ادريس الفاسى المتوفى ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م والطريقة القادرية
للجبلانية التي أنشأها الشيخ عبد القادر الجبلانى المتوفى ٥٦٢هـ/١١٦٦م
والتي قام بادخالها الى السودان تاج الدين البهارى.

التيجانية:

التي أنشأها احمد بن محمود بن المختار التيجانى وهى منتشرة في
غرب أفريقيا.

الدعوة السنوسية:

وهي الدعوة التي نادى بها محمد بن علي السنوسي (١٢٠٢هـ/١٢٧٦-١٧٨٧/١٨٥٩م) وهو جزائري المولد. وهذه الدعوة السنوسية هي أول مراحل التحرر الاسلامي المنظم والتي عملت على تحقيق وحدة الشعوب الاسلامية.

لقد بلغ من نجاح الدعوة السنوسية في المغرب العربي أن اتخذها شريف سلطان (واداي) بالسودان أساسا روحيا للمنطقة التي كان يحكمها وهي منطقة متاخمة من الغرب لمديرية دارفور.

قامت الدعوة السنوسية بنشر الزوايا التي تعد منارات لنشر الدعوة الاسلامية وخدمة المجتمعات الاسلامية ونشر العمران وتشكيل قوات مدرية عسكرية للدفاع عن البلاد حتى بلغت الزوايا السنوسية مايزيد عن المائة منتشرة بين برقة وطرابلس وقزان وطريق مصر وطريق واداي بالسودان. وقد سيطرت السودان جنوبا كما شارك دينار سلطان دارفور السودانية محمد المهدي السنوسي في مقاومة الاستعمار الأجنبي.

الدعوة المهدية:

بدأ صاحب الدعوة المهدية وهو محمد بن عبد الله بالالتحاق بالدعوة الصوفية السحانية وهي فرع من الطريقة الخلوتية، وقد أدخل الطريقة السمانية إلى السودان الشيخ أحمد الطيب البشير، وحفيده الشيخ الفقيه محمد شريف نور هو استاذ المهدي محمد بن عبد الله (صاحب الثورة المهدية) اختلف المهدي مع الشيخ محمد الشريف شيخه في الطريقة السمانية وجدد

عليه العهد.

ولد المهدي في عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م ونشأ نشأة دينية فدخل الخلوة وتعلم القرآن وحفظه ودرس علوم الدين ومال إلى الزهد والتصرف ثم بدأ يدعو الناس لدعوته بأنه المهدي المنتظر الذي على يديه سيعود المسلمون إلى مجدهم القديم ويقهرون أعداءهم.

وانسعت الدعوة المهدية وكثر أتباعها ورأى ضرورة التحصن ضد الدولة فاختر منطقة تقلى في مديرية كردفان في جبل قدير وبذلك أمكنه التغلب على أعدائه من العسكر الانجليز، ثم اتجه المهدي إلى الأبيض وجعلها مقرا له وقد تحولت الدعوة المهدية إلى حركة سياسية.

ظل المهدي يكافح الإنجليز في السودان حتى تمكن من التغلب عليهم وبسط سلطانه على السودان.

وفي عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م توفي المهدي بعدما عهد بخلافة نائبه عبد الله التعايشي لقيادة الحركة المهدية.

ظل عبد الله التعايشي يقاوم الانجليز إلى أن تغلبوا عليه في عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م وخضع السودان للانجليز.

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ / ذي القعدة ١٣٧٢هـ أخذت هذه الثورة تعمل على مساعدة السودان في الحصول على حريته واستقلاله والتخلص من الاستعمار وانسحبت القوات الأجنبية عن السودان.

واجريت انتخابات وتشكل برلمان وطني وتكونت حكومة وطنية وأعلن استقلال السودان بعد أن تمت سودنة الوظائف وانضم إلى جامعة الدول

العربية ثم إلى الأمم المتحدة ثم وقع اضطراب في بلاد السودان حتى قام فريق من الضباط بقيادة اللواء جعفر نميري في عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م الذي أعلن قيام جمهورية السودان الديمقراطية ثم شرع السودان في الاتجاه لتقوية عرى الصداقة بين السودان وأشقائه من الدول العربية.



الخاتمة

بدأ الفتح العربى للمغرب حيث انتقلت القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى أرض المغرب وكانت غالبية تلك القبائل من عرب اليمن والحجاز وتبعتها الإمدادات الوافدة صحبة كل أمير جديد . مما أدى إلى إقامة مدن عربية كانت بمثابة مراكز تجمع لتلك القبائل فى المغرب .

وابتداء من القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى بدأت تفد كثير من القبائل القيسية المستقرة بالشام إلى المغرب فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٢م) بعد ظهور ثورات البربر والمنازعات العصبية القبلية فى عهد الدولة الأموية . وقد رأى الخليفة الأموى هشام أن يعدل من التكوين العربى فى بلاد المغرب للحد من سيطرة القبائل اليمنية التى كانت تمثل الغالبية من عرب بلاد المغرب خاصة بعد ما ظهرت بعض المشاغبات القبلية فى المغرب وإيجاد توازن فى نفس الوقت بين العناصر العربية اليمنية والقيسية . وبينهما وبين البربر مما يقلل من خطر قيام البربر بثورات تهدد النفوذ العربى فى بلاد المغرب .

ونتيجة لكثرة العناصر العربية ظهرت الدويلات العربية المستقلة بالمغرب فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى والتى قامت بتأسيس مدن عربية جديدة كما كانت مراكز جذب قوية للقبائل العربية سواء من خارج بلاد المغرب أو من داخلها للعمل بخدمة تلك الدول مما ساعد على نشر الحضارة الاسلامية فى المناطق التى خضعت لنفوذها كدولة الأدارسة فى المغرب الأقصى فى عام ١٧٢هـ / ٧٨٨م . والأغالبية بأفريقيا فى عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م واعتبار من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى خلفت

الدولة الفاطمية الشيعية هذه الدويلات العربية في حكم بلاد المغرب واعتمد الفاطميون على أسر عربية خليفه توارثهم فأسندوا إلى بنى حمدون إدارة المسيلة والزاب وإلى الكلبيين حكم جزيرة صقلية وعملوا على تشكيل بلاطهم من الوزراء والكتاب والقضاة من العناصر العربية وغيرها.

ثم جاءت الهجرات الهلالية في منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى حيث حركتها الدولة الفاطمية بعد انتقالها إلى مصر تلك الهجرة التى نجحت فى نشر الدين الاسلامى واللغة العربية وتكوين الدويلات العربية المستقلة فى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى ببلاد المغرب فأنت الهجرات الهلالية لتعريب تلك القبائل البربرية وتعديل التكوين الجنى والعصرى لسكان المغرب ونتج عن امتزاج العرب والبربر أجيال أقوى شكيمة وأشد مراسا من أجدادهم. كما ساهموا فى نشاط الدول المغربية الاسلامية التى قامت بعد ذلك فى بلاد المغرب مثل دولة المرابطين التى شملت المغربين الأقصى والأوسط والصحراء وامتد نفوذها إلى الأندلس واستمر نحو قرن حتى منتصف القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى وتلاههم الموحدون الذين وجدوا المغرب كله مع الأندلس فى دولة واحدة مدة قرن من الزمان ثم انهارت دولتهم وقامت على أنقاضها ثلاث دول مستقلة هى الدولة الحفصية بتونس وبنى عبد الواد بتلمسان والدول المرينية بفاس بالمغرب الأقصى .

وبينما اصطنعت قبائل البربر بعد اسلامها أنسابا عربية حتى تتساوى مع القبائل العربية وتشارك فى الحياة السياسية الجديدة خلال الأربعة قرون الأولى للهجرة عمدت بعد ذلك بعض الدول المغربية ذات الأصل البربرى لأن تنشئ لنفسها خلافة خاصة تستند إلى الاسس الشرعية اللازمة كالنسب

للنبوي والأصل العربي لهذا قال الموحدون بانتماء خلفائهم إلى الرسول عن طريق الإدارة واتخذوا اللون الأخضر شعارا لهم كي يظهرُوا ميلهم للدعوة العلوية. بينما زعم الحفصيون أنهم من سلالة الخليفة أبي حفص عمر بن الخطاب. ولقد حرصوا على الاعتزاز بهذا الأصل وإظهاره في كل مناسبة ويظهر ذلك واضحا في أقوال كتاب وشعراء تلك الدول بل لقد حرص ملوك وأمراء بني مرين على مصاهرة القبائل العربية المقيمة في المغرب فتزوجوا النساء العربيات واستخدموا في الحجابة والكتابة رجال من العرب. ولعل تلك السياسة العربية التي أنتهجتها تلك الدول المرينية كانت وازعا ضروريا لاكتساب الشرعية الكافية في مواجهة جيرانها وأعدائها من الموحيدين والحفصيين وبني عبد الواد الذين ادعوا لأنفسهم هذا الأصل العربي والنسب النبوي، كما اتخذوا أحلافا من القبائل العربية.

كما أن القبائل العربية لعبت دورا أساسيا في صراع الموحيدين مع بني غانية (بقايا دولة المرابطين) والمماليك الغز الذين انتقلوا من مصر إلى أفريقيا. إذ قام العرب بمحاربة بني غانية ومناصرتهم حتى بدأ أن دولة المرابطين تبعث من جديد في أفريقيا بمعاونة القبائل العربية إلا أن الموحيدين قضوا على هذا التحالف وتبعوا بني غانية بالقتل والتشريد. كما نقلوا للقبائل العربية التي عاونت بني غانية إلى المغرب الأقصى. حيث استقرت رياح ببلاد الهبط وجشم ببلاد تامسنا واستخدموا المماليك الغز في جيوشهم.

ولاشك أن هذه الاضطرابات التي لعبت فيها القبائل العربية دورا واضحا أدت إلى تعيين أبي حفص واليا دائما على أفريقيا مما ساعد على قيام الدولة الحفصية المستقلة بعد ذلك.

كما ساهمت القبائل العربية بدور إيجابي في السياسة الجهادية للدول المغربية ببلاد الأندلس فما أن استلجدت الأندلس ببلاد المغرب لمقاومة الغزو المسيحي بقيادة مملكة قشتالة حتى لبثت تلك القبائل النداء للدفاع عن الأندلس .

وقد أشاد المؤرخون ببلاء الفرسان العرب في موقعة إقليس في عام ٥٠١هـ / ١١٠٨م في العهد المرابطي وفي موقعة الأرك في عام ٥٩١هـ / ١١٩٥م في العهد الموحدى . وحتى حينما نجح القشتاليون في الانتقام لهزيمة الأرك وتمكنوا من دحر الموحدين في موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ / ١٢١٢م كانت القوات العربية آخر من ترك ميدان المعركة وقام بعض فرسانهم بمعاونة الخليفة الناصر على الفرار .

وفي عهد الدولة المرينية ازدادت مشاركة القبائل العربية عند اشتراكهم في الجيوش المرينية بل كانت جموعهم تشكل الجانب الأكبر من الامدادات التي وصلت من المغرب إلى الأندلس . ولم يقتصر دورهم في العمليات الحربية على تنفيذ ما يصدر إليهم من أوامر عسكرية بل شارك شيوخها كمستشارين في المجلس الحربى للسلطان المرينى لإبداء الرأى حول الخطط العسكرية وأسند إلى القبائل العربية حماية الممتلكات المرينية بالأندلس والدفاع عنها .

ونتجىة لقيام ثلاث دول متنازعة على أنقاص دولة الموحدين اضطرت كل دولة إلى الاعتماد على بعض هذه القبائل المستقرة ببلادها إعتماذا يكاد يكون تاما بحيث صار من الصعب استغناء ملوك هذه الدول عن الحفاظ على أمن بلادهم فى حالة تخلى تلك القبائل عنهم . فاعتمدت

الدولة الحفصية على قبائل رياح ثم قبائل بنى سليم وكرفه من عرب الأثبج بعد تمرد رياح عليهم. كذلك حالف بنو عبد الراد قبائل زغبة التي استقرت بالمغرب الأوسط وعرب ذوى عبيد الله وذوى منصور (المنبات وأولاد حسين والعمارنة) من المعقل.

أما الدولة المرينية فقد اعتمدت على القبائل المستقرة ببلادها بقيادة عرب سويد لاستعادة أملاك الدولة الموحدية سواء في المغرب الأوسط أو في أفريقيا خلال عهدى السلطان أبى الحسين المرين وابنه أبى عثمان فى الفترة من عام ٧٣١هـ/١٣٣١م إلى عام ٧٥٩هـ/١٣٥٨م حيث يصل ملك المرينين مابين برقة إلى السوس الأقصى.

وعلى الرغم من ذلك لم تكن جميع القبائل العربية التي استقرت ببلاد المغرب تعطى الود خالصا للدول النظامية التي استقرت بأرضها، فما أن تضطرب الأحوال السياسية للدولة حتى نرى بعضهم ثائرين أو مؤيدين للحركات الخارجية عليها، ويلاحظ أن هذه القبائل بجانب ذلك منحوا تأييدهم ومساعدتهم لمن انتسب من الثوار إلى ذرية على بن أبى طالب لما لهم من مكانة فى نفوس سكان المغرب مما ساعد على انقسام هذه الدول بين أمرائها ثم سقوطها، إذ أن تقسيم أفريقيا بين عرب رياح وسليم أدى إلى انقسام الدولة الحفصية فى عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م إلى قسمين قسم شرقى عاصمته تونس ينعم بمحالفة عرب سليم المستقرين فى المنطقة من الممتدة من قابس إلى بونة ونفطة غربا وقسم غربى عاصمته بجاية يحظى بمحالفة عرب رياح المستقرين بالجانب الغربى بضواحي قسنطينة وأدى الصراع بينهما إلى ثورات العرب المتعددة وقيام الأسر القوية بتأسيس إمارات لهم تنعم بالحكم الذاتى بفضل موقعها المنعزل واعترفت بالإسم لا

بالفعل بسلطان الدولة الحفصية فكانت هذه الإمارات بمثابة جمهوريات صغيرة يحكمها مجالس من الأعيان العرب أو يلى أمرها أسر عربية من ذوى النفوذ العريض.

ولقد حاربت هذه الإمارات الحفصية طوال القرن الثامن الهجرى/الرابع عشر الميلادى تعاونها القبائل العربية المستقرة حولها. كذلك عادت قبائل الثعالبة وبعض عرب ذوى عبيد الله من المعقل وحصين وسويد من زغبة ودولة بنى عبد الواد بسبب ماكان لبعضهم من وضع متميز مع الموحدين حرما منه بانهيار دولتهم.

وفى المغرب الأقصى استغلت القبائل العربية ضعف قبضة الدولة المرينية على أطرافها واستقلت بأوطانها ببلاد الهبط وتامسنا وتادلة والسوس.

ونتيجة لانتشار القبائل العربية بالمغرب وتعود مواطن استقرارها فى جميع انحاء البلاد امتزجت بقبائل البربر وصاهرتها مما أدى إلى تطور مفاهيم القبلية العربية بالمغرب فيما يختص بالعلاقة التى تربط الرجل بالمرأة والزواج والحلف والجوار والشعر والغناء والزى ورحلة الشتاء والصيف ومساكنهم وطعامهم واختيارهم لشيخ القبيلة ومساعديه من وزراء ووكلاء وكتاب وغيرهم، وتأثرهم فيما يختص بالمعتقدات والعادات وتأثر ثقافتهم بطريقة التعليم فى المغرب لحاجة القبيلة المستمرة إلى الرئيس والوزير والوكيل والكااتب والمفتى لمساعدة زعيمها فى حكم القبيلة متأثرة فى ذلك بما شاع فى الجاهلية بشبه الجزيرة العربية وبطريقة حياة القبيلة البربرية ببلاد المغرب وبما أضافه الإسلام من قيم تربوية جديدة.

فإلى جانب المظهر الدنيوى الصاخب للقبيلة العربية ببلاد المغرب كان هناك مظهر آخر فى حياة بعض رؤسائها وأفرادها الذين كرسوا حياتهم على عمل الخير ونشر العلم والدين وإقامة الزوايا والروابط والمساجد فى مختلف أنحاء المغرب، ويلاحظ أن هذه النزاعات الصوفية الإصلاحية لم تلبث أن أخذت تزداد انتشارا بمرور الوقت بين القبائل العربية فبعد أن كانت فى بداية الأمر قاصرة على بعض أفراد القبيلة وأهليهم ومريديهم إذ بها فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى تشمل رئيس القبيلة ومعه قبيلته التى تعاهده على اتباع طريقته ونحلته.

وتظهر هذه النزاعات الصوفية الإصلاحية فى اهتمام العرب بركب الحجيج من المغرب إلى مصر إذ يرافقه كثير من زعماء القبائل العربية سواء لقضاء فريضة الحج أو مصاحبة إحدى أميرات الدولة خصوصها زوجات الخلفاء العربيات أو القيام بحماية الركب على طول امتداد بلاد المغرب لمروره فى مناطق استقرار القبائل العربية وكثيرا ما انضم إلى الركب من يريد من زعماء هذه القبائل على طول الطريق.

كذلك تظهر هذه النزاعات الإصلاحية فى قيام هذه القبائل بالمساهمة فى تعريب المغرب ونشر الثقافة العربية ببلاد السودان لسيطرتها على طرق التجارة من شمال أفريقيا والمغرب إلى موريتانيا وإلى الجنوب.

ولقد شاركت هذه القبائل فى النواحي الإدارية والعسكرية ببلاد المغرب إذ أنشأت إمارات قرية فى عصرى الموحدين والحفصية وبنى مرين ومدح للشعراء والكتاب أمراءها الذين نجحوا فى إدارتها فأضافت الدولة إليهم مزيدا من الإقطاعات لإدارتها واضطرت لإقرارهم على ما بأيديهم بمرسوم

صادر من السلطان بالتقليد والخلق كما أسندت الدولة الحفصية إلى بعض أمراء العرب وظائفها الإدارية مثل جباية ديوان البحر بتونس وجباية سائر الأعمال التونسية كما أسندت وظائف القضاء والفتيا إلى العلماء من هذه القبائل خصوصا في المدن التي تسيطر القبائل العربية على نواحيها وازدادت مكانة شيوخ القبائل العربية خلال سيطرة الدولة المرينية على جميع بلاد المغرب حتى عين أبو عنان المريني، يوسف بن منصور وإلى بكسر والزاب في طبقات وزرائه وتصدروا المجالس السلطانية وأصبحوا ضمن أهل المشورة وانضم بعضهم إلى مجلس منادمته في خلوته كما اختار السلطان منهم بعض وزرائه وسفرائه إلى جيرانه من الملوك.

أما عن دورهم في النواحي العسكرية فنظرا لحبهم للقتال اهتمت القبائل العربية بأسلحتها من النوع الخفيف الذي يتلائم مع حياة الترحال التي يعيشونها وأهمها السيف والرمح والقوس والسهم والجنبيه والخنجر وأحسنوا استخدامها حتى شكلت الدولة المرينية منهم فرقة رماة القسي العربية تستعين بها في حروبها بجانب الأسلحة الثقيلة التي اضطرت القبائل إلى استخدامها في ظروف خاصة مثل المنجنيق خلال حصارهم لعدوهم والدروع البيض والدرق اللطيفة والقسي الخطية خلال حروبهم المقدسة بالأندلس.

واعتمدت هذه القبائل في حروبها على الكر والفر ويتغنى أمامهم شاعر القبيلة يحرضهم على القتال وتأثرت القبائل البربرية بهم وحذت حذوهم في المغرب. كما اتخذوا الرايات والطبول التي اقتصرت في الدولة الموحدية والمرينية على راية صغيرة وطبل صغير أيام الحرب فقط وزادت في الدولة الحفصية إلى أعلام من الكتان البيض تمتاز بها القبيلة.

أما مكانتهم في الجيوش المغربية فإلى جانب وجودهم في الجيش النظامي للدولة الموحدية وإثباتهم في ديوان العطاء فقد كان يعتمد على القبائل العربية بأفريقيا عند نشوب الحرب فتستدعيهم الدولة في الوقت المناسب. ويخرج الخليفة بنفسه لتفقد قواتهم في إحتفال مهيب يعرف بالتميز وكانوا يتميزون في الألبسة والمرتبات. فرسانا ورجاله. على الموحدين وغيرهم من الجند وازدادت هذه المكانة في الجيش المريني لتزوج معظم أمراء الدولة المرينية من النساء العربيات واستخدمهم لأخوانهم من العرب في الحجابة والكتابة لزعمائهم في قيادة الجيوش للقضاء على الثورات الداخلية بالدولة ولايستبعد حصولهم على نصيب الأسد من المقررات والمرتبات المخصصة للجند.

ولقد أثرت هذه الحياة الاقتصادية المغربية تأثيرا واضحا إذ نقلوا إلى المغرب خبرتهم الطويلة في تنمية الثروة الحيوانية والتدخل الصناعي في تربية الأنعام وتكثيرها وانتخاب الأنواع الأصيلة منها، حتى اشتهرت المنطقة الممتدة من برقة وحتى تلمسان بتربية الخيول، العتاق، الأحساب المدربة عند الأعراب وتأثرت بعض القبائل الزناتية بخبرة القبائل العربية في هذا المضمار فأخذوا عنهم تربية الخيول وتحسين أنسابها فظهرت للخيول الفزازية في منطقة تادلا والخيول المحمدية في قبائل غمارة، مما أدى إلى ازدهار تربية الخيول ببلاد المغرب، وأصبحت الخيول العربية الهدية المملوكية المفضلة بين ملوك بلاد المغرب والأندلس ومصر.

وصلت محل الهدايا من الإبل، كما أسندت إليهم كل من دولة بني عبد الواد والدولة المرينية إدارة مراعيهم وتربية أنعامهم فقام عرب بني صبيح من سويد بإدارتها الانفراد بها حتى أصبحت متوارثة فيهم حتى آخر الدولة

المرينية واكبر دليل على نجاحهم فى إدارة هذه المراعى وتربية الأنعام اطلاق لفظ «المرينى» على أجود أنواع الغنم.

كذلك ساهموا فى الزراعة والفلاحة ونجحوا فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى فى إعادة تعمير المنطقة الممتدة من برقة إلى طرابلس وزراعتها حتى تشتهر قراها بأنواع خاصة من المحاصيل كسفرجل قرية تاجورة بوطن عرب الجوارى . كذلك اشتهار امارات الجريد والزاب العربية بتعدد انتاجها من الثمار وانتشار الصناعة فى بعض مدنها واعتمادها بصفة رئيسية على زراعة النخيل وتصنيعه كما ساهم من اندمج من هذه القبائل فى الحياة الاقتصادية بالبلاد.

ولقد سيطرت القبائل العربية على طرق التجارة الداخلية فلا يجتازها غيرهم إلا بخفارة أحدهم ووسعوا نطاق هذه التجارة بين التل والصحراء واحتكروا تموين بعض المدن الأفريقية مقابل توزيعهم لمنتجاتهم ، مثال ذلك توزيع المرجان المستخرج من مرسى الخرز.

كما سيطروا على التجارة الخارجية خصوصا مع بلاد السودان ومصر فاجتكروا استخراج الملح سواء فى أفريقيا أو المغرب وأمدوا به بلاد السودان وصدروا لمصر الخيول والأغنام كما اشتهروا بتصدير نوع من الملح يستعمل كنوع من العقاقير إلى الممالك المسيحية.



المصادر العربية المخطوطة

ابن منكلى (الأمير محمد)

التدبيرات السلطانية فى الفنون الحربية بدون تاريخ
مكتبة أسكندرية رقم ١١٤٧ ب.

القادرى (محمد بن على)

المواقف الشريفة فى تحقيق معنى الخليفة ، مكتبة
اسكندرية ٣٨٦١ ج بدون تاريخ.

القلقشندى (أحمد بن عبد الله) (ت ٨٢١/١٤١٨)

قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان . معهد
إحياء المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية
(ميكروفيلم رقم ٣٨١)

الكرمى (مرعى بن يوسف)

نزهة الناظر فيمن ولى مصر من الخلفاء والولاة .
مكتبة اسكندرية ١٤١٦ ج بدون تاريخ.

النويرى (محمد بن قاسم السكندرى)

الإمام بما قضت به الأحكام المقضية فى وقعة
اسكندرية . نسخ مصورة من مخطوطات الهند بمكتبة
بكلية الآداب ج اسكندرية رقم ٧٣٨ .

المصادر والمراجع

- ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)
المقتضب من كتاب تحفة القادم . نشر إبراهيم الإبياري ،
القاهرة ١٩٥٧
- الحلة السبراء جزءان نشر د/ حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ابن الأثير: أبو الحسن بن علي بن محمد بن أبي الكرم الجزري
(ت ٦٣٠/١٢٣٢)
- أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة ١٢٨٠هـ)
- الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٠٣هـ)
- ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور (ط بولاق ١٣١٢ .
- ابن الأحمر: أبو الوليد بن الأحمر (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)
- روضة النسر في دولة بني مرين
- نشر عبد الوهاب منصور (الرباط ١٩٦٢)
- ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (أربع أجزاء مصر ١٩٣٩)
- ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي البغدادي (٣٨٠هـ / ٩٠م) . د. د. د.
الأرض (لندن ١٩٣٨)
- ابن الخطيب : لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله (٧٧٦ : ١٢٧٤م)

أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام
(الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية نشر مختار العبادي
وابراهيم الكتاني (الدار البيضاء ١٩٦٤).

ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت ١٩٥٦-١٩٥٨)

مقدمة ابن خلدون (المكتبة التجارية القاهرة).

ابن خلكان: وفيات الأعيان (مصر ١٩٤٨ تحقيق محي الدين عبد الحميد
خمس أجزاء).

ابن عبد ربه: العقد الفريد (مصر ١٩٥٣) تحقيق العريان في ثمانية أجزاء.

ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها (نشر ماسية القاهرة ١٩١٤)

الإدريسي: أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت ٥٤٨/١١٥٤) المغرب
وأرض السودان ومصر والأندلس.

الأندلسي: محمد بن محمد الأندلسي ، (ت ١١٤٩/١٧٣٦)

الحلل السندسية في الأخبار التونسية ج ١ تحقيق محمد الحبيب
الهيلة ، تونس ١٩٧٠.

الدباغ : (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ت ٦٩٦/١٢٩٧)
معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان. تحقيق ابراهيم شبوح
تونس ١٩٦٨.

ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني

القيروانى ت أواخر القرن الحادى عشر / السابع عشر الميلادى
المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس . تحقيق محمد شمام عام
١٩٦٧ .

سوده الكاشف: مصر فى فجر الإسلام (القاهرة ١٩٤٧)

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير القاهرة ١٩٦٦ .

شقيير (نعوم) تاريخ السودان القديم والحديث دار
المعارف .

عمار عباس المدخل الشرقى لمصر (المعهد الفرنسى
القاهرة ١٩٤٩) .

موض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله (ط ثانية القاهرة ١٩٥٦)

المراجع الأجنبية

- Abun-Nasr, J.:

A history of the maghreb. London. 1975.

- Arkell.

A history of the Sudan. London. 1955.

- Bel, A. Le region Musulmane en Berberie. Paris. 1938.

- Brunschving, R.

La tunisie dans le Haut moryen age, Le cairo 1948.

- Faurnel, H. Les Berberes, Etude sur conquete de L'Afrique par les Arabes, vols. 1,2. paris 1875.

- Hill, D.

Islamic Architecture in north Africa. London 1976.

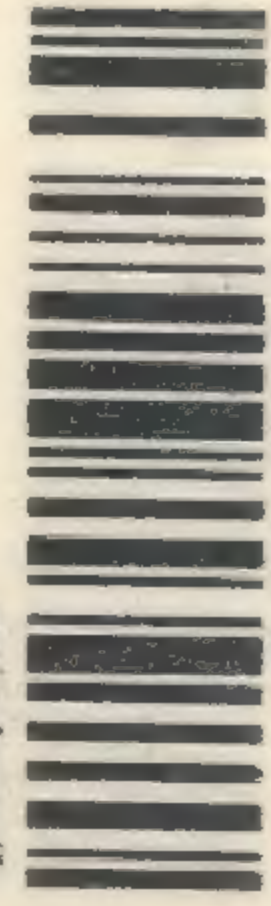
- Mac-Michael (cambridge 1912) the tribes of northern and centeral Kordofan.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
الباب الأول: ليبيا	٦
الفصل الأول: ليبيا من الفتح العربى إلى العهد الموحدى	٧
الفصل الثانى: ليبيا من العهد العثمانى إلى الاستقلال	٥٢
الفصل الثالث: الدور الحضارى الليبى	٧٧
الباب الثانى : أفريقيا (تونس)	٩١
الفصل الأول: أفريقيا من الفتح العربى حتى قيام دولة الأغالبية	٩٢
الفصل الثانى: أفريقيا من عهد الأغالبية حتى الاستقلال	١١٣
الباب الثالث: المغرب الأوسط (الجزائر)	١٣٩
الفصل الأول: الجزائر منذ الفتح العربى حتى دولة بنى عبد الواد	١٤٠
الفصل الثانى: الجزائر من العهد العثمانى حتى الاستقلال	١٦١
الفصل الثالث: المجتمع الجزائرى	١٨٧

١٩٧	الباب الرابع: المغرب الأقصى
١٩٨	المغرب الأقصى منذ الفتح العربى إلى قيام المملكة المغربية
٢٥٤	الباب الخامس: موريتانيا
٢٥٥	موريتانيا منذ الفتح العربى حتى قيام الجمهورية
٢٨٤	الباب السادس: السودان
٢٨٥	السودان من الفتح العربى إلى الاستقلال
٣١٢	الخاتمة
٣٢٢	المصادر العربية المخطوطة
٣٢٣	المصادر والمراجع
٣٢٦	المراجع الأجنبية
٣٢٧	الفهرس

Библиотека Александрина
بمكتبة الاسكندرية



0298295